العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

في هذا الجزء

تصدر عن : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

فهرس هذا الجزء

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: (٢٤٣ أبحر)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الثالث - السنة الثالثة - رمضان ١٣٨٨ - كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٨

مخطوط عن معالم جزيرة العرب

للإمام الحربي (١٩٨ - ٢٨٥ هـ)

- ٢ -

ويأتي الآن دور الحديث عن مؤلف الكتاب .

كان الدكتور حسين محفوظ أول من رأيته وصف المخطوطة الوحيدة من هذا الكتاب، وذلك بمقال نشرته «مجلة كلية الآداب» في جامعة بغداد في شهر كانون الثاني سنة ١٩٦١ وكرم فقدم لي نسخة منه مطبوعـــة في كراس ، وصف فيها زيارته للمكتبة الرضوية ، في مدينة مشهد بخراسان ، في صيف سنة ١٩٥٧ واطلاعه على مخطوط كان يُظنّ أنه كتاب الازرقي في أخبار مكة ولكن الدكتور اتضح له انه لابن الكوفي، وانه منازل مكة من جملة قرأها في أوراق بخط الشيخ آغا بزرك الطهراني النجفي ، وجاء فيها : قرأت بخط ابن الكوفي في كتاب « منازل مكة » .

ثم حاول الدكتور محفوظ أن يثبت هذه النسبة بإيراد ترجمة مطولة لابن الكوفي ، وهو علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي القرشي الكوفي المولود سنة ٢٥٤ في الكوفة والمتوفى في بغـــداد سنة ٣٤٨ ، ثم استرسل الدكتور محفوظ بسرد مشايخ ابن الكوفي ، مما قد لا يعنينا لما سنوضحه فيما بعد :

وقد علمت بأن أحد أدباء العراق قد رد عليه في مقال حاول ان ينفي

نسبة الكتاب لابن الكوفي ، وان يثبت نسبته لأبي عبـــدالله محمد بن أحمد الأسدي من أهل القرن الثالث الهجري ، اعتماداً على النصوص التي نقلهـــا السمهودي في كتابه « وفاء الوفاء » ونسبها للاسدي .

ولكنني بعد أن طالعت الكتاب مطالعة درس وإمعان ظهر لي أنه ليس لابن الكوفي وليس للأسدي وان اشتبهت كثيرمنالنصوصالتي نقلها السمهودي في كتابه لما جاء في هذا الكتاب ، وذلك للأسباب الآتي بيانها :

١ ــ ان الشيوخ الذين أورد الدكتور محفوظتراجمهم من شيوخ ابن الكوفي متأخرون عن زمن مؤلف الكتاب ، وعن عصر شيوخه ، ولم أجد واحداً منهم مذكوراً في الكتاب .

٢ ــ ان شيوخ مؤلف الكتاب الذين يصرح بأنهم حدثوه كلهم ممن عاش قبل زمن ابن الكوفي ، أي ممن عاش في القرن الثالث الهجري لا في القرن الرابع ، باستثناء من لم أعرف زمن وجودهم ، وهم بدون شك من أهل القرن الثالث ، لا الرابع .

ويحسن إيراد بعض من عرفت زمنه [١] .

١ ــ أبو بكر بن عبداللهص ٢٠٤ توفي سنة ٢٥٦ كافي«تهذيب التهذيب» .

٢ ــ احمد بن اسماعيل السهمي ص ٧١ و ٧٨ توفي سنة ٢٥٩ .

٣ ــ احمد بن بديل اليامي ، ص ٨٦ توفي سنة ٢٥٨ .

٤ ــ احمد بن عبد الجبار : ص ٥٥ ــ ٥٦ ــ ١٠٤ توفي سنة : ٢٧٢ .

٥ ــ احمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان ص ١١٤ توفي سنة ٢٥٨ .

٦ ــ أحمد بن منصور الرمادي ص ١٣٠ ــ ١٥٣ ــ ١٧٣ ــ ٢٠٩ توفي سنة ٢٦٥ .

٧ ــ احمد بن الوليد الكرابيسي ص ١٠٠ توفي سنة ٢٥٩ .

---

(١) الصفحات بحسب ترتيب المخطوطة نفسها .

٨ — ادريس بن عيسى القطان ص ٧٨ توفي سنة ٢٥٦ .

٩ — أبو العباس الثمالي وهو المبرد ، أكثر الرواية عنه توفي سنة ٢٨٥ .

١٠ — جعفر بن ابي عثمان ص ٢٧ توفي سنة ٢٨٢ .

١١ — جعفر بن محمد الصايغ ص ٩٧ توفي سنة ٢٧٩ .

١٢ — الحارث بن اسامة توفي سنة ٢٨٢ روى عنه في عدة مواضع .

١٣ — الحسن بن محمد الزعفراني ص ٢٧ توفي سنة ٢٦٠ .

١٤ — الحسن بن مكرم ص ١٠٦ توفي سنة ٢٧٤ .

١٥ — العباس بن محمد هو ابن حاتم البغدادي ص ٣٨ توفي سنة ٢٧١ .

١٦ — عبد الرحمن بن بشير ص ٢٧ توفي سنة ٢٦٠ .

١٧ — عبد العزيز بن معاوية الأموي ص ١١١ توفي سنة ٢٨٤

١٨ — عبدالله بن عمرو بن بشر أكثر الرواية عنه ، وهو من أهل القرن الثالث .

١٩ — أبو البختري عبدالله بن محمد بن شاكر ص ٩١ توفي سنة ٢٧٠ .

٢٠ — عبدالله بن مسلم هو ابن قتيبة ص ٢٧ توفي سنة ٢٧٠ .

٢١ — علي بن شعيب ص ٩١ توفي سنة ٢٦١ أو ٢٥٣ .

٢٢ — فضل بن سهل الأعرج ص ٧٣ و ١١١ و ١٢٠ توفي سنة ٢٥٥

٢٣ — محمد بن اسماعيل الواسطي ص ٨٥ توفي سنة ٢٥٨ .

٢٤ — محمد بن اشكاب ص ٨٤ توفي سنة ٢٦١ .

٢٥ — محمد بن الجهم ص ١٠٨ توفي سنة ٢٧٧ .

٢٦ — محمد بن سعيد بن غالب ص ١٢٢ توفي سنة ٢٦١ .

٢٧ — محمد بن عبد الرحمن الصيرفي ص ٩١ و ٩٥ توفي سنة ٢٤٢ .

٢٨ — ابن زنجويه محمد بن عبد الملك في صفحات كثيرة توفي سنة ٢٥٨ أو ٢٥٧ .

٢٩ – محمد بن علي بن حمزة العلوي توفي سنة ٢٨٧ .

٣٠ – يحيى بن حسين العلوي ، أكثر الرواية عنه توفي سنة ٢٧٠ .

[ان تاريخ الوفيات هنا اعتماداً على ما في «تاريخ بغداد»، او «تهذيب» ابن حجر] .

هؤلاء ثلاثون شيخاً ممن روى عنهم مؤلف الكتاب ، وكلهم ممن عاش في القرن الثالث الهجري ، أي قبل زمن ابن الكوفي بدهر ، مما لا يدع مجالاً للقول بأن المؤلف هو ابن الكوفي ؛ وان مشايخ ذلك المؤلف هم مشايخ ابن الكوفي .

ان الدكتور حسين محفوظ لم يجزم بنسبة هذا الكتاب لابن الكوفي ولكنه قال: أكثر الرواة الذين رووا عنهم من طبقة مشايخه ، وممن يوافق زمانهم عصره، ولكن هذا غير صحيح كما يتضح ممن أوردنا اسماءهم وتواريخ وفياتهم اعتماداً على كتابي « تاريخ بغداد » للخطيب و« تهذيب التهذيب » لابن حجر.

أما ما نقل الشيخ الطهراني عمن قرأ بخط ابن الكوفي في كتاب « منازل مكة » فابن الكوفي كان نساخاً نسخ كتباً كثيرة من مؤلفات غيره كما ذكر ذلك ابن النديم في « الفهرست » وأشار اليه الدكتور محفوظ .

وأمر آخر هو أن ابن الكوفي شيعي المذهب ومؤلف الكتاب سُني تفيض عباراته بالثناء على أناس ممن يرى الشيعة انهم غير جديرين بالثناء .

وإذن فلا مجال لنسبة هذا الكتاب لابن الكوفي .

هل هو للاسدي ؟ :

لقد نقل مؤرخ المدينة السيد السمهودي في كتابه « وفاء الوفاء » نصوصاً كثيرة تتفق مع ما في هذا الكتاب، ونصوصاً أخرى تختلف عما في الكتاب من النصوص اختلافاً يسيراً .

وقد أوضح استاذنا الدكتور صالح العلي في بحثه الممتع ، الذي نشرته « مجلة المجمع العلمي العراقي » في مجلدها الحادي عشر بعنوان« المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز » ، أوضح مواقع كثير من نصوص الأسدي ، في كتاب

« وفاء والوفاء » ونقل عن السمهودي قوله : بانه أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدي ويؤخذ من كلامه انه كان في المئة الثالثة ، وذكر أن له منسكا ، ذكر فيه المساجد التي تزار في المدينة ، واحصى المواضع التي أورد السمهودي فيها نقولاً عن الأسدي فتجاوزت خمسين موضعا .

وبمقارنة تلك النصوص الكثيرة بما وصل الينا من الكتاب ، تبين أنهـــا موجودة فيه باستثناء موضعين أو ثلاثة ، وقد تكون فيما لم يصل الينا من الكتاب، أو قد تكون من اضافات بعض العلماء عليه ، أما عن الاختلاف في بعض العبارت فإن السمهودي قد يتصرف في بعضها ، ولهذا يمكن القول بان ما نسب إلى الأسدي في كتاب السمهودي هو من هذا الكتاب الذي نتحدث عنه .

ولكن من هو الأسدي ؟٠ان قول السمهودي بانه من أهل المئة الثالثة ، ستنتجه من العبارات الموجودة في الكتاب، ومن تراجم رواته ، الذين كثيراً ما يقول حدثني فلان،ومنهم السيد يحيى الحسني العقيقي الذي نص السمهودي على أنه توفي سنة ٢٧٧ عن ثلاث وستين سنة .

وقول السمهودي بان الأسدي له منسك ، خذه أيضاً من الكتاب نفسه فهو يحوي منسكا مطولاً أورده المؤلف عرضاً عندمـــا وصل في حديثه إلى وصف ذي الحليفة مكان احرام المدنيين .

ان دارس هذا الكتاب ، لا يخالجه شك في أنه من تأليف عـالم جليل ، تلقى العلم عن علماء كثيرين في العراق ، وفي مكة وفي المدينة وفي غيرهـا من البلاد مما لا يدع مجالاً للشك في أنه بلغ من العلم مرتبـــة من الشهرة بحيث لا يكون نكرة كهذا الذي دعاه السمهودي الأسدي ، والذي لم أجد فيما بين يدي من تراجم علماء ذلك العصر شيئاً عنه .

هناك عالم يتفق مع هذا الأسدي الذي ذكره السمهودي يتفق معــه في الاسم واسم الأب وفي الكنية وفي النسب ولكنه متأخر عن ذلك العصر .

فقد كتب الى صديقي الأخ الاستاذ سهيل ذكار يقول : بأنه اطلع في كتاب « بغية الطلب » لابن العديم في الجزء المخطوط الموجود في مكتبة (ايا صوفيا) في استنبول برقم ٣٠٣٦ ، وفي الورقة ٢٣٧ منه وجد نصاً بأن ابن العديم اعتمد على كتاب « ديوان العرب وجوهرة الادب وإيضاح النسب» تأليف محمد بن أحمد بن عبدالله الاسدي النسابة .

ويقول الاستاذ سهيل انني اعتقد استنتاجاً من كتاب « بغية الطلب » بأن الاسدي كان موجوداً سنة ٣٢٠ ، انتهى وأقول : إذا صح الاستنتاج : إننا لم نعهد في مؤلفات ذلك العصر مثل هذا الاسم المسجوع ، وأرى مؤلفه متأخراً عن ذلك الزمن .

وقد يقال: كيف إذن ينسب السمهودي الكتاب للأسدي ؟ والجواب على هذا سهل ، هو أن كثيراً من المؤلفات القديمة لا يكتب فوقها اسم مؤلفها وقد يكتب فوقها اسم مالكها ، فيتوهم من رأى الكتاب . أن المالك هو المؤلف ، وكثيراً ما يكتب المتقدمون تحت اسم الكتب جملة:لفلان بن فلان، كما نرى في مصورة المتحف البريطاني من كتاب « الامكنة والمياه » لنصر الاسكندري فاننا نقرأ في الصفحة الأولى منه : (لعبد الرحمن بن عبدالله بن نصر بن عبيد الدمشقي الحوساري نفع الله به) ، ولولا ان اسم المؤلف الحقيقي موجود في تلك الصفحة لنسب هذا الكتاب لهذا المالك .

ونجد في نسخة « مختصرة الجمهرة » في مكتبة راغب باشا في اسطنبول رقم ٩٩٠ اسم ابن قدامة مكتوباً في آخر الصفحة الاولى من تلك النسخة مما دفع مفهرسي المكتبة الى نسبة الكتاب لابن قدامة وهو ليس له ، بل هو ممن ورد اسمه في الحاشية .

لهذا لا يستبعد أن يكون السمهودي اطلع على نسخة ناقصة أو مختصرة من ذلك الكتاب ، وفي طرتها اسم الأسدي فنسب الكتاب اليه .

للبحث صلة

يَوْمُ الكَرامَة

إليْكَ ! فلَسْتُ من طَرَبٍ أُغَنّي   بكى قلبي أسىً وافترَّ سِنّي
شَدَوْتُ ، فلم أجِدْ وَتَراً فماتتْ   على شَفَتَيَّ الحاني وفَنّي
تَكادُ إذا هَتَفْتُ بها القوافي   وقد صَدَّتْ ، تقولُ : إليْكَ عَنّي
وكنتُ إذا هَتَفْتُ بها أجابَتْ   وفاض رحيقُها من كُلِّ دَنِّ
أأشْدُو ، والرَّدَى الجبّارُ يَخْطُو   على كَبِدي ، ويُمعِنُ في التَّجَنّي؟!
ومَلْءُ أضالِعي ألَمٌ عَصِيٌّ   يُمَزِّقُني بِداءٍ مُسْتَكِنِّ !!

* * *

أساءَت الظّنَّ ، لمْ تَعُدِ القوافي   كما كانتْ ، ولم يَعُدِ المُغَنّي
تَغَيَّرَتِ المشاعِرُ والسَّجايا   وباتَ الشِّعْرُ مَثْلومَ المِسَنِّ
وكانَ إذا شَدا رُفِعَتْ جِباهٌ   وحَمْحَمَ صافِنٌ لِصَدىً مُرِنِّ
وثارَ مِنَ النَّقيعِ دُجىً يُغَطّي   جَبينَ الشمس ، عِثْيَرُهُ الدُّجُنّي
وهَبَّتْ نَخْوَةٌ وسَما إباءٌ   يَعافُ الضَّيْمَ – عِزّاً – والتَّدَنّي

* * *

سَقى (الأرْدُنَّ) هطّالُ الغوادي   وحَيّا شَعْبَهُ العَرَبيَّ عَنّي
فَكَمْ هَزَّتْ بُطُولَتُهُ فؤادي   وأحْسَنَ بالعُرُوبَةِ سوءَ ظَنّي
وكانَ صمودُهُ الجَبّارُ دِرْعي   وكانَ ثَباتُهُ الرّاسي مِجَنّي
وَرَدَّ لِيَ اليَقِينَ بأنَّ قَومي   وإنْ صَبَروا على حَيْفٍ وغَبْنِ
هُمُ الأعْلَوْنَ ، عَزْماً وانطِلاقاً   إلى يَوْمِ العِراكِ المُرْجَحِنِّ
وما يَومُ (الكَرامَةِ) وهْوَ يَومٌ   لَهُ ما بَعْدَهُ وَزْناً بِوَزْنِ
سِوَى يَوْمٍ أغَرِّ الشَّمْسِ تَسْمو   بِهِ الأيّامُ ، في نَصْرٍ أغَنِّ !!

جازان   محمد بن علي السنوسي

المعجم الجغرافي الحديث للبلاد العربية السعودية

مقاطعة جازان

- ٥ -

حرف الصاد

الصّابر : صفة مشبّهة لمن اتصف بالصبر أو صبر في أمر من الأمور . وهو هنا اسم على قرية من قرى بني الغازي .

صَامِطة : بفتح الصاد بعدها الف فميم مكسورة ، فطاء مهملة مفتوحة فهاء: بلدة في جنوب المنطقة على وادي ليّة .

السَّبِخة : على اسم واحدة السباخ من الأرض ذات الملح والنز : اسم على قرية في ساحل الجعافرة وينطقها أهل جهتنا بالصاد فيقال لتلك القرية (الصبخة) وموقعها شمال قرية (الحرف) السابقة في حرف الحاء [راجع الخريطة الملحقة باخر الجزء الثاني من كتاب « المخلاف السليماني أو الجنوب في التازيخ » لوادي (صبيا)] .

صَبْيا : بفتح الصاد وسكون الباء الموحدة وفتح الياء بعدها الف مقصورة ذكرها ياقوت في معجم البلدان فقال : صبيا من قرى عشر من ناحية اليمن . والصواب من قرى عثر . ونرى أن نعيد هنا مـــا كتبناه في كتابنا « المخلاف السليماني أو الجنوب في التأريخ » بعنوان (وادي صبيا) :

(وادي صبيا قد ألهم غير واحد من الشعراء قديماً وحديثاً روائع من الشعر الخالد ، وفيه يقول القاسم بن عـــلي الذرويّ — القرن السابع — من قصيدته المعروفة :

من لصبّ هاجه نشر الصبا　　لم يزده البين إلا نصبـــا
وأسيرٍ كلـــما لاح له　　بارق القبلة من (صبيا) صبا

الى أن يقول :

يا اخلائي بـ (صبيا) واللوى　　واصيحـــابي بتياك الرُّبا
هل لنا نحوكـُمُ من عودة　　ونرى سدركم والكثبا ؟ !
فلكم حاولت قلبي جاهداً　　يتسلى عـــن هواكم فأبى
فاذكروا صبّابكم ذا لوعة　　بانَ عنكم كارهاً مغتصبا

راجـــع القصيدة كاملة في ص ١٠ — ١٢ مع ترجمة الشاعر في كتابنا « الجراح بن شاجر شاعر المخلاف السليماني في القرن العاشر ، دراسة وتحليل »

وفيه يقول الجراح بن شاجر :

ولي في رُبا (صبيا) حبيباً عشقته　　وملكته رقيّ ، واصفيته ودي
إذا صـــدعني ساعة خفقت له　　حشاي، وذاب القلب من حرقة الصدّ

وفي صبيا أيضاً يقول الامام محمد بن علي الإدريسي من قصيدة أرسلها إلى والده في مصر وهو يطلب العلم بالازهر :

الا هل لقلبي سلوةٌ عن معاهد　　بشرق (الغرا)حيث المكارم والنبلُ
بها القلب في دين الهوى قد جعلته　　شعوباً ، ودمع العين راوٍ ، له نقل

وله من قصيدة أخرى :

أتلك بروقاً ما أراها لوامعا　　تضيء بدوراً أم شموساً طوالعـــا ؟
أم النور من (صبيا)سرى مُتَألّقاً　　فحيّا فؤاداً كان بالحب والعـــا ؟

وفيها يقول شاعر الجنوب ومؤرخه واصفاً مدارج طفولتـــه ومراتع صباه من قصيدة أولها :

في سفح(صَبْيا) وتحت السدر والطنب　　مَرأى تتوق اليه الروح في طرب
زمرديُّ الحواشي حيث ما نظرت　　عيناك منه بدا في منظر عجب

حيث الطبيعة لم تعبث بفطرتها ... يَدُ المشذّبِ، في شكل من اللعب
بين المزارع حيث الأرض قد لبست ... من سندس، حلّة فينانة الهُدُبِ
بين المروج غداة الطلّ باكرها ... مكللاً هامة الأغصان والعَذَب

* * *

في ضفّة الواد حيث الشط تُرْبَتُهُ ... «حصباءدرٍّ على أرض من الذهب»[1]
والماء يطفح قد طمت غواربه ... صلع الروابي، وجازت هامة الكثب
ينساب كا (لصلّ) في أحشاء مخضلة ... مَوْشيّة بطراز (الزهر) و(العشب)
طامٍ جرى فاستذلت كل مشرفة ... من التلاع، ولاذ الجدبُ بالهرب
تقلدت منه (صبيا) عِقْدَ غانية ... في جيدِ مشرقة الأطواق واللبب

* * *

يا حبذا (البدر) قد فاضت أشعته ... على الغدير وماج الماء بالشهب
حتى ظننا أديم الماء قد سبحت ... فيه (الكواكب) طفو الكأس بالحبَب
وقد بدا من خلال الغيم مؤتلقاً ... على الهضاب، وحزن الأرض والسهب
يمج ذائب (ماس) من أشعته ... في لجة الماء، أو ذوب من اللهب
وغابة (السدر) تبدو في جلالتها ... شَمّاءَ، سامقةَ الأفنان كالقبب
من كُلّ عارية الأسواق كاسية ... أضفت على وجهها ستراً من الحجب
تقنعت بصفيق الخزّ، واشتملت ... مطارفاً من نسيج الغيث والسحب

* * *

والشمس من خلل الأغصان ناظرة ... كليلة الطرف في دلٍّ وفي غضب
فاضت أشعتها، كالتبر ذائبة ... على نثير دموع الطلّ في القصب

---

(١) تضمين.

يذري النسيمُ جماناً من معاطفها يحكي سقيطَ دموعِ الخُرَّدِ العُرُبِ

. . .

هناك حيث بصرت النور في أفق ضاحي الجلال، وضيءَ المجد والحسب
هناك مثوى كريم ضمه جـدث حوى الفضائل والاحسان، وهو أبي
نمته (هاشم) من أعلا الذرى ونمى مني البيان، وفيضَ الشعر والأدب

و (صبيا) اسم يطلق على وجه العموم على الوادي المعروف [راجـع الفصل الخاص بأودية المخلاف السليماني ص ٣٧ ج١ من كتابنا « المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ » وعلى وجه التخصيص يطلق على المدينة المعروفة بهذا الاسم] ذكرها الهمداني في « صفة جزيرة العرب » ضمناً في :

ص ٥٤ فقال : وفي بلد (حكم) قرى كثيرة يقال لها المخارف وصبيا .

و ص ٧٣ فقال: ثم وادي صبيا وهو من مساقط بوصان والعر[1] وأنافية، ويسقي صبيا الى نصر الأمان في جادة عثر .

---

(١) ان استقراء الواقع على الطبيعة لوادي صبيا لا يتفق وقول الهمداني ، فقد سألت شيخ جبل فيفا وهو خير من يعلم تلك النواحي ، هل مساقط وادي صبيا من بوصان والعر ، وأنافيه ، فقال خذ عني: إنه ليس لوادي صبيا أي صلة أو روافد لا من بوصان ولا من العر أو غيرها من جبال اليمن ولا من فيفا وبني مالك السعودية ، وان بوصان في الجبال الشرقية لليمن ويليـه العر ، والعر هو شرق جنوب فيفا ، وان وادي صبيا وفرعه الثلاثة مساقطها كما يأتي : وادي قصي من شمال جبال بني الغازي وجنوب جبال آل احمد من جبال هروب ، وجبل الحشر ووادي صبيا من جبال هروب الشمالية وجبال آل مصهيف ، ووادي دامس من جبال الحساب وما جوارها (راجع خريطة وادي صبيا في آخر الجزء الثاني المخلاف السليماني) وقد أيد رواية شيخ فيفـا هذه ، شخص ثقة بأنه لا صلة لجبال اليمن مثل بوصان وأنافية أو العر . كما أفـادني شخص ممن سكن في جهة هروب وتجول في نواحيها مدة لا تقل عن خمس سنوات أفادني قائـلاً : ان وادي قصي من جبل « الحشر » وله بعض روافد من جبل آل مصهيف » قلت له أليس له روافد من بني الغازي ؟ فقال : ما لي علم ويمكن ان تكون بعض شعوب من شمال بني الغازي ترفده — فسألته عن وادي « صبيا » قال : أعلم ان « صبيا » هو شامي « قصي » اي انه اي وادي « صبيا » مساقطه ومجراه شمال وادي قصي « ورؤوسه من جنوب جبال هروب ، وبالأخص من جبل ←

و ص ١٢٠ فقال: وببلد حكم قرى كثيرة مثل العداية والركوبة والمخارف والقليق وبها وادي حرض وحيران وجدلان ووادبا بني عبس، ووادي الحيد تعشر ، وجحفان وليّة وخُلَّب ، وزائره ، وشاية وضمد وجازان وصبيا وملوك من ذكرنا من الحكميين ثم من آل عبد الجد .

وجاء في التاريخ الموسوم بـ « السلاف في تاريخ صبيا والمخلاف » للعلامة النمازي باسناده عن علي بن هادي المنسكي أن أول من اختط مدينة صبيا – الحالية – أي صبيا القديمة تمييزاً لها عن صبيا الجديدة الآتية بعدها هو الأمير دُريب بن مُهارش الخواجي في سنة ٩٥٨ هـ وكانت مساكنهم قبل ذلك في طرف الوادي ، من الغرب في موضع يسمى (أبو دُنقور) السابق اسمه في حرف الألف .

وصف مدينة صبيا

مدينة صبيا القديمة على حرف الوادي والسيل آخـذ في ضرب أطرافها ، وقد أقامت الحكومة سداً من الحجر من الناحية الشرقية ، دفع عنها بعض الخطر إلا أن معظم الخطر يتهددها من الناحية الجنوبية الذي لا يحميها منه إلا سد من التراب لا يغني شيئاً .

تعد مدينة صبيا مركزاً تجارياً على خط جازان – جدة . وسوقهـا الاسبوعي من أكبر الأسواق الدورية في المنطقة .

يقدر سكان صبيا والقرى التابعة لها بسبعة وعشرين الف نسمة على وجـه التقريب .

← منجدوما تعالاه = يقصدوادي صبيا = واستشهد بقول شاعر من شعرائهـم الشعبيين ولم يتذكر اسمه .

ترعى « قصي » وديرة « الحسّاب » ولا ورد « صبيا » مناهيله

والحساب هنا يقصد قبيلة الحساب وجبلهم بين جبال « هروب » والصهاليل ، ومعنى البيت يقول : ابله ترعى من مراعي قصي ، ومن مراعي بلاد الحساب ، وترد وادي صبيا الذي هو من المناهل التي تردها ابله .

صبيا الجديدة : شرق صبيا القديمة بنحو خمسة أكيال أسسها الامام محمد الادريسي عام ١٣٣٨ وأطلق عليها اسم الادريسية ولا تزال أطلال قصره تشاهد بها .

صاحب البار : بفتح الباء على صيغة الصفة المشبهة : اسم يطلق على قريتين أحدهما تسمى صاحب البار الأعلى والاخرى صاحب البار الاسفل وموقعهما شرق قرية الجاضع .

صَحْراء : على اسم الصحراء المعروفة غير انها هنا نكرة : اسم قرية صغيرة بين واديي (ضمد) و (جورا) .

صُحَيف : مذكرة : من قرى جبل الحشر .

صِدّيقَة : مؤنثة وبصيغة المبالغة : قرية من القرى التابعة لأبي عريش .

الصرمين : على صيغة المثنى من قرى جبل هروب .

الصرّان : على صيغة المثنى المرفوع من قرى جبل هروب .

الصّفَاة : على اسم واحدة الصفاة من الصخر : من قرى جبل هَروب .

الصّفِيف : بفتح اوله وثانيه وكسر ثالثه وآخره فاء مكررة : من قرى جبل العبادل .

الصّقْمان : مثنى صقع : من قرى الشقيق .

صَلْبَة : بفتح أولها : من قرى جبل فيفا .

صُلْبِية : بضم أولها وسكون اللام وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المثناة ثم هاء : من قرى المُوَسّم .

صَلاصَل : بفتح اولها وفتح اللام الأولى وفتح الصاد الثانية ثم لام : من قرى بني الحرث غرب قرية الخُوَبَة .

صَلْهَبَة : بفتح اولها وسكون اللام وفتح الهاء ثم باء موحدة مفتوحة بعدها هاء : قرية جنوب بلدة صبيا الجديدة .

الصُّهادُ : بفتح أولها وثانيها : من جبال بني الغازي .

صُمْعَةُ : بضم الصاد وسكون الميم وفتح العين المهملة ثم هــاء : من قرى جبل (العبادل) التي في حرف العين .

الصَّميد : بفتح الصاد والميم (؟) ، وبعضهم يسميه الصليل : من قرى جبل الحشر – السابق في حرف الحاء .

صَنَبَةُ : بفتح الصاد المهملة وسكون النون الموحدة وفتح الباء الموحدة ثم هاء : قرية من قرى وادي ضَمَد .

الصَّنْدَقَةُ : بفتح الصاد وسكون النون الموحدة وفتح الدال المهملة وتشديد وفتح القاف المثناه ثم هاء : قرية غرب بلدة (الشُّقيق) السابق في حرف الشين .

الصَّندَلين : على صيغة المثنى : موضع شرق الملحا ورد اسمه في حوادث سنة ١١٠١ [راجع ص ٤١٣ ج ١ من كتابنا « المخلاف السليماني أو الجنوب في التأريخ »وقد وقع غلط مطبعي فيه باسم (الصنيدلي) والصحة الصندلين] .

الصُّنيدِلي : بالتصغير : جنوب قرية الدّملج ، من أعمال بلدة (الشُّقيْق) .

الصّهاليل : بفتح الصاد والهاء ثم الف فلام مكسورة فياء مثناة ثم لام :جبل شمال شرقي جبل هروب يقدر ارتفاعه بنحو ٤٠٠٠ قدم تقريباً. ينسب إلى قبيلة الصّهاليل المعروفة ، شرق المنطقة .

الصّيّابَةُ : بصيغة المبالغة : من قرى بني الحُرّث شرق بلدة الخوبة السابقة في حرف الخاء .

الصّيّابة : على اسم سابقتها : من قرى جبل بني حريص ، من أعمال العارضة

الصّيّادُ : بفتح أوله وبصيغة المبالغة : قرية صغيرة شرق قرية البيسري السابق في حرف الباء من قرى وادي تعشر .

صَبِّر : بفتح أوله وكسر الباء المشددة ثم راء مهملة : من قرى جزيرة فرسان السابق ذكرها في حرف الجيم (جزيرة) .

حرف الضاد

الضّاجِـعُ : بفتح الضاد المثقلة بعدها الف فجيم معجمة مكسورة فعين مهملة : من قرى جبل هروب .

ضُبَيْرَة : بالتصغير : من قرى بني الحُرْث .

الضّحِيَّةُ : على اسم الضحية المعروفة : من قرى جبل هَروب .

ضَمَد : قال صاحب « الذهب المسبوك » مخطوط : ضمد [1] من أودية تهامة ، وفي « نهاية ابن الأثير » في باب الضاد ما لفظه ان رجلاً سأل النبي ﷺ عن البداوة فقال اتق الله ولا يضر أن تكون بجانب ضمد وهو بفتح الضاد والميم) انتهى . وفي « شرح الخمر طاشية » على قوله :

وَاهاً لقوم غالهمْ صرفُ الردى والتحقوا بـ (ضَمَدٍ) أو بـ (صَدَا)

قال : ضَمَدَ وصَدا هما قبيلتان من مَذْحِجٍ [راجع ص ٣٦ ج ١ الفصل الخاص بأودية المخلاف السليماني من كتاب « المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ » حول مساقط ذلك الوادي وروافده ومحاريثه — وراجع الخريطة الملحقة بآخر الجزء الثاني من المصدر نفسه] .

ضَمَدُ : بلدة تسمى باسم ذلك الوادي ، قال صاحب «الذهب المسبوك »: أما قرية ضَمَد — الحالية — فالمشهور انه أول ما اعتمر في زمن

---

(١) سألت شيخ جبل فيفا عن مساقط الوادي بفرعيه « ضمد ـ جورا » فقال : ضمد ساقط من شمال جبل منبِّه ومن جنوب شرق جبل فيفا ومن شرق وجنوب جبال بني مالك. ومساقط « جورا » من شمال شرق جبال بني مالك ومن أعالي جبلي مصيدة والصهاد وبقعة آل امْغَنَيَه وحدور من جبال بني البغازي .

القاضي محمد بن علي [1] بن عمر وبنى فيه المسجد الحَجَر وعمّر جامعه القديم الذي جحفه السيل في عام ١٢٠١ هـ الى أن قال : وبلدة ضُمد القديمة كانت بموضع قرية مُخْتارة ، التي بنا فيها الوزير حسن بن خالد قلعته [2] وهو الذي سماها مختارة ، وكان فيما سلف يسمى (نجران) وبه كان الشاعر القاسم بن هُتَيْمِل . انتهى . وجاء في كتاب « مطالع البدور » لابن أبي الرجال الصنعاني : مما اشتهر على الألسنة ان ضمد لا يخلو من عالم محقق أو أديب بليغ الى زماننا هذا — أي زمان المؤلف .

الضَّمرة : بفتح الضاد المثقلة وسكون الميم وفتح الراء المهملة ثم هاء : من قرى بني الغازي

الضَّيعةُ : على اسم المرة الواحدة : من قرى هروب .

حرف الطاء

طَالعَةُ : على اسم الفاعل المؤنث : من محلات جبل فيفاء .

الطّحلةُ : على اسم طحلة الانسان والحيوان : من أرباض جبل فيفاء .

---

(١) هو القاضي محمد بن علي بن عمر الضمدي قال صاحب « العقيق اليماني في تأريخ المخلاف السليماني » « مخطوط » في حودث سنة ٩٩٠ هـ ما يأتي باختصار : وفيها توفي الشيخ العلامة الفقيه الفهّامه محمد بن علي بن عمر الضمدي ، قرأ على الشيخ محمد بن يحيى بهران بصعدة ، إلى أن قال : ثم نزل إلى تهامة وتعلق بصحبة شريف مكة أبي نُميٍّ وولده الحسن ، فبالغا في تكريمه ، فكان يقيم عندهم حيناً ، وحيناً ببلده — ضمد — وكان فيه من مكارم الأخلاق ما يبهر العقول ، ومن « مآثره » ما من الله به على أهل وادي ضمد بالعفو عن أهالي ضمد من العوائد الحكومية عن طريق شريف مكة الذي بعث بالأمر السلطاني إلى الباشا بصنعا فتلقاها بالقبول وزاد عليها علاوة على وادي ضمد أودية وساع وبيش ورملان وعِتوَد والشُّقيق ، واستمر العمل بذلك إلى نهاية الدولة العثمانية » إلى أن قال : وكان الفقيه غاية في علم المعقول والمنقول ، وله نظم فائق ، ونثر رائق ، وخط حسن الخ ...

(٢) عمّر الوزير قلعته في أوائل العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجري في إمارة حمود بن محمد آل خيرات .

الطَّرْشِيَةُ : بفتح الطاء المثقلة وسكون الراء المهملة وكسر الشين المثلثة وفتح الياء المثناة : قرية جنوب بلدة صامطة .

الطرْفُ : بكسر الطاء المثقلة وسكون الراء المهملة ثم فاء موحدة : جبل القلتين الآتي في حرف القاف .

الطرْفة : بضم الطاء وسكون الراء المهملة ثم فاء موحدة : رأس ضارب في البحر [راجع حرف الشين شواطىء جازان] .

الطرَف : بفتح الطاء المهملة والراء المهملة ثم فاء : من أرباض جبل فيفاء .

طفْشَةُ : على اسم المرة الواحدة : واد معروف ، قرب الحقو ، وهو من روافد وادي بيش .

الطَّمْحة : بفتح الطاء وسكون الميم وفتح الحاء المهملة بعدها هاء : قرية قبيلة الطّمحة ، في الطريق بين صبيا وجازان .

طَنَاطِنُ : بفتح الطاء الاولى والنون الموحدة ، وكسر الطاء الثانية ، ثم نون ثانية : من قرى الحقو ، السابق في حرف الحاء .

الطِّوَالُ : جمع طويل : من قرى بَنِي حُمَّد بضم الحاء المهملة وفتح الميم المثقلة ، شرق قرية عنطوطة الآتية في حرف العين .

الطَّواهِرَةُ : بفتح الطاء وفتح الواو بعدها الف فهاء مكسورة وراء مهملة مكسورة فهاء : قرية بشمال قرية سوق الاحد

الطّاهِرية بفتح الطاء وكسر الهـــاء من قرى وادي ضَمَد جنوب قرية خُضَيْرة [تقدّم في موضعها]

طَنَيْرةُ : على اسم المرة الواحدة : من قرى بني مالك .

طَيْرِيَةُ : بكسر الطاء وسكون الياء المثناه وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة مكسورة فهاء : قرية شمال قرية القعارية (امقعارية) من ضواحي مدينة جازان

الطايف : على اسم مدينة الطائف المعروف في الحجاز : قرية في بلاد بني الغازي غرب قرية الحناية السابقة في حرف الحاء

طَيَّةُ : على اسم المرة الواحدة من الطي ضد النشر : من قرى بني الغازي .

الظَّبية : على اسم الظبي مؤنثة : قرية في جنوب صبيا

الظَّافِرِيَّةُ : بصيغة النسبة : قرية شمال مدينة ابي عريش .

الظَّاهِر : على صيغة اسم الفاعل : من قرى بني الغازي

الظَّهر : على اسم ظهر الانسان : من قرى جبل هُرُوب

ظَهْرُ الموتر : على اسم الظهر مضافا الى الموتر الاسم الاعجمي للسيارة : من قرى الحَقْوُ ويظهران الاسم محدث

الظهراني : نسبة الى الظَّهر : من قرى جبل (سلا)

حرف العين

عَبَبَة : على اسم واحدة العَبَب الشجر المعروف : من قرى وادي تعشر غرب قرية الحجفار السابقة في حرف الحاء .

العَبَادِلُ : جبال العبادِل ، من جبال المنطقة ، قرب حدودنا الشرقية الجنوبية ، وتنسب الى القبيلة التي تسكنها وهي قبيلة العبادل بفتح العين والباء بعدها الف فدال مهملة مكسورة فلام، ويقدر ارتفاع جبالها بـ ٣٠٠٠ قدم تقريباً .

العَبْدَلِيَّة : بصيغة النسبة : من قرى المُوَسَّم .

العَبْدَلِيَّة : على اسم سابقتها : من قرى المسارحة قرب قرية العلولية الآتية .

العِبادِيَّة : بفتح الباء المثقلة من قرى المسارحة : بين قريتي (الشطيفية) و (المنصورية) .

العَبْدَان : مُثنى عَبْد : من قرى بني الغازي .

العَبْر : بفتح العين وسكون الباء من قرى العارضة .

العابِطيَّة : بصيغة النسبة : من قرى الحُرَّث قرب قرية القرن الآتية في حرف القاف .

عَبَكُ : بفتح العين والباء الموحدة : من قرى جبل العبادل من أعمال العارضة .

عَتَبَة : بفتح العين والتاء والباء وآخرها هاء : من قرى المسارحة ، بين الرافعي وسوق الليل .

عُتْمَة : من ارباض جبل فيفا .

عِتْوَدُ : بكسر العين وسكون التاء وفتح الواو وآخره دال مهملة : واد مشهور معروف ، ورد اسمه في أشعار العرب ، وذكره الهمداني وياقوت وغيرهما قال صاحب « معجم البلدان » : حكى ابن دريد انه لم يجيء على وزن فِعْوَل غيره [1] : قال ابن مقبل .

جلوساً به الشم الطوال كأنهم أُسُودٌ بتَرْجٍ أو أسود بـ (عِتْوَدَا)

وهو ماء لكنانة ولخزاعة قال بُديل بن عبد مناةِ :

ونحن منعنا بَيْنَ(بَيْضٍ)و(عِتْوَدٍ) الى حيق(رَضْوَى)من مَجَرِّ القبائل

وبيض واد معروف سبق اسمه في حرف الباء .

عَثَّر : بفتح العين والثاء المثقلة مدينة أثرية ، وقد نشرنا عنها تحقيقاً في « مجلة العرب » نورده هنا للفائدة مع إضافة زيادات اقتضاها البحث :

---

(١) وغير خرْوع – كما في « معجم ما استعجم » للبكري . وزاد : وقيل : عتودُ : اسم وادٍ خشن المسلك مشتق من العتودة ، وهي الشدة في الحرب والخصومة ، وغير ذلك . اهـ.

هي مدينة تاريخية في المخلاف السليماني – مقاطعة جازان حالياً – أشار الى ذكرها غير واحد من الرحالة العرب ، وتردد اسمها على ألسنة الشعراء ، وقد دثرت في تاريخنا هذا ، ولم يبق لها إلا أهميتها التاريخية وتحقيق اسمها علمياً ليسهل على هواة البحث وعشاق التاريخ وروّاد التنقيب عن الآثار موقعها والنبش عن تاريخها المطمور .

ونفهم من صفة جزيرة العرب للهمداني ان اسم (عثر) يطلق على المدينة على وجه التخصص وعلى مخلافها[١] الممتد من شمال (صبيا) الى (حمضة)على وجه التعميم

– (عثر في الشعر :) –

قال عروة بن الورد[٢]:

تبَغَّانِي الأعداءُ اما الى دم   واما عراض الساعدين مصدرا
يظل الاباء ساقطا فوق متنه   له العدوة القصوى اذا القرن اسحرا
كأن خوات الرعد رز زئيره   من اللاء يسكن (الغريف[٣]) بـ(عثرا)

وقال زهير[٤] :

ليث بـِ (عَثّر) يصطاد الرجال اذا   ما الليث كذب عن اقرانه صدقا

مما يدلنا انه كان بالقرب منها مأسدة قرنت باسمها من باب التغليب ، وإذا دققنا النظر – لا في مخلافها الواسع ولا في اسمي الغريفين المشار اليهما – بل في ما حول موقع (عثر) فاننا نجد قربها حراجاً من شجر الأراك

(١) قال الهمداني في صفة جزيرة العرب ١٢٠ ثم مخلاف عثر ... وفيه من الأودية الأمان وبْيش وعتودَ وبيْض ، وريم وعرمرم وزنيف والعمود وهو لخولان وكنانة والازد وملوكه من بني مخزوم ومن عبيدها .

(٢) يوجد في تأريخنا الحاضر موضعان يعرفان باسم الغريف احدهما قرب قرية « المحلة » الأتية في حرف الميم والآخر قرب قرية الحضن السابقة في حرف الحاء وسيأتي اسمها = اي العريفين = في حرف الغين .

(٣) ديوان تحقيق الاستاذ عبد المعين الملوحي ص ٦٣ (٤) تاج العروس « عثر » .

وغيره، لا تزال باقية الى هذا التاريخ، ولا تزال شاجرة ، قسم منها للحكومة وقسم بين الجعافرة والسباعية ، وقد التجأ بعض الناس في حراجها في ثورة عام ١٣٥١ بأسرهم ، رغبة في السلامة ، وطلباً للعافية في تلك الفتنة الشعواء، فكانوا بوقاية الله ، في مأمن بين تلك الحراج - كما أخبرني الاستاذ عبد القادر خرشد وهو وعائلته ممن التجأ اليها ، حتى أقرت الحكومة الأمن ، وقد تكون في العصور البعيدة أكثر اشجاراً ، بل غابة ومأسدة .

مدينة عثر في كتب الرحالة العرب :

١ - ذكرها الرحالة اليعقوبي المتوفي سنة ٢٧٨ هـ في الطريق بين مكة وصنعاء .

٢ - ذكرها الهمداني فيغير موضع من كتابه «صفة جزيرة العرب»، نورد منها :

أ - في ص ٤٥ في الفصل الخاص بأطوال مدن العرب المشهورة فقال : وعرض عثر ٢/٤ ١٦ وطولها من المشرق ١/٤ ١١٩ .

ب - في ص ٥٢ حيث قال : فباحة جازان الى عَثّر ، فرأس عثر وهو كثير الموج .

ج - في ص ٥٤ فقال : ثم بيش وبه موالي قريش ، وساحله عَثّر وهو سوق عظيم شأنها .

٣ - ذكرها عمارة في « مفيده » في غير موضع ومنها :

١ - في ص ٣٩ فقال : وممن امتنع من اعمال أبي الجيش الزيادي سليمان ابن طرف صاحب عَثّر ، وهو من ملوك تهامة ، واعماله مسيرة سبعة أيام في عرض يومين ، وهي من الشرجه الى حلي ومبلغ ارتفاعه - أي خراجه - خمسمائة الف دينار . انتهى ، ونلاحظ انها هي نفس المسافة التقريبية بين الموسم - التي الشرجه في ساحله - وبين حلي .

٣ — وفي ص ٤٢ قال في تعداد مراحل الطريق الساحلي : (الحردة[١] ، الزرعة ، الشرجة ، المفجر ، القنيدر ، عثر ، وهي مقر ملك قديم) .

٤ — ذكرها ابن خرداذبَة في كتابه « المسالك والمهالك » ص ١٩٣ في الطريق الساحلي فقال : (فمخلاف حكم ، عَثر ، فمن أراد طريق الجادة أخذ من عثر الى العرش ثم جاز على طريق المخاليف) . ونلاحظ انه ذكر العرش بعد عثر في الطريق الى (مكة) بينما أن العرش يذكره اليعقوبي في الطريق من مكة الى اليمن بعد بيش ويعرفه بـ (العرش من جازان ، فيعدّد المراحل ... يبا ، المعقر ، ضنكان ، زنيف ، ريم ، بيش ، العرش من جازان) وهو ما يتفق والحقيقة والواقع ، وينطبق على موقع ابي عريش — حالياً — الذي تسقى مزارعه الى الآن من وادي جازان ، وقد يكون وقع السهو في تسجيل ابن خرداذبة . انتهت ملاحظتنا ونعود الى قول ابن خرداذبة قال: (ومن أراد الساحل أخذ من عثر الى مرسى ضنكان ثم مرسى حلي) انتهى .

٥ — ذكرها المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم » ص ٨٦ حيث قال : وناحية عثّر ناحية جليلة ، عليها سلطان برأسه ، ومدنها نفيسة ، وعَثّر مدينة كبيرة طيبة مذكورة لأنها قصبة الناحية ، وفرضة صنعا وصعدة ، بها سوق حسن ، وجامع عامر يحمل اليها الماء من بعيد ، وحمامها وضر . وبيش أطيب هواء منها وأعذب ماء .. الخ، انتهى. وذكرها في ص ٩٩ حين نسب اليها الدينار العَثّري . وفي ص ١١٣ عند ذكر المراحل من صنعا .

---

(١) الحَرْدّةُ والزّرعة ضمن تهامة اليمن ، ونعتقد انهما غير معروفتين ، أما الشَّرْجَة فهي في ساحل المُوَسَّم وسبق اسمها في حرف الشين ، وأما القنيدر فقد أعاننا الله على تحقيق موضعه بعد البحث المتواصل وهو شرق شمال قرية « مِزْهِرة » من قرى الحَكامِيَة ، وقد دثر في تأريخنا الحاضر وانما موقعه لا زال يعرف بـ « الكنيدر » بإبدال القاف كافاً ، وإذا تتبعنا مسافة المراحل بوسائل المواصلات القديمة نجد أن من الشرجة الى ما كان يسمى « المفجر » وهو غير معروف = الآن = ونقدّر انه حول قرية « المرابي » الآتية في حرف الميم في ساحل وادي خُلَب ، نقدر بمرحلة أي مسافة ٤٥ كِيلاً ومنه الى « الكنيدر » نفس المسافة ، ومن الكنيدر الى عثر ٤٥ كَيلاً تقريباً .

٦ – ذكرها المؤرخ الأهدل في تأريخه « تحفـــة الزمن في ذكر سادات اليمن » عند ذكر القضاة بني صالح فقال : (إن أصلهم من مدينـة جدّة ، فحصل بينهم وبين صاحب مكة ما حصل ، فانصرفوا الى فارس ، فلم تطب لهم فسكنوا جزيرة عَشّر ، وهي جزيرة في البحر ، سمّيت بذلك لأنها تقابل قرية يقال لها (عثر) بين حرض وحلي) انتهى .

وقد يكون في وقت نزوح جـدّ بني صالح قد تناقص عمرانهـــا الى ان أصبحت قرية . بعد أن كانت من المدن المشهورة . أما الجزيرة ، فقد أخبرني شيخ قبيـلة الجعافرة – الذين اطلال المدينة التأريخية في مواطنهم في هـــذا التأريخ – أنه يوجد جزيرة في البحر، تسامت أطلال عَشّر ، وليست ببعيدة عن الشاطىء ، وهي غير مسكونة في تأريخنا الحاضر .

عثر في المصادر الغربية :

جاء في حواشي المستشرق (كاي) على تاريخ عمـارة حول مدينة عثر ما يأتي :

١ – في الحاشية ١٥ : (أما فيما يتعلق بـ (عثر) فقد جـاء في « صفة جزيرة العرب » للهمداني بانها تقع شمال باحة جازان ، ويمكن ان نفترض انها هي نفس بلدة جازان المدونة على خارطة البحرية البريطانية . وقال في مستهل تلك الحاشية: (الشرجة) و(عثر) كانتا فرضتين هامتين على الساحل الشمالي لليمن ولا استطيع أن أحدد مكانيها بدقة، ولكن المقارنة الصحيحة للبيانات التي يمدنا بها مختلف الكتاب يجعل من الممكن تحديد موقعيها تقريباً ، ونحن في انتظار أبحاث جديدة أو دراسات على الطبيعة لهذه المواقع ذاتها التي يمكن أن تؤدي الى حل هذه المشكلة بدقة تامة : (والمقدسي الذي كتب قبـل هؤلاء بزمن طويل ، وصف عثر بانها مدينة كبيرة مشهورة) ، الى ان يقول في آخر الحاشية : (والخريطة الوحيدة التي وجدت عليها بلدة عثر مدونة هي خريطة اسبانية للعالم عملت في القرن ١٦ الميلادي يوجد نسخة منها في مكتبة ديوان الهند) انتهى .

ونلاحظ على أقوال المستشرق (كاي) بما يأتي :

١ – ان افتراضه ان (عَثّر) هي نفس بلدة جازان يجانف الحقيقة ، فعَثّر معروف موقعها وهي شمال قرية قوز الجعافرة بنحو خمسة أكيال وقرية القوز تبعد عن مدينة جازان بخمسة وثلاثين كيلا فتكون المسافة بين جازان وموقع اطلال عَثّر ٤٠ كيلا .

٢ – ونجيب على انتظاره لأبحاث جديدة ودراسات على الطبيعة تحل ما يسميه بالمشكلة بدقة تامة . اننا قمنا بما ينتظره من أبحاث ودراسات على الطبيعة . نرجو انها أزالت اللبس وجلت الغموض الذي كان يكتنف تلك المدينة الأثرية الخالدة .

٣ – نكرر الرجاء لمعالي وزير المعارف الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ وهو أهل للرجاء في الحصول على نسخة من خريط العالم الاسباني المحفوظة بمكتبة ديوان الهند بواسطة الملحق الثقافي في سفارتنا هناك .

عثر وأهمية آثارها التاريخية :

طغت الرمال على الكثير من مواقع المدينة ، فهي مطمورة المعالم ، إلا ما ندر من بقايا الأسس القليلة وبعض كسر الفخار ، وبعض شظايا الطوب المحرق ، وبعض معالم الآبار المطوية بالحجارة ، ويحدث أن تبرز بعض المعالم ، والقليل من الآثار التاريخية ، نتيجة لتعرية الأرض ، بفعل العواصف الشديدة أو السيول الجارفة ، ومما ظهر ووصل الى الحكومة وهو محفوظ في متحف الآثار بجدّة ومسجّل في كتاب « تأريخ جدة » .

١ – طست رخامي جميل صقيل من آثار الثموديين قطره ٦٠ سنتمتراً وعمقه ٢٥ سنتمترا .

٢ – تدوين كتابي على حجر .

٣ – جزء علوي من عمود .

٤ ــ عمود حجري رملي ابيض فيه زخارف عربية على شكل معين .

هذا ما وصل الى الحكومة ، وقدر له بعنايتها الحفظ ما عدا مـــا أتلفه الجهل ، أو أضاعه الاهمال ، يجهل من عثر عليه ، وروى لي صديق انه ظهر هناك ما يقارب الثلاثين من الآبار التي أظهرهما السيل في إحدى السنين القريبة وأهل البادية لا يثير اعجابهم شيء أكثر من وجود الآبار في موضع من المواضع وحبذا لو أعارت مديرية الآثار بعض العناية ، وقامت ولو ببعض الدرس لموقع تلك المدينة ، بعد أن برز البرهان وظهر الدليل المادي بوجود بعض آثارها، مما هو محفوظ في متحف جدة .

أما التاريخ السياسي لمخلاف عَثّر فنحيل القارىء الكريم الى ص ٨٠ و ٢٠٦ وغير ذلك من الفصول من كتاب « المخلاف السليماني أو الجنوب في التأريخ » .

العَثْمانيّة : بصيغة النسبة : من القرى التابعة لمنطقة أبي عريش شرق قرية (العمودية) الآتية .

عَشْوان : من جبال بني مالك قرب حدودنا الشرقية .

العَجِيبيّة : نسبة الى العَجب بفتح العين : قرية شرق شمال قرية بَخْشَة من ضواحي مدينة جازان .

العَدَايَة : بفتح العين والدال المهملة ثم الف فياء مثناة مفتوحة فهاء : قرية غرب مدينة صبيا بنحو سته أكيال ورد اسمها في شعر عمـارة الحدقي في قصيدة عنوانها (قال يرثي ولداً له يسمى محمد توفي ليلة الاثنين الرابع من جمـــادي الاولى من سنة ٥٥٦ هـ ،بمصر ودفن بالقرافة ويرثي ولده عبد الله وأخاه ودفن احدهما وهو أخـوه يحيى بـ (العَداية) من وادي وساع ، والآخر وهو ابنه عبد الله بـ (العرق من حُصَيب زَبِيد) :

قبر ليحيى بأكناف (العَدَايَةِ) لـَمْ تُؤْنِسْهُ أجداث آبائي وأجدادي

وفي الحُصَيْبِ لعبد الله مدرجة بـ(العِرْق) تُسْقَى بصوب الرائح الغادي

العَدَايَه : على اسم سابقتها : قرية قديمة قد دثرت في تأريخنا الحاضر ، وموقعها على عدوة وادي تَعْشَر الشمالية تقابل على وجه التقريب قرية (المرابي) ولا تزال احدى آبارها عامرة وتعرف بالعدايا — هكذا — وقد ذكرها الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» في ص ١٢٠ فقال : وببلد حكم قرى كثيرة مثل (العداية) والركوبة — السابقة في حرف الراء — والمخارف والقليق ... الخ .

عُدَيْنَة : بالتصغير اسم بلدة قديمة مطمورة تحت رمال مجرى وادي جازان وتظهر اطلالها كلما زاد فيضان السيول ، وبشمالها على عدوة الوادى اطلال بلدة (المَنَارَة) وفي يوم الجمعة الموافق ٢٥–١–٨٤ قمت برحلة استكشافية صوب موقع عُدَينَة وفي طريقي دخلت قرية الخَصَاوِيَة واستصحبت شيخ وادي جازان محمد علي عقيل وافهمته في اثناء الطريق بقصدي ، وسألته عما يعلمه عن تلك البلدة الاثرية فقال: اخبرني والدي عن شيخ معمر من اهل قريتنا انه توجد تحت اطلال مدينة المنارة او بالقرب منها من الناحية الجنوبية اطلال بلدة تسمى عُدينة وان والده اخبره ايضا انه كان يوجد اطلال قلعة او حصن قديم اجتاحها السيل عام ١٣٥١ .

سرنا في سيارتي الجيب من الخَصَاوية شرقا ، وبعد ان قطعنا نحو اربعة اكيال هبطنا الى مجرى الوادي وهنا — رحمه الله — فقد توفي سنة ١٣٨٥ — دلنا على موقع البلدة في نفس مجرى الوادي وبالبحث عثرنا على اثار اسس بناية مطمورة تحت الرمال ، ثم سرنا شرقا فوجدنا حفريات قام بها شخص يملك تلك الارض ، بغية العثور على بعض الاحجار لبيعها لاهل الابار ، وفعلا وجدنا في في تلك الحفريات أساس بناية قديمة من الطوب المحرق والحجارة ومن المشاهدة العيانية يظهر للمتأمل المدقق ان اثار بلدة (عُدَينَة) تقع في مجرى وادي جازان — الحالي المنخفض باكثر من خمسة

اذرع ، عن عدوته التي يوجد بها مباشرة آثار مدينة (المنارة) المطمورة تحت الثرى وليس يبعد ان يكون بنيت بلدة(المنارة) على اطلال (عدينة) المطمورة ولهذا شواهد فقد عثر المنقبون على مدينة طروادة تحت مدينة باسمها بنيت فوق انقاض طروادة القديمة . ولما سألته كيف بنيت عُدينة في مجرى الوادي افادني ان مجرى الوادي الحالي ليس هو بمجراه القديم ، وان المجرى القديم كان جنوبا عن هذا المجرى ، وان هذا يعرفه المعمرون، كما افادني ان السيل كشف قبل ما يقارب عشرة اعوام وعلى عمق ما يقارب ثمانية اذرع سلسلة من الآبار يبلغ عددها الخمسين مبنية بالحجارة ومبلطة بالنورة ، ويكاد وضعها ان يكون في خط مستقيم ، ويعتقد انها آبار بلدة (عُدَينة) وانه ظهر قرب الآبار اساس بناء يقدر انه اسطبل لان حوله مذاود واحواض ومرابض واضحة في الاساس الباقي من البناية ، وانه جاء سيل طمر تلك الاثار ، وعلى كل فمثل هذه الاثار لا تظهر حقيقتها الا الحفريات وحسبنا ان نسجل الواقع خدمة للعلم .

العَذر : بفتح اوله : ربض من ارباض جبل فيفاء

العُرُّ : بسكون اللام وضم العين المهملة : من قرى المسارحة ، غرب قرية الاحد .

عِرَاب : بكسر أوله وفتح ثانيه : من قرى الربوعة .

عَرب : بفتح أوله : من قرى الربوعة [لم يضبط الثاني ؟] .

العَرْجَيْن : مثنى عرج بفتح العين وسكون الراء : راجع حرف الألف(أبو العرج) : والعرجين غابة من السلم في نصف الطريق بين صبيا وجازان ، وقرية صغيرة للطمحة .

عَرْضاء : بفتح أولها فألف التأنيث الممدودة : من قرى جبل هروب .

العارِض : على اسم العارض بنجد : من قرى (الشُّقَيْق) شمال قرية الراجحية السابقة في حرف الراء .

العَارِضَة : بفتح العين بعدها الف فراء مهملة مكسورة فضاد معجمة مفتوحة ثم هاء : بلدة معروفة وهي في الوقت الحاضر قاعدة جبال العبادل وجبل سلا وجبال قيس وهي في الحزن جنوب مجرى وادي جازان .

العراعر : ربض في أعالي جبل فيفا .

العُرْضِيّة : بضم العين وسكون الراء وفتح الياء المخففة : من قرى الجعافرة شرق قرية سَوَادة السابقة في حرف السين .

عِرْق : بلدة الخبراية من المسارحة وتتبع العارضة اداريـاً وضبطها بكسر العين وسكون الراء المهملة .

العِرْقَة : بكسر العين وسكون الراء المهملة وفتح القاف المثناة ثم هاء : من قرى جبل (سلا) .

العِرْقَة : على اسم سابقتها : من قرى جبل هروب .

العَرُوج : بفتح العين وضم الراء المهملة والواو ثم جيم معجمة : من قرى ساحل وادي تعشر شمال قرية البيسري السابقة في حرف الباء .

العَرُوس : على اسم العروس المعروف : من القرى العائدة لمنطقة أبي عريش.

عَرْوان : بفتح العين وسكون الراء وفتح الواو بعده الف ثم نون :من ارباض جبل فيفاء .

العُرّة : على وزن الغُرّة في وجوه الخيل : قرية شرق بلدة الخَوْبَة ، من بلاد بني الحُرّث .

العَرِيس : [راجع حرف الشين مادة شواطىء) .

العريش : قرية شرق قرية الحُسَيْني بوادي صبيا .

العَرِيْنُ : على اسم عرين الاسد : من قرى جبل الحَشْر .

العَزَامَة : بفتح العين والزاي المهملتين بعدها الف فميم ثم هاء : حِلّة من الحِلل التابعة لصبيا .

عَزّان : بفتح أوله وتشديد وفتح الزاي بعدها الف ثم نون : من جبال بني مالك شرق بلدة القَهْبَة الآتية في حرف القاف يقدر ارتفاعه عن سطح البحر ٣٥٠٠ قدم .

العِزّيين : بسكون العين المهملة والزاي المعجمة ثم ياء مكررة فنون : جبل ينسب الى القبيلة التي تسكنه وهو جنوب الريث ، وشمال الصهاليل ، يقدر ارتفاعه بـ ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر .

العُسَيْلَةُ : بالتصغير : من قرى الجعافرة شرق قرية (الهَدَوي) الآتية في حرف الهاء .

العُسَيْلَةُ : على اسم سابقتها : من قرى الخرم غرب قرية بَحْرة السابقة في حرف الباء .

عشرة : [راجع حرف الشين شواطيء جازان] .

العَشّةُ : [بضم العين – راجع حرف الشين مادة شواطيء]

العَشّة : بفتح العين والشين المثقلة ثم هاء : قرية شرق شمال الجارة من قرى وادي وساع .

العَشّة : على اسم سابقتها : من قرى وادي جازان بين قريتي الخَصَاوِيَة والرَيّان .

العُشْوة : بضم العين وسكون الشين المثلثة وفتح الواو ثم هاء : من قرى وادي جازان غرب شمال الريان السابق في حرف الراء .

العُشَيْنا : [راجع حرف الشين مادة شواطيء] .

العَطَنُ : على اسم العطن الذي هو مورد الماء : من قرى عَبْس ، شرق قرية أم الصفحة السابقة في حرف الألف .

العَطايا : بفتح العين والطاء المهملة ثم الف فياء ممدودة : من قرى صامطة قرب قرية الحقلة السابقة في حرف الحاء .

عَطِيَّة : بفتح العين والطاء والياء المثقلة بعدها هاء : من قرى الجعافرة شرق قرية الحَرْف ، السابقة في حرف الحاء .

عُفْلان : بضم العين وسكون الفاء الموحدة وفتح اللام بعده الف ثم نون موحدة [راجع حرف الخاء مادة خبت] .

العَقَبَة : على اسم عقبة الجبل : من أرباض جبل فيفا .

العُقْدَة بضم العين وسكون القاف المثناة وفتح الدال المهملة واخرها هاء : قرية في بلاد عَبْس جنوب جبل هروب .

العُقْدَة : على اسم سابقتها : قرية شمال ابي عريش [راجع كتابنا « التصوف في تهامة » ص ٩٤ ترجمة المتصوف أحمد بن محمد القيراط]

العُقْدَة : على اسم سابقتيها : قرية قرب قرية العثمانية - السابق ذكرها في ع - ث .

العُقْدَة : على اسم ما سبقها : قرية من قرى تالحكامِيَة شمال (المضايا) .

[للبحث صلة]

جازان محمد بن أحمد العقيلي

فدائيون في تاريخنا

اغتيال كعب بن الأشرف الطائي اليهودي

طغى الالم على النفوس كما يطغى ظلام الليل على جوانب الافق ، وملك اليأس القلوب كما تملك ريح صرصر عاتية زمام سفينة مرض ملاحوها وهلك ربانها ، فهي تتلاعب بهـــا بـين جبال من الامواج ، وسط شعاب قاسية من الصخور ، فالهلاك يترصدها في كل لحظة ، والغرق يترقبها وسط كل موجة . وزمجر الوحش الكاسر ، فاتحا فمـــه الشره ، ليزدرد الفريسة بعد ان سدت امامها طرق النجاة ، وحامت الغربان في الجو تنعق بما يصك الاذان ، ويؤذي الافئدة والارواح ، ووقف العالم كله يشهد ذلة المنهزم ، واستعلاء المنتصر ، في افلام وزعت في كل دولة ، وصور ملأت شوارع كل مدينة ، وقال الحاقدون على امتنا في كل مكان ، والمتربصون لشعبنا في كل ارض : لقد تأكد لنـــا ان العرب قوم يحسنون الكلام ، ويجهلون المهارة في الافعال ، وان كل من يراهن عليهم يراهن على الحصان الخاسر الخانع المكسال ، وخان القول رجالنا في مجامع الامم ومجتمعات الدول ، فعلا صوت عدوهم على اصواتهـم ، وتطاول بعنقه فوق اعناقهم . فلقد انتصر في ستة ايام على مـــائة مليون وتلفت الناس في نكبتهم تلفت الغريق الى المنقذ ، والمريض الى العلاج ، والمظلوم الى رحمة الله والضال الى منارة تهديه ، وطريق لا حب يسير فيه ، ونادى المنادون : اين ابناء الذي حموا حماهم من الاسكندر فاتح الدنيا ؟! اين احفاد الذين دوّخوا الدولتين الفارسية والرومية بالغزوات والغارات قبل الاسلام ؟! وبالفتوح العظيمة لجهات الدنيا الاربع بعد ان جاء القرآن ؟ ايستكين الذين هزمــوا اوروبا مجتمعة في الحروب الصليبية لحفنـــة من المغامرين الذين زودهم قادة عصابات اللصوص ببعض المـــدافع والطائرات ؟ واجاب النـــداء فجـــأة : فتية آلوا على انفسهم الا يرجعوا ، واقسموا بربهـم الا يضعفوا

وعاهدوا قومهم ان يجودوا بارواحهم لتكون الفداء العظيم لشعبهم ووطنهم وشرفهم .

فكان هؤلاء الفدائيون في هـــذا الوقت الحرج كمنارة تومض في ظلام البحار ، فتهدي كل ضال ، او كنار تشتعل في ظلام الليل ، فيسعى اليها كل مقرور، سلب منه البيت والكساء. فعادت الحياة الى النفوس الخائرة،ومشت الفرحة الى القلوب البائسة ، وتوقفت دمعة الاسى من العيون ، وطار غراب اليأس ليرفرف في الافق عقاب الامل .

وهكذا شاء الله لأمتنا التي كانت اشباحا تعيش بلا ارواح ، وتسير بلا هدف او اتجاه ، بسبب السلام الزائف الذي نشر جناحيه الواهنتين فـوق ربوع ارضها زمنا ، حينما تولى غيرها الدفاع والقتال ، والاعداد والاستعداد نيابة عنها ان تستيقظ اليوم بعد ان رحل التدخيل عن اراضيها ، ونزل هذا العدو المقيم الذي هزمها بـين ظهرانيها ، فتمتشق الحسام الذي صدىء نصله وان تتمرن على السلاح الجديد الذي سبقتها امم كثيرة الى صنعه ، وان يتقدم الصفوف فدائيون يشقون طريق النضال لشعوبهم ، ويتقدمون الى المـــوت صابرين امام جيوش كثيفة تتسلح باسلحة عظيمة ، فيلقـي ستة منهم آلافـا فيجندلون قادتهم ، ويسقطون طائراتهم ، ويشهدون العـــالم على شجاعتهم واستبسالهم ، ولا يزالون كل يوم يأتون بالعجب العجاب .

وان في تاريخنا الغابرلقصصا رائعة عن فدائيين تقدموا الجيوش فيالمعارك وتسربلوا ظلام الليل لالقاء الروع والفزع في قلب العدو ، لا يخشون المهالك فعملوا اعمالا باهرة قصمتظهور الاعداء ، ومنحت القوةورباطة الجأش،وحب الاستبسال لمن وراءهم من المحاربين ، فصبروا لاعظم البلاء .

ولعل في قصّ اخبار فدائيينا الاوائل مـــا يقوي ثقتنا بفدائيينا هؤلاء الابطال الاواخر ، فندرك اثر الفداء في احراز الانتصارات فنعينهم بانفسنا ليزداد عددهم ، وباموالنا ليقوى مددهم .

وهذه قصة عن اوائل الفدائيين في تاريخ المسلمين :

دخل زيد بن حارثة رضي الله عنه اسفل المدينة مناديا باعلى صوته : ايها الناس لقد انتصر رسول الله (ص) في بدر ، فقتـــل سادة قـريش ، واسر صناديدهم ، وجاء عبد الله بن رواحة من اعلى المدينـة يصيح : ابشروا ايهـا المسلمون بنصـــر الله ! لقد هزمت قريش وجيوشها وانتصر الاسلام في بدر وعما قليل سترون رجال قريش في الاصفاد مقرنين. ارتجت المدينة لهذه الانباء التي لم تكن متوقعة ، فالرسول خـرج ليلقى عِيْر ابي سفيان على بدر ، لا ليقابل جيوش قريش ، واذا حالفه النصر فسيدخل المدينة بالجمال محملة بالاثقال لا بالابطال يرسفون في قيود الذل والعار ، وهم الذين عرفتهم الجزيرة العربية سادة تحترمهم القبائل وتعنوا لباسهم العشائر

ولكن زيدا وعبدالله صادقان لا يرقى الشك الى مـــا يقولان، فالمسلمون فرحون مبتهجون ، واليهود والمنافقون قلقون حائرون، وصاح كعب بن الاشرف الذي كانت امه من يهود بني النضير : احق ما يقوله هذان الرجلان ؟! هؤلاء اشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمـد اصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرهـــا !! وجاء الاسرى ، ووصلت الاسلاب وانتشرت اسمـاء القتلى على كل لسان ، فلم يعد للشك مكان ، ولا للارتيـاب موضع فجزع كعب وامثال كعب على جاههم الذي بنوه على الظلم ، وعلى مالهم الذي سلبوه بالربا والاثم .

خرج كعب مسرعا الى مكة ، يبكي قتلى بدر ، ويندب مصيبة قريش وينشد الشعر في ذلك :

طَحنتْ رَحا بَدْرٍ لِمَهْلَكِ أهله ... ولِمثْلِ بَدْرٍ تَسْتهِلُّ الأدْمُعُ
قُتِلت سَراةُ الناس حول حياضهم ... لا تَبْعُدوا إن الملوك تُصَرَّعُ !!
كم قد أصيب به من أبيض ماجـد ... ذي بهجة يأوي اليـــه الضُّيَّعُ
طلق اليدين ، إذا الكواكب أخلفت ... حَمَّال أثقـــال يَسودُ ويَرْبَعُ
ويقول أقـــوام أُسَرُّ لِسُخْطهم ... أين ابن الاشرف ظل كعباً يَجْزَعُ ؟
صدقوا . فليت الأرض ساعة قتلوا ... ظلـت تسوخ بأهلهـــا وتصدع

ووصلت قصائد كعب الى المدينة المنورة ، وسمع اهلها ما يقوله في حزنه على قتلى قريش ، الذين هلكوا ، فاجابه حسان بن ثابت رضي الله عنه قائلا:

أبكاه كعب ثم عَلّ بِعَبْرة منه ، وعاش مُجَدّعاً قد يسمع
ولقد رأيت ببطن بـدر منهم قتلى تَسحُ لها العيون وتَدْمَع
فابْكِ فقد أبكيت عبداً راضعاً شبه الكليب إلى الكليبة يَتْبع!!
ولقد شفى الرحمن منـا سيداً وأهـان قوماً قاتلوه وصرعوا !

واقام كعب في مكة ما شاء ان يقيم ، حتى وثق بان قريشا عازمة على الاخذ بثأرها ، وان ابا سفيان يجمع الجموع لحرب المسلمين ، ثم عاد الى المدينة وفي جعبته خطة لتحطيم الروح المعنوية بين المسلمين ، فاخذ ينشد القصائد يعيب فيها المسلمين ، ويؤذيهم بالتعرض لنسائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من لي بابن الاشرف » ؟ فقال له محمد بن مسلمة الاوسي الانصاري رضي الله عنه : انا لك به ؟! انا اقتله !! قال الرسول : « فافعل ان قدرت على ذلك »!

دعا محمد بن مسلمة فتيانا من الاوس ، بينهم سلكان بن سلامة وهو اخو كعب من الرضاعة لمعونته في هـذا الامر ، تقدم هؤلاء وهم خمسة الى العمل الذي صمموا على تنفيذه ، فارسلوا اليه اخاه سلكان الذي اسمعه حديثا يسر له فقال : ان مجيء هذا الرجل قـد جاءنا بالبلاء عادتنا بسببه العرب فرمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل ، حتى ضاع العيال ، واني اريـد ان تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لـك ، فقال كعب : اترهنوني نساءكم ؟ فقال له اخوه : اتريد ان تفضحنا ؟ انـك شاب عطر ، فكيف نسلمك نساءنا ؟ ولكنا نرهنك سلاحنا ، فقبل كعب وحينئذ قـال له اخوه ان لي اصحابا سآتيك بهم وهم يريدون مثل الذي اريد .

وجاء القوم اليه ، ونادوه فبرز اليهم ، ومشى معهم يحادثهم ، فلما تمكنوا منه قتلوه ، ثم عادوا الى قومهم . وكان في قتله انذار اي انذار

طوق الحمامة

لأبي محمد ابن حزم

تمهيد :

يقول أبو مروان ابن حيان : ويا لبدائع هذا الحبر (علي بن حزم) ! وغرره ما أوضحها — على كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها — ! . وعلى ذلك فليس ببدع فيما أضيع منه ، فأزهد الناس في عالم أهله ! » . اهـ وشهرة أبي محمد في التاريخ الاسلامي : بإمامته وحفظه وقوة حجته وسعة أفقه ، وبالمحلى والفصل والاحكام [١] وكان في كل هذه عضب اللسان، سليطه ، ثائراً يصك معارضه صك الجندل .

وما عرف أن له ضرباً من الحديث « تماع فيه نفسه انمياعاً » . كما قال ابن قيم الجوزية في «الروضة» — .. ولكن تبين فيما بعد أنه كان لذلك الامام قلب خفاق ، وأنه حمل راية الحب في زمانه ، وأول ما عرف ذلك كان في دوائر المستشرقين [٢] .

أجل لقد اهتم به المستشرقون اهتماماً منقطع النظير وكلفوا به أيما كلف ، وهم انما يحتفون بالأثر الجيد [٣] .

وأبو محمد شخصية محترمة في أوساط النهضة العلمية والأدبية الحديثة لما يتميز به بين أعلام المسلمين . بشخصيته المستقلة ، وعقله الحر القوي اللاقط ،

لجميع الحاقدين والناقمين ، من يهود وعرب ، بانهم لن يفلتوا مما تجنيه ايديهم وما تجره دسائسهم ، وان العقاب لا ريب فيه ، وانهم لن يكونوا بمأمن في حصونهم وقصورهم ، وبين اقوامهم واشياعهم ، بل ان كأس الموت سيقدمها اقرب الناس اليهم .

الكويت   محمد علي العبد

وأفقه الواسع الرحيب .. ويعود احترام متأدبي هذا العصر لأبى محمد أيضاً إلى نتاجه المبتكر في دراساته النفسية عن الحب والأخلاق ، ورده الظواهر إلى بواعثها .. وظاهرة هذا الاحترام تبدو في استعراض الأستاذ فتحي عثمان لبعض آراء ابى محمد الطرية في كتيب أسماه « آراء تقدمية » كما تبدو في دراسات الدكتور طه حسين [٤] والدكتور احسان عباس [٥] والدكتور يحيى حقي [٦] والدكتور طه الحاجري [٧] والدكتور عمر فروخ [٨] والدكتور شوقي ضيف [٩] والدكتور زكريا ابراهيم [١٠] والدكاترة زكي مبـــارك [١١] والدكتور أحمد أمين [١٢] والدكتور قدري طوقان [١٣] والأستاذ محمد عنان [١٤] والشيخ محمد أبو زهرة [١٥] والشيخ أحمد شاكر [١٦] والأستاذ سعيد الأفغاني [١٧] والدكتور حسين مؤنس [١٨] وغيرهم و« الطوق » طاقة زهر أريجة من الأقاصيص ومقطعات الشعر والتحليل النفسي الخلقي للحب [١٩] .

وهو نثر فني رفيع ، وأبو محمد وضع الحب في قالب علمي فلم يفقـــده مقوماته الأدبية . فلكل هذه الحالات عني المستشرقون بالطوق ، وكذلك مثقفوا جيلنـــا ، وإن كان تحمسهم وطفرتهم صدى الاستحسان الاستشراقي !

قال أبو عبد الرحمن : وغرضنا بهذه الدراسة أن نكشف عما في «الطوق» من روعة لنرى هل يستحق تلك العناية وذلك الاحتفاء ، والله المستعان .

مواد البحث :

ستكون دراستنا هذه وفق الفصول والعناوين التالية :

١ — الطوق من الناحية التاريخية : صحة عزوه الى أبي محمد .. عـــدم ذكره في مصادر ترجمته .. متى ألفه .. بواعث تأليفه .. هل تم نقله كاملاً .. طبعاته الأجنبية والعربية .. هل كان أقدم مؤلف لأبي محمد .. الطوق وثيقة تاريخية .. مدى الوثوق بأخبار أبي محمد عن المحبين .. استقراء طرائفـــه التاريخية .

٢ — الطوق من الناحية الأدبية : خصائصه الفنية .. دراسة قصائده .. [في الحاشية : ابو محمد الأديب .. ابو محمد الناقد .. ابو محمـــد الشاعر ..

مطارحاته الأدبية .. مصادر أدبه وعوامل تكوينه] .

٣ – الطوق من الناحية العلمية : منهج أبي محمد في تأليفه .. أصالته .. الطوق والحياة الجديدة لدانتي .. الطوق و«روضة المحبين». الطوق و«الزهرة».. ابن حزم وستندال الايطالي .. تحقيق دراساته النفسية .. تحقيق دراساته الفلسفية .. تحقيق مسائله الشرعية .

٤ – تلخيص لجميع مسائل الطوق وشرح لغوامض مفرداته وجمله ..

« عزو الطوق الى أبي محمد » :

أبو محمد شديد الولاء لبني أمية ، يترحم عليهم ويسميهم الخلفاء المهديين ، والأئمة الراشدين ، إذا ذكرهم في شيء من مؤلفاته .. وفي الطوق يتكلم عنهم بأنهم الخلفاء المهديون والأئمة الراشدون بالأندلس ، ويترحم حتى على زياد بن أبي سفيان !..ويلم بأحوالهم وما ينفردون به في قصورهم مع عيالهم، ويتكلم عن أوصافهم لأنه رآهم ورأى من رآهم ، ويحدثه أبوه الوزير وغيره عن الناصر والحكم بأنهما كانا أشقرين أشهلين .. وكذلك هشام المؤيد ومحمد المهدي وعبد الرحمن المرتضى – رحمهم الله – رآهم مراراً ودخل عليهم ، فرآهم شقراً شهلاً [٢٠] .

فأبو محمد معروف أسلوبه إذا تحدث عن بني أمية، وأبوه وزيرهم ، وهو وزير هؤلاء الثلاثة المذكورين .. فإذا وجدنا هذه المعالم في الطوق كانت مما يستأنس به ، لو لم تكن نسبة الطوق الى أبي محمد منتفية الشك ، ضاحية البرهان !

ولكن الأوضح من ذلك أن أبا محمد يقول في الطوق : وأقول أيضاً في قصيدة أخاطب فيها ابن عمي « أبا المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبدالرحمن ابن حزم بن غالب .. ويذكر في موضع آخر قصيدة لابن عمه هذا [٢١] .

وأوضح من ذلك تشكيه من قوم من مخالفيه شرقوا به فأساؤا العتب في

وجهه وقذفوه بأنه يعضد الباطل بحجته ، عجزاً منهم عن مقاومة ما أورده من نصر الحق وأهله وحسداً له [٢٢] .

وأوضح من ذلك أن فيه نفحات فلسفية وفقهية وابتهالات وعبارات موسومة .

وأوضح من ذلك أن أسانيده في بعض مباحثه الجديّة من هذا الكتاب أسانيد تعرفها في «المحلى» و«أصول الأحكام» وهو قد تحدث في الكتاب عن مشائخه المعروفين [٢٣] .

وأوضح من ذلك تاريخ أبي محمد لمحنته وانتقال أبيه الوزير ونكبة خيران وذكره لأخيه أبي بكر وما أشبه ذلك [٢٤] .

وأوضح من ذلك أن الطوق مبدوء بـ : قال أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . ومختوم بمثل ذلك .. والاوضح من ذلك ان في الطوق أشعاراً لأبي محمد نقلها مترجموه[٢٥] والاوضح من هذا كله أن الطوق لن ينكره من يقرأ كثيراً لابن حزم البتة .

ولم يتطرق الشك الى ثبوت الطوق عن أبي محمد بدالة من البحث المحقق ، وإنما هي وسوسة سمعتها من بعض طلاب العلم ، كما نقل في بعض الكتب انكار الطوق [٢٦] ولعل منكريه من عامة الفقهاء . وأحسب أن من يلتمس الشك سنداً من التحقيق يقول : ان المترجمين لابن حزم لم يذكروه ضمن مؤلفاته ، وأن أبا محمد عالم جليل يستبعد أن يؤلف في الحب .. وهما وسوستان لن تدوما حيث ذكرنا دلائل ثبوته وسنذكر ما يكشف عن هذين الاستشكالين .

عدم ذكر الطوق في المصادر القديمة :

الذين ترجموا لابن حزم لم يذكروا الطوق ضمن مؤلفاته ، ولم يذكره صاحب كشف الظنون .

بيد ان اهمال المؤرخين لذكره لا يصلح دليلاً على نفي نسبته الى أبي محمد لأمور :

أ - ان البراهين ضرورية في نسبته الى أبي محمد - كما مر آنفاً :

ب - أن مصادر ترجمة أبي محمد تعود كلها الى ما كتبه ابن صاعد وتلميذه الحميدي وابن العربي فإهمال هؤلاء الثلاثة لذكر الطوق -وهو رسالة صغيرة - لا يستنزم نفيها .

٣ - أن ابن القيم ذكرها في «روضة المحبين» وذكرها المقري في «نفح الطيب» وطبعها المستشرقون على أصول ثابتة .

٤ - أن المترجمين له في القديم يسردون أمهات مؤلفاته ثم يقولون بعد ذلك : وله رسائل كثيرة العدد في مواضيع شتى ، أو ما يشبه هذه العبارة ، فليكن الطوق من تلك الرسائل التي لم تُسَمَّ .

٥ - قال مروان بن حيان : « حتى كمل من مصنفاته في فنون العلم وقر بعير لم تعد أكثرها بادية لتزهيد الفقهاء وطلاب العلم فيها حتى لأحرق بعضها بأشبيلية ومزقت علانية [٢٧] » .

٦ - قال محمد ابن العربي : وربما كان للإمام أبي محمد ابن حزم شيء من تواليفه ألّفه في غير بلده في المدة التي تجوّل فيها بشرق الاندلس فلم أسمعه [٢٨] .

قال أبو عبد الرحمن : والطوق ألفه أبو محمد في تجولاته هذه [٢٩] .

تأليفه في الحب غير مستغرب :

١ - وقائع التاريخ قد تجري بغير حسبان ، ولقد مرّت دلائلنا على ثبوت الطوق عن أبي محمد وليس فيها ما يدفع .

٢ - مذهب أبي محمد : « ان الحب غير محظور في الشريعة » و «التأليف فيه من اللمم » فالتأليف في شيء غير محظور ليس مستغرباً [٣٠]

٣ — أبو محمد شديد الايمان بأن الحديث عن الحب ليس مما يثاب عليه ، ويرى أن الأولى به مع قصر العمر أن لا يصرفه إلا فيما يرجـــو به رحب المنقلب [٣١] .

قال أبو عبد الرحمن : وتمتعوا معي بقراءة هذه العبارة يتحدث فيهـــا أبو محمد عن نفسه : « وأنا أستغفر الله تعالى مما يكتبه الملكان ويحصيه الرقيبان من هذا وشبهه استغفار من يعلم أن كلامه من عمله ، ولكنه إن لم يكن من اللغو الذي لا يؤاخذ به المرء ، فهو ان شاء الله من اللمم المعفو ، وإلا فليس من السيئات والفواحش الـــتي يتوقع عليها العذاب .. وعلى كل حال فليس من الكبائر التي ورد النص فيها .

وأنا أعلم أنه سينكر عليّ بعض المتعصبين تأليفي لمثل هذا ، ويقول : خالف طريقته وتجافى عن وجهته ! . وما أحل لأحد أن يظن في غير ما قصدته . قال الله عز وجل : (إن بعض الظن إثم) والرسول — ص — يقوله : « انه أكذب الحديث » ، وقد قال عمر ابن الخطاب — رضي الله عنه : ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه ولا تظن بكلمة خرجت من في امرىء مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا . فهذا — أعزك الله — أدب الله وأدب رسوله — ص — وأدب أمير المؤمنين. وبالجملة فإني لا أقول بالمراياة ، ولا انسك نسكا أعجميا ، ومن أدى الفرائض المـــأمور بها واجتنب المحارم المهنى عنها ، ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس فقد وقع عليه اسم الاحسان ، ودعني مما سوى ذلك . وحسبي الله ا هـ [٣٢]

٤ — الف غير أبي محمد — من الأئمة الأعلام — في الحب ! .

٥ — لأبي محمـــد أدلة ايجابية يستمدها من أقوال السلف ، فأبو الدرداء يقول : أجِمُّوا النفوس بشيء من الباطل ليكون عوناً لها على الحق ، ويقول بعض السلف : من لم يحسن يتفق لم يحسن يتقوى ، وفي بعض الأثر : أريحوا النفوس فإنها تصدأ كما يصدأ الحديد [٣٣] .

٦ — أبو محمد لايجعل العتق ينفذ إذا كان كلفا بحبها [٣٤] وهو يبيح الغناء

ويبيح بيع آلاته في رسالة له خـــاصة ، وفي كتابه « المحلى » [٣٥] قال أبو عبد الرحمن : فهلا شككنا في « المحلى » لأجل ذلك ؟ !

٧ – أبو محمد شاب أنيق نشأ نشأة مترفة وبيته فيه أكثر من مائة جارية تعلم عليهن القراءة والكتابة ، وما عرف غيرهن حتى بقل وجهه ، لأنـــه وزير ابن وزير .. فكان الطوق استجرارا للماضي وحنانا إلى عهد الصبا ، ولولا همة أبي محمد لمات مترفاً في هذا الجو الناعم ، والعيش الرغد .

٨ – رويت عن أبي محمد أخبار لا يستغرب معها ثبوت الطوق قال المقـّري وكتب بعض الأدباء الى ابن حزم الأندلسي بقوله :

سألت الوزير الفقيهَ الأجل   سؤال مُدِلّ على من سأل
فقلت أيا خير مسترشد   ويا خير من عن إمام نقل
أيحرم أن نالـــني قبـــلة   غزال ترشف فيـــه الغزل
وعانقني والدجـــا خاضب   فبتنا ضجيعين حتى نصل
وجئتك أسأل مسترشداً   فبين ُفديتَ لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله :

إذا كان مـــا قلته صادقاً   وكنت تحرّيتَ جهد المقل
وكان ضجيعك طاوى الحشا   أعار المهاة احمرار المقـــل
قريب الرضا وله غنّة   تميت الهموم وتحيى الجذل
ففي أخذِ أشهب عن مالك   عن ابن شهاب عن الغير قل
بترك الخلاف على جمعهـــم   على أن ذلك حلّ وبل [٣٦]

قال أبو عبد الرحمن : وأنا أستبعد أن يكون المسؤول والمجيب هو شيخنا أبو محمد ولا أستبعد أن يكون فقيها مالكيا ، ولكن لما قال : « الوزير الفقيه » حسب المقـّري أن لا فقيه وزير غير شيخنا ، وفي «روضة المحبين» لابن قيم الجوزية عينات من هذه الفتاوى .

متى ألف الطوق ؟

كتب أبو محمد طوقه في شاطبة بعد وزارته للمستظهر الأموي .أما تحديد العام الذي كتبت فيه فيحدده بعضهم بعام ٤١١ هـ [٣٧]. ويقول الشيخ محمد أبو زهرة : « من المؤكد أنها كتبت بعد سنة ٤١٧ لأنه جاء منها أخبار وقعت في تلك السنة تتصل بالمعركة بين خيران العامري والموفق أبي الحسن مجاهد [٣٨] ، ويرى أن أبامحمد كتبها وهو في حدود الأربعين [٣٩] . ويقول الدكتور طه الحاجري : « وهناك إشارة أخرى تجعل هذا الكتاب قبل سنة ٤٢٠ وهي السنة التي مات فيها أو في نحوها الحكم بن المنذر لأنه أشار اليه ابن حزم بقوله : وحكم المذكور في الحياة في حين كتابتي اليك بهذه الرسالة [٤٠] .

على أن هناك إشارة ثالثة تقصر هذا المدى شيئاً وهي تقع في سياق قصيدته في مدح هشام بن محمد [٤١] وكان مدحه له قبل خلافته ، وإذن فقد وضعه قبل شهر ربيع الثاني سنة ٤١٨ هـ ، وهو تاريخ مبايعة هشام خليفة وتلقيبه أمير المؤمنين المعتد بالله [٤٢] .

الحواشي :

«١» أبو محمد من أكثر علماء الاسلام تصنيفاً وإليك مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ المحلى ولم يؤلف مثله حتى اليوم في الفقه الاسلامي ، ولم تطب نفس سلطان الإسلام العز بن عبد السلام بالإفتاء حتى ملك نسخة منه . طبع بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ في أحد عشر جزءاً ثم طبع أخيراً بمطبعة الامام .

٢ ـ الاحكام لاصول الاحكام ولم يؤلف مثله في الفقه الاسلامي طبع بتحقيق الشيخ أحمد شاكر في ثمانية أجزاء ثم طبع بمطبعة الامام .

٣ ـ الفصل في الملل والنحل وقد نال استحسان المستشرقين وتحقيقاتهم لأنه أول عالم عنى بدرس الأديان والمقارنة فيما بينها وقد لفت الانظار إلى بعض المشاكل في أخبار التوراة مما لم يتنبه اليه أحد حتى ظهور المدرسة

النقدية الحديثة في القرن السادس عشر [أنظر تاريخ العرب المطوّل لفيليب حتي وزملائه ج ٣ ص ٦٢٢ – ٦٦٣ ط م دار الكشاف في بيروت عام ١٩٥١ م] . ولقد هاجمه ابن السبكي وقال انه من أسوأ الكتب لأنه ينسب أبا الحسن الأشعري الى البدعة [طبقات الشافعية ج ١ ص ٩٠–٩١]وكتب عنه بالنتيا في تأريخه عن الفكر الاندلسي بترجمة الدكتور حسين مؤنس ، وقال : انه نشر في القاهرة سنة ١٣٢١ وترجمه الى الاسبانية آسين بلاتيوس ونشره عام ١٩٢٧ – ١٩٢٨ م . قال أبو عبد الرحمن – عفا الله عنه – : وقد اطلعت على طبعتين من طبعاته العربية وأنا الآن ببداية مشروع لدرسه دراسة مستفيضة إن أعانني الله وجعل لي فسحة من العمر وهو خمسة أجزاء وتجدر الاشارة الى انه يشمل كثيراً من رسائل أبي محمد التيتفرد غالباً بالذكر في مصادر ترجمته .

٤ – مداواة النفوس وهي رسالة في أخلاق النفس طبعت عدة طبعات عربية وأجنبية وكتبت عنها دراسة بمجلة المنهل عدد ١١ المجلد ٢٨ القعدة سنة ١٣٨٧.

٥ – طوق الحمامة وهو موضوع بحثنا .

٦ – حجة الوداع طبعت مرتين ، الاخيرة بتحقيقالدكتور يحيى حقي .

٧ – النبذ في مسألة الاجماع طبع بتحقيق محمد زاهد الكوثري .

٨ – رسالة في الرد على الهاتف من بعد .. ورسالة البيان عن حقيقة الإيمان ورسالة التوفيق على شارع النجاة باختصار الطريق .. ورسالة مراتب العلوم .. ورسالة في الغناء الملهى أمباح هو أم محظور .. ورسالة في ألم الموت وابطاله ومن هذه الرسالة فصل في معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها .. ورسالة مداواة النفوس .. قال أبو عبد الرحمن : وجميع هذه الرسائل مطبوعة بتحقيق الدكتور احسان عباس ط م دار الهناء .

٩ – الرد على ابن نغرالة اليهودي .. الرد على يوسف الكندي في العلم الالهي ، الرد على المالكيين في رسالة لهم عنفوه فيها .. التلخيص لوجوه

التخليص .. طبعت جميع هذه الرسائل بتحقيق الدكتور احسان عباس ط م المدني بمصر .

١٠ — نقط العروس وقد نشره زايبولد في غرناطة سنة ١٩١١ وأعاد نشره سيكودي عام ١٩٤٦ ثم نشره الدكتور شوقي ضيف عام ١٩٥١ م بالقاهرة في مجلة كلية الأداب الجزء الثاني المجلد ١٣ سنة ١٩٥١ ولم أطلع عليه.

١١ — التقريب لحد المنطق نشر بتحقيق الدكتور احسان عباس .

١٢ — مسائل أصول الفقه طبع بمصر وعليه تعليق لابن الأمير الصنعاني والقاسمي ولم أطلع عليه ، ولكن استفدت ذلك من معجم المطبوعات العربية والمعربة من ظهور الطباعة حتى سنة ١٣٣٩ هـ جمع وترتيب الياس اليان سركيس ط م سركيس مصر ج ١ ص ٨٥ — ٨٦ .

١٣ — رسالة من علماء الأندلس وهي موجودة بكاملها في نفح الطيب ج ٤ ص ١٥٤ — ١٧١ ط م السعادة الاولى . وقد ترجمها إلى الانجليزية جايا نجوس .

١٤ — مراتب الاجماع طبع وبحاشيته نقد مراتب الاجماع لابن تيمية .

١٥ — مختصر ابطال القياس والاستحسان طبع بتحقيق الاستاذ سعيد الأفغاني بدمشق .

١٦ — جمهرة أنساب العرب طبع بتحقيق بروفنسال ثم بتحقيق عبد السلام هارون وللشيخ حمد الجاسر عليه تعليقات نشرت بمجلة المجمع العربي بدمشق في المجلد الخامس والعشرين عام ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م ، بعنوان نظرة في كتاب جمهرة انساب العرب .

١٧ — جوامع السيرة ومعها خمس رسائل هي : القراءات المشهورة في الأمصار الآتية — مجيء التواتر .. اسماء الصحابه الرواة وما لكل واحد من العدد .. اصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم .. جمل فتوح الاسلام بعد رسول الله — ص — .. أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم طبع دارالمعارف

بمصر بتحقيق الدكتورين احسان عباس وناصر الدين الأسد . أما كتب أبي محمد التي لا تزال بطي الخفاء ولم يبق إلا ذكرها فهي كما يلي :

١ — الامامة والخلافة في سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها .

٢ — فهرست شيوخه .

٣ — مجادلاته ومساجلاته مع أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي .. قال بالنثيا : لم يبق لنا من تفاصيل هذه المجادلات الا صدى غير واضح نجده في بعض صفحات الفصل لابن حزم وأخبار متضاربة عن انهزام الباجى أو انتصاره على خصمه وكل مؤرخ يعرضها على حسب ما أملاه عليه شعوره نحو ابن حزم [تاريخ الفكر الأندلسي ص ٤٢٦] .. قال أبو عبد الرحمن : وقد ذكر زميلنا على معارف أبي محمد الشيخ أبو تراب الظاهري أن لديه مخطوطة من هذه المناظرة وذلك بجريدة البلاد عدد ٢٦٢١ في ١٨ / ٦ / ٨٧ بعنوان أفاويـق .

٤ — له ديوان شعر جمعه تلميذه الحميدي حسب حروف المعجم وذكر الدكتور يحيى حقي بمقدمته على حجة الوداع أنه عثر عليه وسينشره قريباً .

٥ — له كتاب في الشعر والموازنة بين الشعراء ينقل عنه الحميدي دائماً في الجذوة ذكر ذلك الدكتور شوقي ضيف بهامش المغرب في حلى المغرب ج ١ ص ١٣٢ . قال أبو عبد الرحمن : وأكثر الأخبار والطرائف الأدبية التي في جذوة المقتبس يرويها الحميدي عن شيخه أبي محمد .

٦ — ذكر ابن ماكولا في الإكمال في باب الكناني أن أبا محمد طبيب وله رسائل في الطب ولم أطلع على الإكمال ولكن نقلت ذلك عن وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٣ ص ١٤ ط م السعادة عام ١٩٤٨ .

٧ — إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل ، وقد قيل أن المستشرق جولد تسيهر طبع منه جزءاً .

٨ — ذكر أبو حامد الغزالي أنه اطلع له على جزء في أسماء الله يدل على

سيلان ذهنه .

٩ – الايصال إلى فهم الخصال الجامعة لجمل شرائع الاسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع ، وهو من أكبر كتب أبي محمد في أربعة وعشرين مجلداً .. وقد أكمل ابنه أبو رافع كتاب أبيه المحلى من هذا الكتاب، ولقد اطلع عليه ابن السبكى .

١٠ – الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والإقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها .

١١ – شرح أحاديث الموطأ .

١٢ – الصادع والرادع ، على من كفر أهـل التأويل من فرق المسلمين والرد على من قال بالتقليد .

١٣ – كتاب فيما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهور العلماء وما انفرد به كل واحد. ولم يسبق إلى مثاله .

١٤ – كشف الالتباس ما بين الظاهرية وأصحاب القياس .

١٥ – نكت الاسلام .

● الناسخ والمنسوخ : وقد طبع بهامش الجلالين وبهامش تفسير ابن عباس ونسبه إلى أبي محمد كل من : جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة ، وسعيد الأفغاني في كتابه عن ابن حزم ، والشيخ محمد أبو زهرة ، وصاحب الأعلام وصاحب معجم المؤلفين وكذلك السمان في تقدمته للمداواة ، وكذلك المقدم لكتاب الفصل .. أما المراجع القديمة فلم تذكر أن له كتاباً اسمـــه الناسخ والمنسوخ .. وقد حققت عدم صحة عزو هذا الكتاب إلى ابي محمد في بحث نشر لي بجريدة البلاد عدد ٢٣٤١ في ٥ | ٧ | ٨٦ .

١٦ – الرد على ابن الافليلي في شعر المتنبي . ذكر ذلك الدكتور احسان عباس عـن الصلة .

١٧ – نقض العلم الالهي للرازى .

١٨ – الرد على اسماعيل بن اسحق .

١٩ – مخالفة المالكية لطائفة من الصحابة .

٢٠ – ترك الصلاة عمداً حتى يخرج وقتها .

٢١ – ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس .

٢٢ – الفضائح ذكره ياقوت في معجم البلدان في مادة – بربر – قال ذلك الدكتور احسان عباس .

٢٣ – رسالة في الوعد والرعيد مخطوطة اطلع عليها الدكتور إحسان .

أما مصادر ترجمة أبي محمد التي اطلعت عليها فكما يلي :

١ – ابن حزم للشيخ محمد أبي زهرة ٢ – ابن حزم للاستاذ سعيد الأفغاني ٣ – ابن حزم للدكتور طه الحاجري ٤ – ابن حزم للدكتور زكريا ابراهيم ٥ – جذوة المقتبس للحميدي ص ٢٩٠ – ٢٩٣ ط م السعادة والناشر مكتبة الحسيني ٦ – بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الاندلس لاحمد بن يحيى الضبي ط م روخس المسيحية سنة ١٨٨٣ م نشر مكتبة المثنى والخانجي وهذا الكتاب نسخة مماثلة لكتاب جذوة المقتبس ٧ – النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج ٥ ص ٧٥ ط م دار الكتب المصرية ١٣٥٣ هـ ٨ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ج ٣ ص ٢٩٩ – ٣٠٠ ط بيروت ٩ – معجم الأدباء لياقوت ج ١٢ ص ٢٣٥ – ٢٥٧ ط م دار المأمون ١٠ – البداية والنهاية ج ١٢ ص ٩١ – ٩٢ ط م السعادة في حوادث سنة ٤٥٦ وكتب التاريخ تورد ترجمة أبي محمد عادة في حوادث هذا العام. ١١ – أخبار العلماء للقفطي ص ١٥٦ .

١٢ – المعجب لعبد الواحد المراكش ص ٣٠ – ٣٢ ، ١٧ – ٢١ – ١٢ مطمح الأنفس لابن خاقان ص ٥٥ – ٥٦ . ١٣ – وفيات الأعيان لإبن خلكان ج ١ ص ٣٤٠ – ٣٤٢ .

١٤ – تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٣٢١– ٣٢٩ ط حيدر آباد الدكن

١٥ – لسان الميزان لابن حجر ج ٤ ص ٠٩٨ – ٢٠٢ .

١٦ – نفح الطيب للمقرى ج ٢ ص ٢٨٣ و ج ٥ ص ٩٦ .

١٧ – تاريخ الفكر الأندلسي لأنجد جنتالت بالنثيا تعريب الدكتور حسين مؤنس .

١٨ – المغرب في حلى المغرب بتحقيق الدكتور شوقي ضيف ص ٣٥٤.ج١

١٨ – نقص المنطق لابن تيمية ص ١٧ – ١٨ ط م السنة المحمدية .

١٩ – معجم المؤلفين لعمر كحالة ج ٧ ص ١٦ – ١٧ وفيه إحالة لكثير من مصادر ترجمة ابن حزم لم نذكرها هنا .

٢٠ – قصة الأدب في الأندلس لمحمد عبد المنعم خفاجة ط بيروت عام ١٩٦٢ ض ٢٠٣ وص ١٦١ – ١٦٧ .

٢١ – الصلة لابن بشكوال ج ٢ ص ٣٩٥ – ٣٩٦ ط عـــام ١٣٧٤ هـ ونشره الحسيني .

٢٢ – تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ط م دار الهلال ج ٣ ص ١٠٤ – ١٠٥ .

٢٣ – الذخيرة في محاسن أهـــل الجزيرة لأبي الحسن على بن بسام ط م لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٣٥٨ ج١ ص ١٤٤ .

٢٤ – مقدمات كتب أبي محمد المطبوعة لناشريها ومحققيها .

٢٥ – تاريخ العرب في أسبانيا للدكتور خـــالد الصدفي ط م التعاون بدمشق عام ١٩٥٩ ص ١٥٦ – ١٦٦ ويبدو أنه ليس لهـــذا المؤلف أثر في الترجمة بدليل انه يجري على أغلاط غيره .

٢٦ – دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج ٣ ص ٤٣٠ – ٤٣٢ الطبعة الثانية عام ١٣٤٢ هـ .

٢٧ – دائرة المعارف الحديثة لأحمد عطية الله ١٥١ الطبعة الأولى عام ١٩٥١ والعجيب انه قال : توفي مقتولاً عام ٤٥٦ هـ . وهذا خطأ .

٢٨–تاريخ العرب مطول للدكتور فيليب حتي ج ٣ ص ٦٦٢ – ٦٦٣ط م دار الكشاف ببيروت عام ١٩٥١ .

٢٩ – سطران في اللباب في تهذيب الانساب لابن الأثير نشره المقدسي عام ١٣٥٧ ج ١ ص ٢٩٧ .

٣٠ – طبقات الامم لابن صاعد ص ٩٩١ الطبعة الأولى .

٣١ – الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٥٩ الطبعة الثانية .

٣٢ – ظهر الاسلام وضحاه .

٣٣ – كشف الظنون في عدد كثير من الصفحات حسب تأليفات أبي محمد وثمة مصادر سأذكرها لاحقاً – بإذن الله .. وهناك من المصادر ما لم أطلع عليه لأنه لا يزال مخطوطاً كترجمة أبي محمد في مجلد خاص من سير أعلام النبلاء للذهبي وككتاب الاعلام بتاريخ الاسلام لابن قاضي شهبة وكالاكمال لابن ماكولا.. وكترجمة الشيخ أحمد شاكر لأبي محمد في مجلدين لا تزال مخطوطة .. وترجمته أيضا للشيخ أبي تراب الظاهري ذكر ذلك في جريدة البلاد عدد ٢٦٢١ في ١٨/٦/٨٧ .. وهناك من المصادر ما لم أطلع عليه لأنه لم يعرب بعد كترجمة آسس بلاثيوس، وكتاب جولدزيهر عن الظاهرية ، وبحوث المستشرقين في مجلة الأندلس ومجلة غرناطة ، ومجلة الجمعية المشرقية الألمانية م ٦٩ ص ١٩٣ ولعل الله يتيح لهذه البحوث من يعربها .. وهناك من المصادر ما لم نذكر اكتفاء بذكر الاستاذ كحالة له في معجمه .. وهناك من الدراسات التي تنشر في المجلات العربية ، سنذكره في موضعه .

(للبحث صلة)

الرياض : ابو عبد الرحمن بن عقيل

الحواشي

(١) [اضيفت الحاشية الى المقال] .
(٢) النثر الفني في القرن الرابع للدكتور زكي مبارك ص ١٦٦ ج ٢ .
(٣) راجع ما سنذكره عن طبعات الطوق .
(٤) الكاتب المصري العدد الخامس من المجلد الثاني فبراير عام ١٩٤٦ م
(٥) نشر كثير من كتب ابي محمد ورسائله وحققها وقدم لها .
(٦) هو الذي نشر حجة الوداع وقدم لها ووعد بنشر ديوان ابي محمد .
(٧) له ترجمة لأبي محمد نشر بعنوان : ابن حزم صورة أندلسية .
(٨) ترجم لأبي محمد في تأريخه للفكر العربي الى عصر ابن خلدون وكتب دراسة عن نظرية المعرفة عند ابن حزم في مجلة المجمع العربي بدمشق، المجلد ٢٣ سنة ١٣٦٨هـ.ص ٢٠١ - ٢١٨
المكان والزمان عند ابن حزم بمجلة العلوم السنة الأولى العدد الأول ١٩٥٦ م
(٩) عني بنشر نقط العروس لأبي محمد .
(١٠) له ترجمة خاصة عن ابن حزم ضمن سلسلة أعلام العرب .
(١١) له دراسة عن الطوق في المجلد الثاني من كتابه النثر الفني .
(١٢) ظهر الاسلام وفجره .
(١٣) ترجم له في كتابه العلوم عند العرب .
(١٤) له بحث عن ابن حزم المؤرخ في العدد ٦٨ من العربي .
(١٥) له كتاب ضخم عن ابي محمد .
(١٦) ذكر الشيخ ابو تراب الظاهري أنه اطلع على ترجمته في جلدين بمصر وقال انه أجود ما كتب عن أبي محمد . البلاد عدد ٢٦٢١ في ٨٧/٦/١٨ .
(١٧) له ترجمة خاصة لأبي محمد وقد نشر ابطال القياس الملخص وقدم له .
(١٨) كتب عن الطوق بمجلة العربي .
(١٩) تاريخ الفكر الاندلسي لبالنثيا ص ٧٤ .
(٢٠) يراجع الطوق - الطبعة الاخيرة - ص ٩٣ ، ١١ ، ٤٤ .
(٢١) الطوق ص ١٤٤ - ١٤٦ .
(٢٢) الطوق ص ١٢٥ .
(٢٣) يراجع ما سنكتبه عن الطوق من الناحية التاريخية .
(٢٤) يراجع ما سنكتبه عن الطوق من الناحية التاريخية .
(٢٥) كقصيدته في النهام رواها المراكش وهي في الطوق .
(٢٦)
(٢٧) معجم الأدباء ج ١٢ ص ٢٤٨ ، وابن قاضي شهبة في الاعلام بتاريخ الاسلام في حوادث سنة ٤٥٦ هـ كما في الاعلام للزركلي ص ٥٩ ج ٥ .
(٢٨) معجم الأدباء ص ٢٤٣ ج ١٢ .

مكتبة شيخ الإسلام في المدينة وذخائرها المخطوطة

يحفل تاريخ الحضارة الاسلامية باخبار رائعة عن العقلية الاسلامية المبدعة وعما كان لها من دور كبير في مجال الثقافة والفكر، والنهج العلمي، ولقد انتجت هذه العقلية نتاجا ضخما دعم صرح الحضارة، واقام بناءه شامخا فعاش العالم الاسلامي في اوقى عواصمه ـ كبغداد وقرطبة وخرسان ومصر والجزيرة العربية وغيرها زاهيابالحركة، والحياة، وزاخرا بالعلماء والمفكرين والادباء والفلاسفة الذين اوقفوا حياتهم لتحصيل العلم ونشره بين طبقات الناس بشتى الوسائل وفي احلك الظروف، فهذا العالم الرياضي الفلكي الشهير بابي الريحان البيروني صاحب «تحقيق ما للهند من مقولة» و«التفهيم لصناعة التنجيم»

---

(٢٩) يراجع ما سنكتبه عن تاريخ تأليف الطوق .
(٣٠) الطوق
(٣١) الطوق
(٣٢) الطوق ص ٢٤٤ — ٢٤٥ .
(٣٣) الطوق ص ٨ .
(٣٤) قرأت في المحلى أن أبا محمد لا يرى عتق الأمة نافذاً إذا كان المعتق كلفاً بحبهاولا أدري في أي باب ذكر ذلك وكنت أحسبه في باب العتق .
(٢٥) له رسالة في حكم الغناء الملهى نشرها احسان عباس وانظر المحلى ج ص
(٣٦) نفح الطيب ج ٥ ص ٢٩٣ .
(٣٧) تاريخ الفكر الأندلسي لبالنتيا ص ٧٤ .
(٣٨) ابو زهرة ص ١٦٧ والحاجري ص وانظر الطوق ص
(٣٩) ابو زهرة ص ١٦٩ .
(٤٠) الطوق ص
(٤١) الطوق ص
(٤٢) الحاجري ص ١٥٤ .

لا يغيب العلم عن خاطره فيسأل عن مسألة في الفرائض وهو في الرمق الاخير « يروى ان ابا الحسن علي بن عيسى الفقيه دخل عليه وهو في النزع الاخير فساله البيروني عن مسألة تتعلق بحساب الجدات في علم الفرائض ، فاشفق عليه وقال افي هذه الحالة ؟ غير ان البيروني اجابه بقوله : يا هذا اودع الدنيا وانا عالم بهذه المسألة الا يكون خيرا لي من ان اخليها وانا جاهل بها»[1] ، ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد كان حبهم للكتب ولاقتنائها يملك عليهم شغاف قلوبهم فلا يهنأ لهم عيش ولا يهدأ لهم بال الا بالعكوف عليها ومسامرتها طوال الليل وكان من السهل عليهم ان يتحملوا في سبيل الحصول عليها عناء الرحلات الطويلة ، ومشاق التجوال بل لم يكن غريبا ان نجد احدهم يقيم مناحة حينما تعذر عليه الحصول على مجلد من كتاب الانساب للسمعاني « يروى ان الوزير جمال الدين القفطي - صاحب انباه الرواة في طبقات اللغويين والنحاة» والمتوفي سنة ٦٤٦ - انه عثر يوما على نسخة نادرة من كتاب (الانساب للسمعاني) ينقصها مجلد من اصل خمسة فلم يوفق الى الحصول عليه ، واتفق ان بعض معارفه مروا بسوق القلانسيين فصادفوا اوراقا من المجلد المفقود ، واحضروها له فاستدعى جمال الدين القلانسي واستطلعه عن خبر المجلد المذكور ، فقال له القلانسي اشتريته في جملة اوراق وعملته قوالب للقلانس . فحزن القفطي حزنا شديدا ، وتخلف عن الذهاب الى مركز وزارته في قلعة حلب واقام في داره مناحة استدعى اليها الندابين والنادبات فناحوا على المخطوطة المفقودة ، وندبوها كما يندب ميت عزيز ، وتوافد الادباء والاصدقاء والاعيان يعزون الوزير عن مصابه)[2] ولعل هذه الصورة الحية واضحة الدلالة ولا تحتاج الى تعليق . على اننا لا ننسى ما كان لبعض الخلفاء وكبار الوزراء من شغف بالمعرفة وغرام بالكتب وجمع ما تناثر منها مما جعلهم ينشئون دور الكتب العامة يختلف اليها المطالعون منذ القرن الثاني للهجرة ، ولقد كان انشاء دار الحكمة ايام هارون الرشيد وفي عصر المامون يعد حدثا هاما من ابرز احداث القرون

---

(١) معجم الأدباء لياقوت (١٨٢ - ١٧) .
(٢) خزائن الكتب العربية في الخافقين لفيليب دي طرازي (٩١٨ - ٣)

الوسطى ، وكانت هذه الدار بمثابة منبع عذب يرتاده القاصدون لينهلوا من مختلف صنوف الثقافات عربية واجنبية، فكان منهم العلماء والادباء والفلاسفة الذين خلفوا لنا تراثا ضخما قل ان يوجد مثله في امة من الامم ، بيد ان الزمن قلب لهذا التراث ظهر المحبة وعدت عليه عواديه فتبدد بين ضياع واحراق وتلف ولم يصلنا منه الا القليل ، وحفظ لنا ابن النديم صاحب « الفهرست » وحاجي خليفة صاحب «كشف الظنون» اسماء الكثير ولو لم يتول ذلك القليل رجال قاموا بجمعه وحافظوا عليه لما بقي لنا منه شيء، ونحن هنا سنلقي بعض الضوء على شخصية رجل من هؤلاء الرجال اللامعين في تاريخ الكتب والمكتبات عمل جاهدا على جمع ما تبعثر من تراثنا حتى كون منه مكتبة تزخر بنفائس المخطوطات العربية في مختلف الفنون ، ذلك هو شيخ الاسلام احمد عارف حكمت بن العلامة ابراهيم عصمت الحسيني منشىء المكتبة الشهيرة بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت ـ ولد عام (١٢٠٠) في الاستانة ـ دار الخلافة العثمانية ـ وكان والده رجلا ثريا ذا مكانة اجتماعية مرموقة ، فعني بتربية ابنه ونشأه نشأة دينية واوكل به من يحفظه القرآن ويدرسه العلوم الموجودة في عصره ، فاتقن حفظ القرآن وتفهم ما تلقاه من علوم ثم تصدر للتدريس وهو لم يتجاوز سنة الثانية عشر من عمره فاظهر الكفاءة والقدرة مما جعله يستحق منصب القضاء في القدس عام (١٢٣٠) ثم قضاء مصر عام «١٢٣٦» ثم قضاء المدينة المنورة عام (١٢٣٩) ومكث قاضيا في المدينة الى عام (١٢٤٢) ثم عاد الى بلاده وتقلب هناك الى مناصب مختلفة ، كان آخرها عام (١٢٦٢) حيث عينه السلطان عبد المجيد شيخا للاسلام فتقلد بذلك اكبر منصب ديني في الدولة، على انه لم يلبث ان عاد الى المدينة جالبا معه امواله الطائلة ومكتبته العظيمة واقام في المدينة زمنا الى ان جاءه مرسوم من السلطان عبد المجيد يأمره بالعودة الى الاستانة فعاد اليها قسرا بغير رضاه ، وحاول السلطان ان يسند اليه مشيخة الاسلام مرة ثانية فتعذر بكبر السن وآثر ان يقضي بقية حياته في العبادة والتفرغ للعلم الى ان وافاه الاجل في الاستانة بمحلة (اسكودار) عام ١٢٧٥ ، وكان رحمه الله ذكيا المعيا وعالما فقيها وشاعرا مجيدا له ديوان

بالعربية والفارسية ، وله مؤلفات في التفسير والحديث والوعـــظ والسيرة والفتاوي ومن شعره قوله عن نفسه

الم تعلم بان سماء فكري تلوح بافقها شمس المعارف
توسم والدي في المــزايا فمنذ ولدت لقبني بعارف

ويقول واعظا نفسه

يا قاضيا متغافـــلا عن عمره يقضي على زيد الرجال وعَمره
يا ليت شعري ماقضى فيما قضى ربي عليك بحكم من امــره
فاسمح تسامح وائتلف بتعفف يغنيك ربي من خزائن بره

ولقد امضى خمسة وسبعين عاما حافلة بالحركة والعمل والعلم والمطـالعة والاستذكار ، وبمجالسة الكتب ، وكان اقتناؤها والحصـول عليها اهم شيء يستأسر بتفكيره ويبذل في سبيله الغالي والنفيس فـــما ان يسمع بكتاب الا ويبادر باستنساخه او بشرائه مهما كلفه الثمن حتى اجتمع لديه عدد ضخم من انفس روائع الفكر العربي والاسلامي ، كون منه مكتبته المعروفـة بمكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت التي نقلها معه الى المدينه المنورة فيـها نقل من املاكه بالاستانة ، واوقفها على طلبة العلم والمراجعية واوقف عليها املاكا كثيرة في بلاد خدمه لها ومعاونه لمن يقوم بالاشراف عليها ولقد اولها من العناية ما يفوق الوصف فبالرغم من انها انتقلت معه الى اكثر من بلد غير ان الكتب لا تزال محفوظة بتجليدها القوي واغلفتها الجلدية المتينة الواقيه لها من التلف والمكتبة الان تحت اشراف وزارة الحج والاوقاف الاسلامية ، وتقع جنوبي المسجد النبوي داخل دار كبيرة تشغل المكتبة جزءا منها عليه قبة كبيرة والداخل عليها تواجهه لوحات قرآنية ويستبيه حسن تنسيقها وما فيها من دواليب رائعة وضعت الكتب فيها على الشكل الافقي القديم ، ويبلغ عدد مخطوطاتها (٤٩٦٠) مخطوطة [١] في مختلف الفنون ، واغلبها من الكتب النادرة

---

(١) حسب الاحصاء الاخير للمكتبات المنشور في مجلة المنهل

المعتبرة ، ومنها ما يعود تاريخ نسخه الى عهود بعيدة ، ككتاب «التشبيهات» لابي اسحاق بن ابي عون يعود تاريخ نسخه الى سنة (٤٦٦) ، وكتاب «تهذيب اللغة» للأزهري بخط ياقوت الحموي ، وكتاب «شرح الفصيح» لابن درستويه المنسوخ سنة (٥٦١) كما ان من نوادرها نسخة من القرآن الكريم كتبت على رق غزال بخط كوفي قديم جدا ، ولا يخلوهن من فنونها على وجه العموم من نوادر قيمة تستحق النظر والاعتبار من ذوي الشأن ومن ثم التفرغ لتحقيقها واخراجها لطلاب المعرفة ليعم نفعها بدلا من ان تمكث بعيدة المنال راكدة في ارفقها ، وما اكثر تراثنا الذي لا يزال قابعا في زوايا المكتبات ينتظر الجهود التي تعمل على اخراجه ، فتضيف بذلك حجرا على بناء الثقافة الشامخ في عصر العلم والثقافة .

وبعد هذه النبذة الموجزة عن حياة الشيخ عارف حكمت ومكتبته الشهيرة يطيب لنا ان نفرض وصفاً سريعاً مختصراً لبعض ما تحويه هذه المكتبة من ذخائر نادرة في اللغة والنحو ، وليس ما وصفنا هو كل ما في هذين الفنين من مخطوطات نادرة بل اقتصرنا على ما هو أهم واكتفينا في الوصف على الجوانب البارزة من المخطوطة ، دون التفصيل والبسط أو التعريف الكامل .

أولاً : ذخائرها المخطوطة في اللغة العربية

١ – تهذيب اللغة لأبي منصور الازهري (المجلد الأول) وهو أحد المعاجم العربية المعتبرة التي سارت على نهج الخليل والتي اعتمد عليها ابن منظور في لسان العرب ، كتب بخط نسخي ، والصفحات الأولى فيه منقوشة بزخارف جميلة ، والمادة مميزة بالحبر الأحمر كما أن كل صفحة منه محاطة باطار ذهبي عدد صفحات المجلد الأول (٦٦٤) صفحة ، ومقياس الصفحة (٣٠ × ٢٠) سم خال من التعليقات الهامشية .

أما المجلد الثاني والأخير فكالأول من حيث الخط والزخرفة أما عدد صفحاته فتبلغ (٨١٢) صفحة ومقياس الصفحة (٢٩ × ٢٠ سم) وكلا

المجلدين بخط الاديب المشهور ياقوت الحموي– صاحب المعجمين الادباء والبلدان كان الفراغ من نسخه سنة (٦٢٦) للهجرة جاء في آخره ما نصه :(قال كاتب الاصل المنقول منه هذه النسخة المباركة وافق الفراغ من كتابته صبيحة الجمعة الثامن من ذي الحجة سنة ستة عشر وستمائة للهجرة المباركة على يد العبد الضعيف ياقوت بن عبدالله الرومي الاصل البغدادي المنشأ الحموي المولى تجاوز الله عن سيئآته وغفر له خطاياه وكتب منه خمس عشر مجلده من خط مصنف الكتاب الى منصور جزاه الله خيراً ، ثم حيل بينه وبين الباقي فأتمه من نسخ قرئت على المصنف) الخ .

٢ – كتاب شرح الفصيح – فصيح ثعلب – لابن درستوية عبدالله بن جعفر النحوي المتوفي سنة ٣٤٧ ، كتب بخط نسخي واضح عدد صفحاته (٥١٨) صفحة ، ومقياس الصفحة (٢٣×١٦سم) على هوامشه بعض التعليقات التوضيحية البسيطة كان الفراغ من نسخه سنة (٥٦١)هـ جاء في آخره (وكان الفراغ منه لعشر خلون من شهر الله الاصم رجب من سنة احدى وستين وخمسمائة)

٣ – كتاب الضاد والظاء : لابن الفرج محمد بن عبدالله بن سهل النحوي رحمه الله كتب بخط نسخي واضح وهو قديم وفي صفحاته خروم بسيطة من اثار العث عدد صفحاته (٦٦)صفحة ، ومقياس الصفحة (١٧×١٣سم) كان الفراغ من نسخه سنة (٥٩٥) هجرية جاء في آخره (تم الكتاب والحمد لله رب العالمين وفرغ من نسخه في يوم الاثنين ثامن جماد الاولى سنة خمس وتسعين وخمسمائة)

٤ – المجمل في اللغة ، لابن فارس صاحب مقاييس اللغة – يقع في مجلدين كتب المجلد الاول منه بخط نسخي واضح ، وفي الصفحات الاولى منه آثار التآكل عدد صفحاته (٦٣٠) صفحة ومقياس الصفحة (٢٢×١٥سم)وميزت المواد بكتابتها على الهامش ، وعلى ان المجلد الاول لم يكتب بخط واحد فالريشة تختلف في كتابة الجزء الاخير منه

اما المجلد الثاني من الكتاب فيبدأ بباب الصاد والنون وهو مكتوب ايضا بخط نسخي واضح يختلف عن خط المجلد الاول عدد صفحاته (٧٨٢) مقياس الصفحة (٢٤×١٦) ليس في اخره ما يدل على تاريخ نسخه انما وجد اسم وعبارات مبهمة جاء في آخره (وافق الفراغ منه رابع رجب سنة سبعين وكذا كذا كتبه الفقير الى رحمة الله تعالى فلان بن فلان بن هبة الله بن يافى بن مسلم النيلي) ويظهر لى ان الخط ربما عاد الى القرن الثامن او ما بعده

٥ — المرصع — منسوب لابن الاثير — صاحب النهاية في غريب الحديث— وهو كتاب ظريف في ضبط الكنى والالقاب وجمع ما يبدأ من المسميات بأب او ام او ابن او بنت وذو وذات ، كتب بخط فارسي جميل ، والصفحة الاولى منه مزخرفة بنقوش جميلة رائعة وصفحاته محاطة باطار ذهبي والمواد مكتوبة بالحبر الاحمر ، عدد صفحاته (٣١٨) مقياس الصفحة (٢٠×١٣سم) كان الفراغ من نسخه سنة (١١٤٤)هجرية

٦—كتاب المغنى في الانباء عن غريب المهذب والاسماء . لابن باطيس وهو عبارة عن شرح لغريب المهذب في فقه الشافعية لابن اسحاق ابراهيم بن علي الفيروز آبادي ، كتب بخط نسخي واضح ، وكتبت العناوين بالحبر الاحمر وميزت مواده بالحبر الاحمر ايضا ، عدد صفحاته (٤٣٠) ومقياس الصفحة (٢٣×١٥ سم) كان الفراغ من نسخه كما جاء في آخره في مستهل شوال من سنة اثني عشرة وستمائة .

٧ — المثلثات . للعلامة ابن مالك الطائي النحوي ، وهو عبارة عن منظومة للمثلثات اللغوية ، كتب بخط نسخي واضح نوعا ما الا في آخره فقد حشرت فيه الابيات حشرا فتداخلت ، وفي القسم الاخير بعض التعليقات يظهر انها للامام البقاعي الشافعي ، وعدد صفحاته (١٤٤) صفحه مقياس الصفحة (١٧×١٣سم) كان الفراغ من نسخه كما جاء في اخره ، في الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين وستماية بخط الامام البقاعي ، ويبدو انه كتب النسخة على فترات كما يذكر هو في آخرها مما اضطره الى كتابة بعض الابيات في الهامش لعدم اصابته في تقدير الفراغ ليستأنف الكتابة حين فراغه .

٨ – المثلثات اللغوية . للفيروزبادي – صاحب القاموس المحيط – جمع فيه كل ما اطلع عليه من كتب المثلثـات ، ككتاب قطرب ، والبطليوسي والبصري وابن زهير وابن مالك ، وابي عبدالله الحنبلي . كتب بخط فارسي جميل ، والصفحة الأولى مزخرفة وبقية الصفحات محاطة بإطار ذهبي عـدد صفحاته (١١٤) صفحة ومقياس الصفحة (٢١ × ١٣ سم) وميزت مواده بالحبر الاحمر على هوامش بعض التعليقات البسيطة ، لم يذكر في آخره ما يشعر بنسخه ، غير أن الكتاب يقع ضمن مجموعة تليه فيها رسالة للفيروزبادي نفسه اسمها (تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين وهي على ما يظهر مكتوبـة بخط من نوع خط المثلثات وكان الفراغ من نسخ هذه الرسالة في سنة احدى وخمسين ومئة وألف ، وعلى هذا ربما كان تاريخ نسخ المثلثات قريب من تاريخ نسخ رسالة تحبير الموشين) .

٩ – كتاب المشوق المعلم في ترتيب الاصلاح على حروف المعجم . لابي البقاء العكبري ، وهو ترتيب لكتـاب اصلاح المنطق لابن الكيت ، كُتب بخط نسخي واضح ميز أبوابه بخط أسود غامق وعدد صفحاته (٤٧٦)صفحة مقياس الصفحه (٢٣ × ١٥ سم) وعليه قراءات لبعض العلماء ، كان الفراغ من نسخه سنة (٦٠٦) هجرية جاء في آخره (تم الكتاب وذلـــك من العشر الاواسط من رجب سنة ست وستمائة على يد الفقير الى الله تعالى علي بن محمد بن علي الناسخ عفا الله عنه) .

١٠ – كتاب وفاق المفهوم في اختلاف المقول والمرسوم . لابن مالـك الطائي النحوي . وهو كتاب جمع فيه الكلمـات ذات الحروف المتشابهة في الخط والمختلفة في المعنى جاء في أحد أبوابه (باب المقول بالباء والتاء والمعنى واحد) يقال نبا فلان نبوءا ونتا نتوءا أي طلع. وهكذا كتب بالخطالنسخي الواضح الأبواب مميزة بالحبر الاحمر وعدد صفحاته (٧٦) ه مقياس الصفحة (١٧ × ١٣ سم) كان الفراغ من نسخه كما جاء في آخره سنة (٨٦٢) ه

١١ – كتاب الالفاظ تأليف الامام ابي منصور سهل بن المرزبان الاشل النهاوندي ، وهو كتاب جمع فيه الالفاظ المترادفة والمتواردة التيتؤدي معنى

واحداً ، كتب بخط نسخي واضح وعليه آثار الرطوبة عدد صفحاته (١٦٢) صفحة ، ومقياس الصحفة (١٩ × ١٤ سم) يقول مؤلفه في المقدمة موضحاً منهجه (هذا كتاب جمعناه ضروباً الفناه فنوناً وضعنا اجناساً فصلناه فصولا فرعناه أنواعــاً صنفناه أصنافاً بوبناه أبواباً من الفصول المنسقة والشذور المنتظمة والالفاظ المختلفة والمعاني المتفقة من كلمة نادرة)الخ. كان الفراغ من نسخه كما جاء في آخره يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر جماد الاول من سنة ست وستين وسبعمائه) .

ثانياً – ذخائرها المخطوطة في علم النحو :

١ – كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب ، تصنيف الامام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي يوسف بن حيان الاندلسي ، كتب بخط نسخي واضح وميزت الابواب بالحبر الاحمر ، والصفحة الاولى منه منقوشة بزخارف رائعة وفي بعض هوامشه تعليقات بسيطة ، وعدد صفحاته (١١٩٢) صفحــة ، ومقياس الصفحة (٢٣ × ١٦ سم) كان الفراغ من نسخه سنة ١١٥٣ هجرية جاء في آخره (وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة يوم الاحد سادس عشر شهر جمادى الآخر من شهور سنة ١٠٥٣ من الهجرة النبوية .

٢ – تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد . تأليف العلامة النحوي جمال الدين بن هشام رحمه الله .

وهو عبارة عن شرح لشواهد ابن الناظم في شرحه لألفية والده ابن مالك كتب بخط نسخي واضح ، والعناوين والأبواب والمسائل مميزة بحبر أحمر ، وعـــدد صفحاته (٣٣٢) صفحة مقياس الصفحة (٢٠ × ١٥ سم) كان الفراغ من نسخه سنة (٩٨٩) هجرية جاء في آخره (كان الفراغ من كتابته يوم الأربعاء أو آخر شهر جمادى الثاني سنة تسع وثمانين وتسعمائة) .

٣ – البرود الضافية والعقود الصافية الكافلة للكافية بالمعاني الثمانية وافية للعلامة جمال الدين بن مالك النحوي .

هذا هو اسم الكتاب كما ورد في مقدمته ولم يكتب هذا العنوان في صدر الكتاب انما كتب في أول ورقة منه عنوان مختصر بريشة حديثة مغايرة لخط الكتاب ولعل في هذا العنوان بعض الغرابة فهو أطول عنوان قرأتـــه لكتاب . والكتاب على العموم شرح لكافية ابن الحاجب في النحو ، كتب بخط نسخي أغلبه خال من النقط وعلى هوامشه تعليقات كثيرة بريش مختلفة، وعدد صفحاته (٤٦٠) صفحة مقياس الصفحة (٢٦ × ٢٠ سم) كان الفراغ من نسخه في شهر ربيع الأول من سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة) .

٤ ـ كتاب الجامع الصغير ، لجمال الدين بن هشام النحوي . وهو عبارة عن مقدمة بسيطة في النحو ، كتبت بخط فارسي جميل وميزت الأبواب بالحبر الأحمر وعلى هوامشه تعليقات جمة كتبت بخط فارسي جميل ، ويظهر أنها من كاتب النسخة محمد بن محمد المدعو بردوسي زاده، وعدد صفحاته (٩٤) صفحة مقياس الصفحة (٢٥ × ١٤ سم) كان الفراغ من نسخه قبيل ظهر يوم الاثنين العاشر من شعبان سنة ثمان ومئة والف) .

٥ ـ شرح الشافية الكافية . للامام جمال الدين بن مالك الطائي النحوي وهو شرح للكافية التي نظمها ابن مالك نفسه في ثلاثة آلاف بيت ، كتبت بخط نسخي وبحبر مختلف بل وبريشة مختلفة وفي بعض الصفحات بعض آثار الرطوبة ، وبعض حروفه المعجمة خالية من النقط عدد صفحاته (٣٧٨) ومقياس الصفحة (٢٥ × ١٩ سم) كان الفراغ من نسخه في سنة (٦٩٠) جاء في آخره (كتب من نسختين احداهما بدمشق المحروسة لشهاب الدين بن فرح المحدث الظابط ، والأخرى بحلب المحروسة لقاضي القضاة شمس الدين بن محمد المعروف بالدمشقي وكملت بعون الله يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة سنة تسعين وستمائة) .

٦ ـ شرح شواهد مغنى اللبيب لابن هشام .

تأليف العلامة الشيخ عبد القادر البغدادي ، كتب بخط نسخي جميل واضح وقد أفرد الشواهد مجموعة ومرتبة على حروف المعجم في صدر الكتاب

قبل أن يشرع في الشرح ، وعدد صفحات الكتاب (١١١٤) صفحة من القطع الكبير مقياس الصفحة (٣٩ × ٢٠ سم) كان الفراغ من نسخة كما جاء في آخره صبيحة يوم الخميس ثاني ذي الحجة من شهور سنة الف ومئة واثنين وعشرين .

٧ ـ الجزء الأول من كتاب : شرح سيبويه تأليف الحسن بن عبد الله السيرافي ما كتب بخط نسخي واضح ويليه الجزء الثاني وكلا الجزءين كتب بخط واحـــد وعدد صفحات الجزءين معاً (٤٧٨) صفحة مقياس الصفحة (٢٥ × ١٦ سم) لم يذكر في آخره ما يشعر بتاريخ نسخة ، وانما جاءت هذه العبارة في كلا الجزءين (نقلت هذا الجزء من خط الحسين بن عبد الله السيرافي المفسر لكتاب سيبويه – رحمه الله) والكتاب ناقص وليس تامـــاً وخطه قديم .

٨ – كتاب المحصول في شرح الفصول في النحو .

تاليف ابي الحسن حسين بن ايان ، وهو عبارة عن شرح الفصول في النحو لأبي زكريا يحـــي بن قعطى ، كتب بخط نسخي واضح الصفحة الاولى منه مرخرفة وبقية صفحاته محاطة باطـــار ذهبي ، عدد صفحاته (٣٧٦)صفحة ومقياس الصفحة (٣٠×٢١سم) كان الفراغ من نسخه في سنة (٩٩٠) هجرية .

٩ ـ النكت في علم العربية :

لجلال الدين السيوطي ، وهو عبارة عن نكت حررهـا على كتب في علم العربية كالخلاصة لابن مالك ، ونزهة الطرف في علم الصرف وعلى كتب لابن هشام وابن الحـــاجب ، كتب بخط نسخي واضح ، وميزت الابواب بالحبر الاحمر وعدد صفحاته (٥٤٤) صفحة مقياس الصفحة (١٩×١٥سم) كان الفراغ من نسخه سنة (١٠٢٦)هجرية جاء في آخره (كان الفراغ من كتابته على يد اضعف عباده الفقير جمال الدين السهوري المالكي في يوم الثلاثاء المبارك عاشر جمادى الاولى من شهر سنة ١٠٢٦)

١٠ مختصر شرح امثلة سيبويه

لابي الفتح محمد بن عيسى بن عثمان العطار النحوي ، شرح فيه امثلة الطرف في كتاب سيبويه والمختصر لابي منصور موهوب بن احمد بن محمد الجواليقي ، كتب بخط نسخي واضح مشكل ، وميزت الامثلة بكتابتها على الهامش وفي اول كل سطر بالحبر الاحمر ، وعدد صفحاته (١٠٦) صفحة مقياس الصفحة (١٩×١٦سم) ، لم يوجد في آخره ما ينبىء عن تاريخ نسخه وانما وجد في اول النسخة بعد العنوان ما يشعر بان النسخة منقولة من خط الجواليقي نفسه ومقروءة عليه والكتاب على العموم يقع ضمن مجموعة كتبت بخط واحد وحبر واحد وتضم كتاب تفسير غريب الابنية من كتاب سيبويه وكتاب ابنية الاسماء والافعال والحروف ؛ وربما تبين لنا من احدى الملكيات المؤرخة سنة (٧٠٧) والمدونة على كتاب تفسير غريب الابنية ان تاريخ نسخ مختصر شرح امثلة سيبويه يعود الى القرن الثامن وقبله .

١١ ـ كتاب تفسير غريب الابنية من كتاب سيبويه .

رواية ابي محمد عبدالله بن محمد بن قتيبة عن ابي حاتم سهل بن محمد السجستاني سماعا عليه بالبصرة ، كتب بخط نسخي واضح عدد صفحاته (٣٢) صفحة ومقياس الصفحة (١٩×١٦سم) لم يوجد في آخره ما يشعر بتاريخ نسخه وربما عاد الى القرن الثامن او قبله كسابقه (مختصر شرح امثلة سيبويه)الموجود معه في المجموعة

١٢ ـ كتاب ابنية الاسماء والافعال والحروف : تاليف ابي بكر محمد بن حسن الزبيدي ويقصد بالابنية ابنية كتاب سيبويه ، كتب بخط نسخي واضح ، وعدد صفاته(٩٢)صفحة مقياس الصفحة (١٩×١٦سم) وهو آخر كتاب في المجموعة ولم يذكر في آخره ايضا ما يشعر بتاريخ نسخه غير انه يحمل على سابقه من حيث استنتاج تاريخ نسخه (انظر مختصر شرح امثلة سيبويه).

١٣ ـ كتاب سيبويه ـ في النحو ـ

كتب بخط نسخي واضح ، وميزت العناوين بالحبر الأحمر ، والصفحات محاطة باطار ذهبي وهي نسخة جيدة من الكتاب عليها تعليقات مهمة لكبار النحويين القدماء كالأخفش والمبرد ، والزجاج ، وأبو علي الفارسي ، وخط هذه التعليقات مغاير لخط الكتاب ، وقد صدرت بمقدمة أولها (قال أبو عبد محمد بن يحيى قرأت على ابن ولاد) الخ وهذه المقدمة عبارة ، عن تعريف بالكتاب وثناء عليه من كبار النحويين المعتبرين ، ويظهر أن هذه النسخة منقولة بخط الزمخشري ، وان الزمخشري نقل نسخته عن نسخة أبي علي الفارسي كما هو مثبت في صدر الكتاب بخط فارسي يختلف عن خط الكتاب ونسخة أبي علي التي نقل عنها الزمخشري نسخة جيدة قوبلت على عدة نسخ معتبرة كان يملكها اشهر النحاة كالزجاج وابن السراج الذي أخذ نسخة عن نسخة أبي العباس المبرد وهذا مما يجعل نسخة شيخ الاسلام عارف حكمت اصلاً معتبراً لكتاب سيبويه ، لا يوجـــد في آخرها ما يشعر بتاريخ نسخها غير أن خطها كما يظهر ليس بالقديم .

وفي ختام هذا العرض السريع أرجو أن كون قد وقفت في التعريف ببعض مـــا تحويه مكتبة شيخ الاسلام من ذخائر نفيسة في اللغة والنحو ، راجياً أن تتيسر السبل إلى طبعها واخراجها للباحثين ، وطلاب العلم محققة ليعم الانتفاع بها ونكون بذلك قد قدمنا أجل خدمة للغة القرآن الـــتي تواجه اليوم عنتاً شديـــداً من اعدائها وخصومها ، ولعل توفير آلة تصوير الخطوطات للمكتبة من قبل المسؤولين هو أهم ممهد ييسر لنا السبيل إلى مـــا نتطلع اليه ، وعلى الله التوفيق والسداد .

كلية اللغة العربية – الرياض

عبد الله عبد الرحيم عسيلان

فصول من تاريخ المدينة

واتحفني الاخ الصديق الاستاذ علي حافظ بنسخة من كتاب : « فصول من تاريخ المدينة المنورة » الذي الفه ونشره هذا العام ، والذي قال عنه في المقدمة : (ليس هذا الكتاب تاريخا شاملا للمدينة ، انما هو فصول من هذا التاريخ الحافل لهذه المدينة الخالدة ، بدأتها برحلة عبر هذا التاريخ المجيد وحرصت على تسجيل التطورات التي حدثت في المسجد النبوي والحجرة الشريفة وتسجيل تاريخ الاماكن الاثرية الاسلامية ، واتيت على موجز من قصة معركتي « أحد » و « الخندق » ثم انتقلت المدينة في الوقت الحاضر فكان من ابرز معالم اليوم هذا التبدل العمراني الشامل .. وقد توخيت تبسيط البحوث وتقريبها وحاولت الاخذ بالراجح من الاقوال وعلقت على بعض ما رايت بحاجة الى تعليق ...).

ويقع هذا المؤلف الجيد الجديد في ثلاثة عشر فصلا :

١ — المدينة المنورة عبر التاريخ . من ص : ١١ — ٤٨

٢ — المسجد النبوي خلال اربعة عشر قرنا من ص: ٥١ — ٩٩

٣ — الحجرة المطهرة (بيت النبي صلهم) من ص: ١٠٣ — ١١٧

٤ — المساجد المأثورة من ص : ١٢١ — ١٤٨

٥ — بقيع الغرقد وشهداء أحد من ص : ١٥١ — ١٦٤

٦ — الآبار المأثورة من ص : ١٦٧ — ١٨٠

٧ — سقيفة بني ساعدة من ص : ١٨٣ — ١٨٦

٨ — معركة أحد من ص : ١٨٩ — ٢٠٠

٩ ـ معركة الاحزاب (الخندق)من ص : ٢٠٣ ـ ٢١٥

١٠ ـ العلم والتعليم في المدينة من ص : ٢١٩ ـ ٢٥٣

١١ ـ المدينة المنورة في العصر الحديث من ص : ٢٥٧ ـ ٢٩٥

١٢ ـ مشاريع المدينة من سنة ١٣٧٠ الى ١٣٨٥ من ص : ٢٩٩ ـ ٣٣٢

١٣ ـ المصالح الحكومية والخدمات العامة من ص : ٣٣٥ ـ ٣٥٠

ثم الفهارس مفصلة باسماء المواضع والاعلام وغيرها من ص :٣٥٣ ـ ٤٠٨

ثم رسم يوضح الاماكن الاثرية (خارطة) بالالوان

والكتاب في مجموعه يقع في ٤٠٨ صفحة ، وطبـــاعته حسنة ، وترتيبه وتنسيقه بلغ درجة من الجودة والاتقان ، تدل على تقدم الطباعة في بلادنا .

والكتاب في موضوعه ألفه اديب باحث جليل من ابناء طيبة الطاهرة الذي درسوا معالمها وآثارها ، دراسة عمق وادراك ، ومشاهدة وخبرة ، مما جعل الكتاب بحق من الكتب التي لا يستغني عنها من يعنى بتاريخ هـــذه المدينة الكريمة في نفس كل مسلم .

وكلمتنا حوله لا تعدو اشارات موجزة تتعلق بموضوعـات اثارها المؤلف الكريم واوفاها جانبا من البحث احببنا المشاركة في عمله الجليل اعترافـــا بما لهذا الكتاب من مكانة في النفس .

١ ـ كنا نود التوسع بالقدر الذي يلائم عند ذكر سكان المدينة في اول عصورها ، مما افاض فيه مؤرخوها الاوائل ،كما كنا نود ايراد تفصيل عـــن مواقع قبائل الاوس والخزرج ومنازلهم ليصبح لدى دارس هذا التاريخ من الالمام بخطط المدينة عند ظهور الاسلام ما يمكنه من معرفة كثير من النصوص التاريخية الواردة في ذلك العهد ، كحديث الهجرة وتنقل المصطفى (ص) بين الاسر المعروفة في ذلك العهد مـــا اصبح دارس تاريخ المدينة في امس الحاجة اليه .

ومن مؤلفات المتقدمين ككتاب ابن شبة ولا تزال منه نسخة باقية في المدينة ، وكتاب « المعالم المطابة » وهو معروف للفيروز آبادي ثم في « وفاء الوفاء » للسمهودي الذي حاول تلخيص ما في الكتابين وما في غيرهما مما اطلع عليه في كل ذلك قدْر واف .

٢ ـ وفي العهد النبوي الكريم اتسعت المدينة وهاجر اليها المهاجرون فاصبح لكل قبيلة مكان معروف ، وخطة منسوبة إلى تلك القبيلة ، ورد ذكرها في كتب التاريخ وفي كتب الحديث ، وعرف لبعضها مساجد صلى فيه الرسول (ص) ، أو أمر بتخطيطها ، والباحث يحتاج الى معرفة ذلك .

٣ ـ وفي العهد العباسي حدثت حركتان مضادتان لذلك الحكم ، أشار الى الأولى منها الاستاذ المؤلف ، والثانية أهملها ، وإن كانت الحركتان مما جرّ على المدينة وأهلها ألواناً من الشر ، وهما مما يحسن للباحث في تاريخ المدينة التوسع فيه .

ونعني بالحركة الثانية ما قام به اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم الحسيني الطالبي الذي حاصر المدينة حتى مات أهلها جوعاً ، ولم يُصَلّ أحد في مسجد رسول الله ﷺ ، في سنة ٢٥١ أيام حرب المعتَزّ مع المستعين ، وكان قيامه في ربيع الأول من تلك السنة ومات بالجدري سنة ٢٥٢[١] .

وهذا طرف مما ذكره المؤرخون عن ثورته :

في سنة ٢٥١ ظهر اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب بمكة ، فهرب واليها ، وانتهب اسماعيل منزله ومنازل أصحاب السلطان ، وقتل الجند وجماعة من أهل مكة ، وأخذ ما كان حمل لإصلاح العين من المال ، وما في الكعبة وخزائنها من الذهب والفضة وغير ذلك ، وأخذ كسوة الكعبة ، وأخذ من الناس نحواً من مائتي الف دينار ، وخرج من مكة بعد أن نهبها ، وأحرق بعضها في ربيع الأول بعد خمسين

---

(١) « جمهرة النسب » لابن حزم ص ٤٦ ، الطبعة الثانية .

يوماً ، وسار الى المدينة ، فتوارى عاملهـا ، ثم رجع اسماعيل الى مكة في رجب ، فحصرهم حتى تماوت أهلها جوعاً وعطشاً ، وبلغ الخبز ثلاث اواق بدرهم ، واللحم رطل بأربعة دراهم ، وشربة ماء بثلاثة دراهم ، ولقي أهل مكة منه كل بلاء .

ثم سار الى جدة بعد مقام سبعة وخمسين يوماً، فحبس عن الناس الطعام، وأخذ الأموال التي للتجار وأصحاب المراكب ، ثم وافى اسماعيل عرفة وبها محمد بن احمد بن عيسى بن المنصور الملقب بكعب البقر ، وعيسى بن محمـد المخزومي صاحب جيش مكة ، كان المعتز وجّهها اليهـا ، فقاتلهما اسماعيل ، وقتل من الحاج نحو الف ومائة ، وسلب الناس ، وهربوا الى مكة ، لم يقفوا بعرفة ليلاً ولا نهاراً ، ووقف اسماعيل وأصحابه ، ثم رجع الى جدة فأفنى أموالها .

٤ – وبعد العهد العباسي أشار المؤلف الفاضل الى بعض الحوادث وكان مما تركه قاصداً او غير قاصد تغلغل المذهب الشيعي تغلغلاً جعل كل المناصب الدينية وقفاً على طائفة مخصوصة ، مما أشار اليه السخاوي وغيره من متقدمي المؤرخين ، وهو مما يحتاج دارس المدينة الكريمة الى معرفته .

٥ – ومن الحوادث التي أشار اليها المؤرخ الكريم ، بعـد ضعف الدولة العباسية ، محاولة سرقة الجسد المطهر على صاحبه أفضل الصلاة والسلام .

وهذا الموضوع كان مجالاً واسعاً لاختلاف الآراء حوله ، فقد أثبتـه كثير من مؤرخي المدينة ، ونفاه آخرون كان من أقدمهم شيخ العروبـة أحمد زكي باشا – رحمه الله – الذي كتب في الموضوع مقالاً ضافيـاً في إحدى المجلات المصرية في حياته . ثم جاء صديقنا الاستاذ محمد حسن عواد وسار على طريقة شيخ العروبة ، إلا انه أتى بأدلة أخرى لم يأتِ بها من سبقه[1] ، حينما علـّق على هذا الكتاب القيم بمقال ممتع ، وهناك ناحية تاريخية لم يشر اليها مؤرخنا

---

(١) أنظر جريدة عكاظ ع ١١٤٧ تاريخ ١٣٨٨/٥/٢١ – ٦٨/٨/١٥ ص ٤ .

الجليل حدثت بعد حريق المسجد سنة ٦٥٤ ، وكان من أثرها احتياج الحجرة المطهرة إلى إزالة ما تساقط فيهـا ، وقد ألف مؤرخ المدينة السيد السمهودي كتابـاً في الموضوع تحت يدي الآن نسخة منـه صورتها من مكتبـة دير الاسكوريال في اسبانيا اسمها (الوفاء بمـا يجب لحضرة المصطفى) ، ومن الكتاب نسخة أخرى في مكتبة الحرم المكي ناقصة من كتب الشيخ عبدالستار الدهلوي ورقمها في كتبه ١٢٢ ، تكلم في الموضوع بإسهـاب ، وأشار الى ما جرى بصدده ممـا يعتبر تركه مخلا ، ونرجو تداركه عنـد إعادة طبع الكتاب .

٦ – وتحدث المؤلف الفاضل عن سور المدينة الذي أنشىء في اول العهد العثماني ، وتحسن الاشارة الى أن المؤرخين المتقدمين توسعوا في هذا الموضوع ، فألّف الشيخ محمد بن خضر الجلالي الرومي الحنفي فيه رسالة دعاها « التحفة اللطيفة في عمارة المسجـد النبوي وسور المدينـة الشريفة » ، موجودة في مكتبة دير الاسكوريال في اسبانيا ، وبـين يدي الآن نسخة منها . ووضع عالم مجهول رسالة في الموضوع توجـد ملحقة بكتاب السيد السمهودي الذي سبقت الاشارة اليه ، وفي الرسالتين ما لا يتفق مع ما نقله الاستاذ المؤرخ من معلومات عن عمارة السور ، وأعتقـد ان رسالة الجلالي الرومي قاضي الحنفية وقاضي المدينة المنورة قد طبعها المعهد العربي في اسبانيا ، في مجلته .

وهذا القول من قبيل الاشارة الى مصادرْ أخرى قد تعين الباحث في هذا الموضوع .

٧ – وتحدث المؤرخ الفاضل في كتابه عن المدينة في العهـد العثماني ، فأشار الى أن العثمانيين جعلوا (سلطة شيخ الحرم الشريف هي السلطـة العليا التي ترتبط بهـا السلطات وهي التي تتصل بالاستانة)[١] ، ويحسن من قبيل التمليح أن نشير الى ما ذكره الشيخ ابراهيم الخياري المدني في رحلتـه[٢] .

---

(١) ص : ٣٠ .
(٢) أنظر وصفاً مفصلا لهذه الرحلة في مجلة العرب من ص ٢١٩ – ٢٤٤ – السنة الثانية .

فقد ذكر بأنه عندما بلغ بلدة (يني شهر) وقال: مني طلب بعض أصحابنا المدنيين قصيدة يقدمها لحضرة قائمقام مصطفى باشا على لسانه ، وقد كان طرق سمع المشار اليه وأنشد بين يديه قصيدة سابقة كان عملها المرحوم العلامة الشيخ محمد غرس الدين الخليلي ثم المدني ، يشكو فيها ان مشائخ الحرم النبوي يكونون من الأغاوات الطواشية ، ويطلب أن يتولى ذلك أحد الفحول ، وبيت قصيدته هو :

إن لم يكن إلا خصياً أسوداً ... فاخصوا لنا شخصاً من البيضان

فطلب مني مجاراته في ذلك المعنى وبيان من تولى مشيخة الحرم المذكور في السابق من الفحول غير الخصيان ، فجرى القلم فجاءت كما ترى ولفظها :

حمدا لمن قد عمنا بره ... فالحمد والشكر له مستدام

الى ان قال في قصيدة طويلة :

يا مالك الرق اجب داعيا ... من بلدة الهادي غياث الانام
يأمل من احسانكم ان تروا ... في شأنهم ما يقتضيه المرام
من كون شيخ الحرم الذ سما ... من الاغاوات بذاك المقام
وفعلهم ليس كما ينبغي ... من حفظ جيران لذي الاحترام
فانه اوصى بجيرانه ... ان يحفظ العهد لهم والذمام
وان يراعوا لا يراعوا بما ... يؤلمهم في الفعل او في الكلام
وقد اتوا يرجون احسانكم ... والمنهل العذب كثير الزحام
بان تولوا لهم حازما ... ذا فطنة تسمو وعقل تمام
ففي قديم العصر حقا ولي ... كل ذكي في المعالي امام
محمد المنشي الذي قد سما ... مفسرا بل شارحا للمقام
كان بها شيخا ومن قبله ... قد كان يجري في اناس كرام

ومنها :

فحيث كان الامر من سابق ... في معشر الخلق فيه تمام
فادركونا واصيخوا لنا ... وبلغونا قصدنا والمرام
وخلصونا من اناس لهم ... عقل كطفل لم ينله الفطام

واغتنموا منا الدعـــاء الذي نبثه في سوح خـــير الانام

انتهى .

والكتاب يحوي معلومات قيمة عن آثار المدينة وحركة العمران فيها في مختلف العصور وفيه فصل ممتع عن عيونها ، وهو مزدان بكثـير من الصور ويعتبر حلقة وصل بين تاريخها القديم ، وتاريخها الحديث ، فقد حاول مؤلفه الفاضل ان يصل الماضي بالحاضر ، فاجاد بحيث يصح ان يقال عن هذاالكتاب بانه ليس فصولا من تاريخ المدينة بل هو تاريخ واف في مباحثه ، موجز في كلامه لا يستغني عنه كل من يعنى بتاريخ هذه البلدة الطيبة المباركة .

ورغم ما بذله المؤلف الكريم من عناية في التصحيح فقد ورد فيه تطبيـع يسير حرف بعض الاعلام ، نشير الى بعضها :

١ ـ ص ١١ ـ قانئة بن مهلابيل ، الصواب : قاينة بن مهلائيل .

وفي الصفحة نفسها : بنو مطرويل ، الصواب : بنو مطر وبنو بذيل كا في تاريخ ابن خلدون

٢ ـ ص ١٣ : ولابن المنذر ، الصواب : ولابي المنذر

٣ ـ ص ١٩ ـ مسلم بن عقبة المذني. هو مسلم بن عقبة المري ، من مـرة غطفان لا من مزينة .

٤ ـ ص ٥٣ : يحيى الديلمي ، هو يحيىٰ بن الحسن العقيقي المدني ،وليس هوالديلمي ، والديلمي هو صاحب مسند الفردوس ، وصحة العبارة : يحيى والديلمي ..

وفي الصفحة نفسها ،لو زدنا حتى نبلغ به الجبانة ، قائل هذا هو عمر بن الخطاب (ص) وليس ابن ابي عمرة الراوي .

٥ ـ ص ٥٧ مسلمة بن الاكوع ، صوابه سلمة بن الاكوع بحذف الميم.

٦ ـ ص ٥٩ : سليمان بن مسلم ، هو سليمان بن سالم .

٧ ـ ص ٦١ : البدقاري صوابه : البندق داري وهي وظيفة معروفة في دولة المماليك .

٨ – ص ٧١: ابن قدامة ، صوابه : قدامة بن موسى،وابن قدامة عند الاطلاق يقصد به شخص آخر غير هذا الراوي ، هو ابن قدامـــة الحنبلي موفق الدين .

٩ – ص ١٢٣ ، يقرأ القرآن ، صوابه : يدأب فيها كا في « وفاء الوفاء » وغيره ؛ ليستقيم الوزن .

١٠ – ص ١٢٨،يحيى بن محمد الاخنس ، الصواب : روى يحيى عن عثمان ابن محمد الاخنس ، ويحيى هو العالم المدني المتقدم ذكره .

١١ – ص : ١٣٣ – وعن يحيى بن داود بن الفرات .

صوابه : وعن يحيى ، عن داود . ويحيى هو العالم المدني الجليل المتقدم ذكره ، وله مؤلف جليل في تاريخ المدينة، نقل السمهودي وغيره عنه كثيرا .

١٢ – ص ١٣٤ : لا يضيق ولا ينقص . صواب الحديث : لا يُضَيَّق ، ولا يُنتقص [كا في كتاب « وفاء الوفاء » للسمهودي] .

١٣ – ص ١٣٥ : الأمير برابك في دولة الاشرف انيال ،
هو الأمير بردبك ، المعمار في دولة الاشرف إينال .
والرجلان معروفان .

١٤ – ص ١٥٥ : نافع مولى عمر – هو مولى بن عمر .

١٥ – ص ١٦١ : اسيد بن خضير . وفي ص ١٢١ : أسيد بن ظهير . والصواب فيهما : ابن حضير ، بالحاء المهملة بعدها ضاد معجمة .

١٦ – ص ٤٧ : محمد محمود التركي الشنقيطي ، هو التركزي ، وليس تركيا .

١٧ – ص ٢٥٩ : رعان . هو دعان بالدال – لا بالراء – موضع قرب ينبع ، ورد في شعر كثير كثيرا .

١٨ – ص ٢٧٥ : وبإضم اموال دغاب . وإنما سمي إضماً لانضمام السيول اليه . الصواب : رغاب – بالراء – لإيضام – من وضم ، بمعنى تجمع ، لا من ضمم . ونص علماء اللغة على ذلك .

(للبحث صلة)

الجبال والأمكنة والمياه

تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي

وللزمخشري العالم المعروف كتاب في تحديد الامكنة ، وهـــو على صغر حجمه فيه معلومات لا توجد في غيره ، وهو من مصادر ياقوت في « معجم البلدان » وقد طبع سنة ١٨٥٦ في اوروبا طبعة حسنة ثم طبع في العراق طبعة سيئة ، وقد قام العـــالم الجليل الدكتور ابراهيم السامرائي رئيس قسم الدراسات الادبية في جامعة بغداد بتحقيق الكتاب معتمدا على نسختين من مخطوطات القرن السابع الهجري ، وصدر الكتاب في هـــذا العام في ٢٥٦ صفحة بطباعة لا بأس بها الا كثرة التطبيع فيها وقد وضع الدكتور السامرائي للكتاب مقدمة موجزة عنه وعن مؤلفه وعن النسخ التي اعتمدها للنشر ، كما وضع لاعلامه من رجال وقبائل فهرسا شاملا وحبذا لو وضع لاسماء المواضع فهرسا اذ الكتاب وان كان مرتبا على حروف المعجم الا انه روعي في ترتيبه تصريف الكلمة ولم يراع النطق بها كما فعل ياقوت الذي يجد الباحث الاسم في كتابه بحيث ينطقه بدون حاجة الى التصريف الذي لا يحسنه كل قارىء ولهذا يصعب وجود كل اسم مذكور في الكتاب في بابه كما ان الزمخشري لم يرتب الاسماء حسب حروفهـــا ، الا في الاول منها فقط ، ويورد الاسم المبدوء بـ(ذو) في حرف الذال ، ومعروف ان ذو غير اصلية في اسماء المواضع وانها تكثر اضافتها الى تلك الاسماء .

ويظهر ان الزمخشري وضع كتابه هذا بنية الرجوع الى تنقيحه وترتيبه فلم يتسن له ذلك ، لتكرار الاسماء في الكتاب .

ويذكر ياقوت ان تلميذه ابا الحسن العمراني وقف على كتاب شيخه وزاد عليه ، وقد استفاد منه ياقوت ، وقد ذكر صديقنا الاستاذ عباس العزاوي ان لديه نسخة من كتاب العمراني ذكر ذلك في مقال له نشرته مجلة

المجمع العلمي العربي بدمشق ، غير انه ـ حفظه الله ـ حينما اطلعني على تلك النسخة رأيت فيها نصاً صريحاً ، بأن الكتاب ألف في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله، وهو متأخر عن عهدالعمراني مما يدل على ان الكتاب ليس له.

لقد سبق ان تحدثت عن كتاب الزمخشري مشيرا الى ان اهم ما فيه من تحديد للمواضع هو ما نقله الزمخشري عن شيخه وتلميذه علي بن وهّاس المكي فتحديداته من ادق ما اثر عن المتقدمين.[1]

وللزمخشري في كتابه هذا نصوص على درجة من الجودة ، تلقاها هو عن اناس ذكرهم مثل قوله :

١ ـ جلدان بلد بشرقي الطائف تسكنه نصر ، انشدني حسن بن إبراهيم الشيباني الساكن بالطائف .

وجلدان العريض قطعن شرقا ... يُطِرْنَ بأجرَعَيه قَطاً سكونا
تخال الشَّمس إن طلعت عليه ... كأنّ به عَلاَلي او حصونا

٢ ـ رابغ على عشرة اميال عن الجحفة ، وانشدني بعض بني هذيل في طريق العمرة :

يعجبني قِلاُبها في الهَودَجِ ... برابغٍ والصبح لم ينبلج

٣ ـ طَفِيل : جبل بتهامة بينه وبين مكة ليلة ، جبل كأنه حرة ليس بشاهق ، وفيه مواضع تلزم الماء في وقت الربيع ومنه تقطع المطاحن .

٤ ـ كلامه عن وادي عَرَدات ، ووادي بجيلة ، وما فيه من القرى .

٥ ـ ذكره للجبال والاودية والمياه الواقعة بين مكة وينبع ، وقد اورد ذلك في آخر الكتاب غير مرتب على الحروف .

هذه امثلة للمعلومات القيمة التي أوردها الزمخشري. وقد تصحف على الزمخشري

---

(١) : انظر مجلة « العرب » السنة الاولى ص ١١٤ .

كثير من اسماء المواضع فاوردها في غير موضعها ، وعذره في ذلـــك فيما يظهر لنا انه وضع كتابه هذا بشكل مذكرات ، فلم يتمكـــن من تحقيقها والرجوع الى مصادر لذلك ، باستثناء ما اورده عن الشريف علي المكي وعما ذكر انه تلقاه عن رواة معاصرين ، او نقله ولم يذكر اسماء من نقل عنهم .

وفي الكتاب نقول كثيرة عن كتاب « بلاد العرب » الذي نسبناه الى لغدة الاصفهاني ونُشر حديثا ، وهذه النقول ليست منسوبة الى احد ، وقد ينقل عن الاصمعي مصرحا بذلك بقلة ، او غيره ايضا كأبن دُريـد وغيره وذلك قليل ايضا .

ونلقي الآن نظرة سريعة على الكتاب لكي نصحح بعض تطبيعـــاته واوهامه اسهـــاما مع صديقنا العلامة الجليل الدكتور السامرائي ، بدون استقصاء او تعمق .

١ ـ ص ١٥ : ام اوعل : الصواب : ام أوعال . قال الراجز :

خَلّى الذِّنابات شمالاً كَثَبا وأُمَّ أَوعالٍ ، كَها أو أقربا

٢ ـ ص ١٦ : سُميرا : الصواب سَميراء والبلدة لا تزال معروفة

٣ ـ ص ١٦ : عند الشّدِ ، يسمى الشظاة : الصواب : السّد ـ بالسين المهملة ـ ويعرف بسد معاوية

٤ ـ ص ١٧ : الآل جبل بمكة . وعلق المحقق الفاضل : لـــم يرد في ياقوت . والصواب : إلال وهو جبَلُ عرَفَة ، معروف مذكور في ياقوت وغيره قال النابغة :

بمصطحبات من لَصافٍ وَثَبرَةٍ يَزُرنَ إلالاً ، سيرُهنّ التّدافُعُ

٥ ـ ص ٦٤ : بصدح النوى : الصواب بصدع النوى

وفي الصفحة نفسها : إن الحُدَبياء مشح ، والصواب : ان الحديباء شحم

٦ ـ ص ٦٨ :

وأفَضْنَ بعد كظومِهِنّ بِجَرّةٍ   من ذي الأبارق، إذ رعينَ حقيلا

والصواب : بِجرة ، أي إن الإبل بدأت تجترّ بعد طول السُّرى .

وحقيل جبل اعرفه معرفة مشاهدة وليس بقربه حِرار

٧ — ص ٧٠ : حُذنة : موضع ، صواب ضَبْط الاسم حُذُنّة : بضم الحاء والذال ثم نون مفتوحة مشددة قال الشاعر :

حتّى حُذُنّة ، لم يَترك بها ضَبُعاً   إلا له جَزَرٌ من شِلْوِ مِقدام

والبيت من قصيدة للمكعبر الضبي في « المفضليات »

٨ — ص ٧٢ : الحَجْر ، الصواب : بكسر الحاء كما في القرآن الكريم .

٩ — ص : ٧٧ : الحَوْأبُ : ماء من البصرة : الصواب : ماء في طريق البصرة . كذا أراد الزمخشري — فيما يظهر — أخذاً من قصة خروج عائشة إلى البصرة ، وهذا الحوأب بقرب ماء البَقَرة الواقعة في عالية نجد ، وهو في الواقع ليس على طريق البصرة المعروف ، ولكن عائشة أخذت ذلك الطريق حينما خرجت من مكة إلى البصرة فتيامنت عن الطريق المعروف .

١٠ — ص : ٨٠ يُرمى به حَصَن والصواب : حَضَنَ بضاد معجمة الجبل المعروف .

١١ — ص : ٩١ الدَيّة . الصواب الدّبة بالباء الموحدة ، كما في ياقوت وغيره ، واختلف في تخفيف الباء أو تثقيلها . وهي تنطق الآن مُثَقّلة

١٢ — ص ٩٤ : ذو فَرَقيْنِ الصواب : ذو فرْقين جبيل له رأسان لا يزال معروفاً بقرب قطن .

١٣ — ص ٩٧ : ذو هَوْط : لعله ذهيوط موضع ذكره النابغة وأورده ياقوت .

١٤ — ص : ٩٧ ذات الدّير هو الدّبر بالباء الموحدة ، والتصحيف من الأصمعي على ما روى ابن الاعرابي ونقل ياقوت في معجمه .

١٥ — ص ١٠٣ : كراكبين : لِرَاكبين .

١٦ — ص ١٠٣ : ركيّة . الصواب رُكْبَةُ ، بضم الراء واسكان الكاف ، ثم باء موحدة .

١٧ — ص ١٠٤ : ابن أعيا بن تحل : صوابه : ابن أعيا ، به نخل .

١٨ — ص : ١٠٤ : رعت سَمِيلاء : الصواب : رعت سميراء .

١٩ — ص : ١٠٥ : وَعُول : الصواب : وَغْوُل . بالغين المعجمة المفتوحة ، ولا يزال معروفاً .

٢٠ — ص ١١١ : لمن الديار برامتين فغافل .

الصواب : فعاقل . وهو واد لا يزال معروفاً مجاور لرامتين ، بقرب مدينة الرس ، في غرب القصيم .

٢١ — ص ١١٢ : الرّدّ : الصواب الرّدْهُ ، وفيه دفن الشاعر بشر بن أبي خازم ، الذي ورد الشاهد من شعره .

٢٢ — ص ١١٢ : قَيْد أوْ رَكَك الصواب : فيد وهو موضع شرقي ركك ، لا يزال معروفاً .

٢٣ — ص ١١٥ : زينة واد يصب من السراة .

هذا الاسم تصحف على الزمخشري ، وعلى غيره ، وصوابه : رَنْيةُ بالراء بعدها نون ، فياء مثناة تحتية .

٢٤ — ص ١١٥ : الزلاّلة عقبة بتامة ، الصواب : بتهـــامة ولا تزال معروفة بقرب قرية السيل

٢٥ — ص ١١٦ : اشلطتك ...الخ ، الصواب : اشاقتك آيات باحواز زَهْدم

٢٦ — ص ١١٧ : بيت مضرس مختل الوزن ، ولم اهتدِ لصوابه

٢٧ — ص ١١٧ : زيمرات : صوابه : زيمران بالنون لا بالتاء

٢٨ — ص ١١٧ : حيّ في بيت ذي الرمة : صوابه : مي

٢٩ — ص ١١٨ : الزوراء مكان لُأَحيحة : صوابه : الزوراء مال كان

لأحيحة كما في احدى النسخ الخطية ، وفيه يقول :

إني مقيم على الزوراء اعمرها   إن الكريمَ على الاخوانُ ذومالِ

٣٠ — ص ١٢٠ : حلبتِ عن سميراء .. َشَرْقَين ... هجين نمير الصواب
َجَلَتْ ...َشرْقِنِّ ... هجينَيْ نمير .

٣١ — ص ١٢٢ : اسمه يقرب : صوابه اسنمة بقرب

٣٢ — ص : ١٢٣ : السطر الرابع لا محل له.

٣٣ — ص : ١٢٣ من حقين وجازر صوابه : من حقين وحازر ، بالحاء المهملة .

٣٤ — ص ١٢٨ : تُرَبَة وزَيْنَـه ، الصواب : وَرْنيّة .

٣٥ — ص ١٢٩ : السبيبة ، صوابها : السبية ، والموضع لا يزال معروفاً شرق الدهناء .

٣٦ — ص ١٣٢ : لقد حسنت ، الصواب : لقد حببت

٣٧ — ص ١٣٤ : المشحان ، صوابه : المشحاذ بالذال لا بالنون .

٣٨ — ص ١٣٤ يجو اشادهم ، الصواب : يجو أشاهم .

٣٩ — ص ١٣٥ : وجرثم والسربان ، الصواب : وجرثم والسوبان بالواو لا بالراء .

٤٠ — ص ١٤٥ بيضاء أفجع ، الصواب : بيضاء أشجع

٤١ — ص ١٣٧ : والجُبُّ التؤام ، والصواب : والحب .. بالحاء المهملة

٤٢ — ص ١٤٩ : ضَحْيان : جبل بناحية مكة ، بين ضحيان ومكة ٢٥ ميلا وبينها وبين ضر ٩ أميال ، الصواب ضجنان .. وبين مَرِّ ..

٤٣ — ص ١٤٩ : الضبقة ، الصواب : الضَّيِّقَةُ

٤٤ — ص ١٥٠ : بين الحاجر وبين القبليّة الصواب : بين الحاجر وبين القبلة .

٤٥ — ص ١٥٠ : أتعبن الجزورا ، الصواب : أتبن الجَرورا والجرور من الابل : البطيء .

٤٦ — ص ١٥٥ : العُمير وادٍ تصب فيه نخلة الشامية .

وهذا فيما يظهر تصحيف من الزمخشري نفسه ، فالوادي المتصل بنخلة الشامية هو الغمير بالغين المعجمة .

٤٧ – ص ١٥٥ : عُرفة العَزوين . الصواب : عرفة الفروين بالفاء والراء وجاءت في ص ١٠٤ : القروين ، خطأ .

٤٨ – ص ١٥٧ : عرمجاء : صوابها عَرفجاء .

٤٩ – ص ١٥٧ عمود الكور . هو عمود الكَوْد بالدال المهملة ، ولا يزال معروفاً .

٥٠ – ص ١٥٧ : علا غالبه . الصواب : علا غاربه .

٥١ – ص ١٥٩ : جبل من الدهناء : وص ١٢٢ : جبال من الرمل ، الصواب في الكلمتين : حبل .. وحبال .

٥٢ – ص ١٥٨ : ولا السرج ، والصواب : ولا السرح بالحاء .

٥٣ – ص ١٦٠ : رقص الرمال . الصواب : رقص الرئال .

٥٤ – ص ١٦١ : ماءان بالعرقة . الصواب : بالعرمة بالميم بدل القاف الجبل الذي لا يزال معروفاً .

٥٥ – ص ١٦٦ : دنابيره . الصواب : زنانيره ، في بيت المتلمس المعروف .

٥٦ – ص ١٦٧ : العَمْقُ : منزل بطريق مكة ، هذا المنزل بتحريك الميم لا باسكانها ولا يزال معروفاً فأما بالإسكان فموقعان : أحدهما في عرض شمام ، والثاني في الفرع من بلاد مزينة .

٥٧ – ص ١٦٧ : عَيْنانِ : جبل بأحد ، وخليد عَيْنين الشاعر مضاف إليه . أقول هذا من غلط الزمخشري ، فخليد الشاعر مضاف إلى بلدة عينين من البحرين الاسم الذي كان يطلق على اقليم الاحساء ، وكانت أشهر موانىء تلك الناحية قبل نشوء موانىء النفط ، [وانظر عن خليد :طبقات الشعراء لابن سلام وابن قتيبة ، وانظر « معجم ما استعجم » مادة عينين] .

٥٨ – ١٦٩ : عروى هضبة بثمام : الصواب : بشمام بالشين ، ويعرف قديماً أيضاً بابني شمام وهو جبل له رأسان ، ويعرف حديثاً باسم اذني شمال

تحريفاً ، وعروى أصبحت الآن بلدة فيها سكان كثيرون .

٥٩ — ص ١٧٠ : لنا بدورة بالشام والصواب : لنا بدوة بالشام .

٦٠ — ص ١٧٢ : ماء لغني قرب يحيلة ، الصواب : قرب جبلة ، الجبل المعروف .

٦١ — ص ١٧٣ : الغوارة قرية بجنب الظهران ، الصواب : الفوارة بالفاء وهذا مما تصحف على الزمخشري ، والفوارة بلدة لا تزال معروفة ، والظهران هذا يقع شرق جبل قطن المعروف .

٦٢ — ص ١٧٧ : أرض الخليفين ، الصواب الحليفين بالحاء المهملة وهما اسد وطي :

٦٣ — ص ١٧٧ : محصن بن رباب الجرمي ، الصواب : محصن بن رثاب الجذمي بالذال المفتوحة من جذيمة اسد والبيت من قطعة في كتاب « بلاد العرب » ص ٦٢ .

٦٣ — ص ١٨٢ : بئر ميمون الى بئر ام هشام ، الصواب : ابن هشام كما في الأزرقي وغيره .

٦٤ — ص ١٨٧ : قدس أوارة ، الصواب : قدس وآرة .

وهما جبلان في بلاد مُزَينة بقرب المدينة ، اما اوارة فجبل بقرب الكويت والظاهر ان هذا الخطأ من الزمخشري ، وهو خطأ قديم ورد التنبيه عليه في كتاب « تاج العروس » .

٦٥ — ص ١٩٠ : قراقز : صوابه قراقر برائين مهملتين ، ولا يزال الموضع المنسوب لكلب معروف قرب قُرَيات الملح في شمال الجزيرة

٦٦ — ص : ١٩٣ كُتَيفة جبل المُجيمر : قرب جبل المجيمر ، اذ الجبلان لا يزالان معروفين كل واحد باسمه .

٦٧ — ص : ١٩٤ : كبشان ، الصواب كِبشات — بالتاء لا بالنون — كما يفهم من بقية التعريف .

٥٨ — ص ٢١٢ : المنتهبة . هي بالباء ، لا باليـاء المثناة وتسمى الآن الملتهبة .

٦٩ ـ ٢١٢ : الشريّة . هي بالباء ايضا
٧٠ ـ ٢١٣ : حمى كلب ، هوحمى كليب ، وهو حمى النّيِر ، وكليب الرجل المشهور
٧١ ـ ٢١٨ : نعطاة : الصواب : نطاة ـ بحذف العين
٧٢ ـ ص : ٢٠٥ حتى توروا الصواب : حتى تواروا .
وفي الصفحة نفسها ملكات واد لهذيل ، والصواب : ملكان بالنون .
٧٣ ـ ص ٢٠٨ : لقد طال لـُبثي ، الصواب : لقد طال ما لبثتني .
٧٤ ـ ص ٢١١ : نسل وادٍ بالطائف ، صوابه بسل بالباء وهذا مما تصحف على الزمخشري ومن جاء بعده كياقوت ، وَلا يزال الوادي معروفاً في شرق الطائف .
٧٥ ـ ص ٢١٩ : أثافث ، الصواب اثافت ، وقد أشار المحقق الفاضل في المقدمة إلى تصحيحنا لهذه الكلمة .
٧٦ ـ ص ٢٢١ : قال واهب الصيابي ، المعروف ذو الجوشن الضبابي والضبابي هي صحيحة بدون شك ، أما واهب فلا أدري من أين أتت واسم ذي الجوشن شرحبيل بن عمرو .
٧٧ ـ ص ٢٢٣ : مراسل : صوابه مواسل بالواو ويقال فيه مويسل من قبيل التماقب بين الألف والياء ، وهو من جبال طي .
٧٨ ص ٢٢٣ : واحف موضع واسم جبل اهبط عليه آدم وحواء بين الدهيج والمندل . وصواب هذه الجملة ، واحف موضع .
واسم جبل أهبط عليه آدم وحواء بين الدهنج والمتدل ، أي ان كلمة (واسم) على وزن فاعل ، مادة جديدة ، انظر الاكليل للهمداني ٠ ج ١ ص ٣١ والبكري ص ١٣٦٤ ، و « معجم البلدان » .
٧٩ ـ ص ٢٢٥ : وشجى . الصواب وشحى بالحاء المهملة كما في القاموس وشرحه .
٨٠ ـ ص ٢٢٨ : مهتمة صوابها مهشّمة ، والنيمة صوابهـا : الينمة ، واحدة الينم وهو نبت معروف .

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

حول قاع بولان :

ويسأل الاخ الكريم عبد الكريم الشدوخي من الرياض عن موقع قاع بولان ويقول بانه قرأ ما جاء في مجلة العرب ص ١١٣٧ السنة الثانية ، وان هناك من جبال اجا جبل يدعى بهذا الاسم ، فهل هو المعني بما جاء في الكلام المنشور في مجلة العرب ؟ ام هو غيره ؟

«العرب» : كثيراً ما يطلق الاسم الواحد على عدة مسميات الا ان بولان الذي سبق الحديث عنه بعيد عن جبل اجا، انه قاع يقع شرق القصيم قريب جدا من عيون ابن فُهيد الواقعة في الشمال الشرقي من مدينة بريدة فيما بينها وبين النفود، وهو الذي ورد فيه قول الشاعر مالك بن الريب المازني التميمي :

اذا عصب الركبان بين عنيزة وبولان ، عاجوا المنقيات المهاريا

---

٨١ — ٢٣١ : ينوق : صوابه : ينوف بالفاء لا بالقاف ، جبل يعرف الآن باسم الينوفي .

٨٢ — ص ٢٣٤ : بين البحار وبدر ، الصواب : بين الجار وبدر .

٨٣ — ص ٢٣٦ : ينطحه الضرورة . هي الصرورة بالصاد ، وهو الرجل الذي لم يحج .

ان هذه التنبيهات لم يقصد من ورائها سوى تصحيح ما وقع في ذلك الكتاب من تطبيع مشاركة لصديقنا المحقق الجليل الدكتور ابراهيم السامرائي الذي بذل جهداً مشكوراً في تحقيق هذا الكتاب ، وابرازه بصورة قلّ ان يبرز الكتاب بمثلها غيره، ممن لم يعان ما عاناه استاذنا الكريم من تمرس وعمق بحث وخبرة طويلة بالمباحث التي لها صلة بالكتاب .

في قصيدته المشهورة .

اما الجبل الذي ذكره الاخ في اجا فقد يكون منسوبا الى قبيلة بولان من طيء وان كنت لا اعرفه ولم ار من ذكره من المتقدمين ، وليس كل الاماكن قد ذكروها ، لقد فاتهم الكثير ، وشكرا للاخ فقد افادنا فائدة عن هـذا الموضع .

حول قبيلة شهران :

ويسأل الاخ الكريم عبد الله بن سعد بن جلبانٍ عن :

١ ـ قبيلة شهران اهي عدنانية الاصل ام قحطانية ؟

٢ ـ اين اول ما سكنت ؟ ولماذا يطلقون عليها شهران العريضة ؟

« العرب » : ١ ـ شهران قبيلة صريحة النسب معروفة قحطانية الاصل من قبائل ازد السراة ، وتسمى ايضا الاسد بالسين ، ولا يماري في نسبتها الى قحطان سوى جاهل بالانساب

٢ ـ مساكن الازد الاولى كانت في اليمن ثم انتشرت في اطراف الحجاز في سرواته لاسباب يري المؤرخون المتقدمون ان من اهمها ما طرأ على السد سد مأرب من خراب ، الا ان المتعمق في البحث يرى ان جهات السد مـا كانت تتسع لتلك القبائل العظيمة التي ينسبها المؤرخون اليها ، ومن المعروف ان القبيلة عندما تتكاثر وتتشعب فروعها تضيق مساكنها الاولى فتبحث عن بلاد واسعة ملائمة لها ، وهكذا شأن كثير من قبائل قحطان ، التي كانت تعيش في جنوب الجزيرة ، فقد انساحت الى الحجاز ونجد ثم الى العـراق والشام ومصر تبعا لظروف الحياة ومقتضياتها اما قبيلة شهران فقد استقرت في امكنتها المعروفة الآن وبقيت فيها من قبل ظهور الاسلام الى عهدناالحاضر وتدعى شهران العريضة لكثرة فروعها ، وهذا اللقب اطلق عليها منذ عهد قديم وورد في الشعر كثيرا

حول لمحات من تاريخ حضرموت

قرأت ما كتبه الأخ الفاضل السيد هادون العطاس من ملاحظات قيمة في في مجلة العرب ج ١٢ من السنة الثانية على مقالي المنشور في الجزء الثامن من السنة الثانية وقد اعجبت بتلك الملاحظات التي اشار اليها الأخ حيث عدت إلى المراجع التي اعتمدت عليها في بحثي السابق مرة اخرى ، وبما ان بعضها فيها اختلاف بين المؤرخين وبعضها فيها غموض أحببتان أعقب بهذا التعقيب حتى يتضح رأيي حول تلك الملاحظات :

حدود حضرموت :

قال الأخ الفاضل عن حدود حضرموت التي ذكرتها انها لا تمثل حدود حضرموت الطبيعية التي يجب ان تكون معروفة تماماً للحقيقةوالتاريخ الخ .. الا انه قال : بان الحدود التي ذكرتها قد نص عليها بعضالمؤرخين ، قلت: ان تتبع المصادر القديمة والحديثة يجد بونا شاسعا واختلافاً كبيراً بين المؤرخين في تحديد حدود حضرموت ولا مبرر لهذا الاختلاف سوى النواحي السياسية فان قوة السلطة وضعفها كانت لها اليد الأولى في هذا الاختلاف فالمصادر القديمة متناقضةومختلفة كما انها لا تتفق مع المصادر الحديثةالا في بعضالجوانب حتى حدا ببعضهم ان قال: لا حدود لها وان حدودها غير معروفة ، فلنأخذ بعض ما قاله المتقدمون ، قال العلامة الهمداني في « صفة جزيرة العرب » حضرموت من اليمن وهي جزؤها الأصغر وبلد كندة من ارض حضرموت: وبلد كندة مرتفع كأنهسراة وتصب أوديتها في حضرموتثم يصبحضرموت الى بلد مَهرة .

وفي « معجم البلدان » لياقوت :حضرموت اسمان مركبان طولها احدى وسبعون درجة وهي ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف ، بالأحقاف .

ويقول القلقشندي في « صبحالأعشى »: قال في « العزيزي » : وفيهسكان

كثيرة قال : وفيه معدن العقيق والجزع وبينها وبين صنعاء احدى وعشرون فرسخا وقيل : احدى عشرة مرحلة وبينها وبين ذمار مرحلة واحدة » وقال الاصطخري في « مسالك الممالك » : حضرموت في شرقي عدن بقرب البحر وبها رمال كثيرة تعرف بالاحقاف وحضرموت في نفسها حديثة صغيرة ولها اعمال عريضة ثم قال: وبين حضرموت وعدن مسيرة شهر . ويقول العلامة ابن خلدون في تاريخه بعد ان وصف اليمن : وفيما بعد ذلك مدينة عدن وفي شمالها صنعاء وبعدها الى المشرق ارض الاحقاف وظفار وبعدها ارض حضرموت ثم بلاد الشحر ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس. وقال ابن الفقيه : حضرموت مخلاف من اليمن بينه وبين البحر رمال وبينه وبين مخلاف حداء ثلاثون فرسخاً وبين حضرموت وصنعاء اثنان وسبعون فرسخاً وقيل مسيرة أحد عشر يوماً . وفي كتاب « النسبة الى المواضع والبلدان » لابي محمد الطيب ابن عبدالله بامخرمة المتوفي ٩٤٧ هـ : حضرموت من قبر هود عليه السلام الى القطن بفتح القاف وسكون الطاء المهملة وعرضها من شمال الصيعر الى ريف البصرة وعمان وعرضها من الجنوب الغيل الأعلى والأسفل الى حد سيبان والاحموم .

هذا بعض ما قاله المؤرخون المتقدمون عن هذه الحدود وكيف نرى اقوالهم مختلفة متضاربة في بعضها ، ولا يفوتني هنا ان قول بعضهم ان حضرموت من اليمن اذ المراد به من حيث الجهة قال الهمداني : وجزيرة العرب عند أهل اليمن يمن وشام فجنوبها اليمن ، وشمالها الشام ، ونجد وتهامة .

واما بالتفصيل فحضرموت لا تدخل في هذا التعريف البتة ذكر اسماعيل علي في « النخبة الأزهرية ، في تخطيط الكرة الأرضية » في تقسيم شبه الجزيرة وهو تقسيم طبيعي اكثر منه سياسي وهي الحجاز واليمن ونجد وحضرموت والأحساء وعمان .

وقسمها ملطبرون الى ستة أقسام: نجد والحجاز واليمن وحضرموت وعمان والأحساء، وكذلك احمد حافظ في « الجغرافية الحديثة » التي كتبت عن حضرموت

فهي تبين لنا حدودها من كل جوانبها يقول العلامة المؤرخ عمر كحالة في كتابه « جغرافية شبه جزيرة العرب » عن حدودها يحدها : من الجنوب البحر ومن الجنوب الشرقي بلاد مهرة ومن الشمال الشرقي والشمال الغربي الصحراء الكبرى ومن الجنوب الغربي مقاطعتا العوالق والواحدي واما الاقليم الساحلي فيمتد من عين بامعبد غربا إلى سيحوت شرقا وهو عبارة عن شكل غير منتظم مساحته (٤٥٠٠) كيلومتر من راس الكلب وعشرين كيلو مترا عن الحدود الشرقية وفي « دائرة المعارف » للبستاني انها واقعة على شواطىء البحر الهندي وحدودها غير مقررة تماما انها يحدها شمالا الدهناء وهي صحراء رملية وشمالا بشرق عمان وجنوبا البحر وغرباً اليمن وفي Nouveau Larousse, Illustre

انها تمتد غربا من اليمن وشرقا الى بلاد عمان ويقول الاستاذ صلاح البكري في كتابيه « تاريخ حضرموت السياسي » و « حضرموت وعدن »: تقع حضرموت على بعد خمس عشرة درجة عرضا شمال خط الاستواء وخمسين درجة طولا شرقي جرنتش وما بين ظفار شرقا وعدن غربا والربع الخالي والمحيط الهندي جنوبا ويمتد اقليما الساحل من عين بامعبد غربا الى سيحوت شرقا وتبلغ مساحته نحو (٤٥..) كيلو متر مربع ، وذكر نحو هذا الاستاذ سعيد عوض باوزير في كتابه « معالم تاريخ الجزيرة العربية » بعد ذكر كل هذه الاقوال فالقول الراجح عندي هو ما ذكرته انها تقع ما بين رمال الاحقاف شمالا والبحر العربي جنوبا وما بين عين بامعبد غربا وسيحوت شرقا حتى قال السيد الشاطري: وهذا التحديد هو المقرر لابناء المدارس والمتعارف عليه اليوم اي ما قبل الاستقلال ، اما من يدخل فيها عدن ومحمياتها الى عمان شرقا ويسميها بحضرموت الكبرى فبعيد جدا ولم يكن معه اي دليل اووجهة نظر قوية والله اعلم

وائل بن حُجر حضرمي وليس بكندي :

فهم الاخ حين ذكرت وائلا في سياق ملوك كندة ولكن لم اقصد هذا فحين ذكرت الملوك الاربعة وما كان لهم من الملك وما حصل لهم مع زياد بن

لبيد ، قلت : وكان الاشعث بن قيس امير بني الحارث ووائل بن حجر اميرا على الشاطيء وكان امراء اخرون يقيمون في شبام ودوعن وعمد وجردان ..

قال ابن الأثير المتوفي سنة ٦٣٠ هـ في كتابه « اسد الغابة في معرفة الصحابة » » وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي ، وقال ابو القاسم بن عساكر الدمشقي : وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل بن ضمعج بن وائل بن ربيعة بن وائل بن النعمان بن زيد بن مالك بن زيد ، وقال ابن حزم الاندلسي المتوفي سنة ٤٤٥ هـ في « جمهرة انساب العرب »: وائل بن حجر بن سعيد بن مسروق بن وائل بن النعمان بن ربيعة بن الحارث بن عوف ابن مسعد بن عوف بن عدى بن مالك بن شرحبيل بن الحارث بن مالك بن مرة بن حميري بن زيد بن الحضرمي ثم ساق نسبه الى ان وصله الى قحطان وفي « الاصابة » للحافظ بن حجر المتوفي سنة ٨٥٢ هـ في ترجمة وائل بن حجر بضم الحاء المهملة وسكون الجيم ابن ربيعة بن وائل بن يعمر ثم ساق نسبه نحو ما ذكره ابن حزم مع اختلاف قليل ثم ذكر وفوده على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي « الاستيعاب » لابن عبد البر القرطبي المالكي المتوفي سنة ٤٦٣ هـ وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي يكن ابا هنيدة كان قيلا من أقيال حضرموت وكان ابوه من ملوكهم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم ثم ذكر قصة وفوده ودخوله المسجد وقصته مع معاوية بن ابي سفيان حين خرجا الى الحرة. والذي لا يخفى انه حضرمي وليس بكندي وقد فصلت القول عن وائل رضى الله عنه في رسالتي التي ستطبع قريبا ان شاء الله بعنوان « دخول الاسلام الى حضرموت »[1]

سدبة بالباء الموحدة :

جاء في المقال في ذكر منازل كندة قبل الاسلام سدبة ، ولم اقيدها بالباء الموحدة او الياء المثناة الاانه وقع خطأ مطبعي فكتبت سديه بالياء والصواب سدبة بالباء الموحدة ولم اعتمد في هذا على تحقيقات ابن بلهيد رحمه الله فقد اخطأ في الموضعين

(١) : العرب : هو كندي بالنسبة للقبيلة ، وحضرمي بالنسبة للبلد

« صفة جزيرة العرب » التي أوردها فيه في ص ٨٦ وص ٨٨ وعلى هذا فلا يؤاخذنا الأخ بالأخطاء المطبعية وهذه القرية لا تزال تحتفظ بهذا الاسم الى يومنا هذا كما أشار الأخ وهي تقع في سفح الجبل الشرقي شمال وادي دوعن ووادي العين وتبدأ حدودها من قرية (عدب) بالباء جنوباً وشمالاً حورة وهي تشمل على عدة قرى وحصون منها الروضة وكيرعان وعرض أبو زيد ، وتسمى الجميع ببلاد سدبة وهي محاذية لبلاد بدرة شرقاً وهذه الثانية أصبح لها مركز حساس من حيث المورد التجاري ، ومن سكان بلاد سدبة : قبيلة آل رباع والسادة آل عطاس وهم ينقسمون إلى قسمين آل سالم بن عمـر وآل عبد الله بن حسين الملقبين بآل (موت) وكذلك فيها من القرويين الأخرين

حضرموت قبل الاسلام مقسمة بين كندة وقبيلة حضرموت :

قلت في مقالي : ان كندة كانت تطمع في فرض سيادتها على حضرموت وهذا مـا حصل فعلاً عندما سنحت لها الفرصة بضعف الدولة الحميرية وانحلالها ... الخ .

اعترض الأخ الفاضل على هذا القول بكلام اليعقوبي بأنها كانت حروب بين كندة وقبيلة حضرموت أفنت عامتهم وكانت كندة قـد اجتمعت على رجلين ، واجتمعت حضرموت على عدة راوساء ... الخ . وبدليل وجود امراء آخرين من قبيلة حضرموت فعلى هذا فلا يمكن القول بأن كندة صاحبة الطول والحول في البلاد الحضرمية . قلت : ان في هـذه الفترة بالذات شيء من الابهام والغموض في بلاد حضرموت ولكن من خـلال الأحداث وقرائن الأحوال وطبيعة البلاد وورود بعض الأخبـار عن طريق المؤرخين المعتمدين يزول الأشكال والغموض ، فقد عقد الدكتور جواد علي فصلاً طويلاً عن كندة في الجزء الثالث من كتابه القيم « تاريخ العرب قبل الاسلام » تحدث فيه عن مملكة كندة بإسهاب تعرض خـلاله لنسب كندة واختلاف الرواة فيها، ثم عرج على مواطنها الأصلية فقال: ويذكر الاخباريون ان مواطن كندة الأصلية كانت بجبال اليمن ، مما يلي حضرموت ، وقد أطلق

الهمداني عليها بلد كندة من أرض حضرموت ، ولم يتحدث الاخباريون عن مواطن كندة قبل استقرارهم في غمر ذي كندة » وكيف وصلوا الى هذا الموضع ولا عن كيفية انتقالهم إلى حضرموت قبل الاسلام ... ثم ساق كلام اليعقوبي عن الحروب التي وقعت بين كندة وحضرموت ، ولكننا نجـــد الهمداني ينص على سبب هجرتهم الى حضرموت يقول الهمداني : وكان بحضرموت الصدف من يوم هم ثم فاءت اليهم كندة بعد قتل ابن الجون يوم شعب جبلة لما انصرفوا من الغمر غمر ذي كندة ، وفيها الصدف وتجيب والعباد من كندة ، ويقول في موضع آخر : في حضرموت سكنت كندة بعد أن أجليت عن البحرين والمشقر وغمر ذي كندة في الجاهلية بعد أن قتل ابن الجون وكان الذي نقل منهم عن هذه البلاد إلى حضرموت نيفاً وثلاثين الفاً .

والمشقـّر قال عنه شارح شعر ابن مقرب : انـــه حصن بهجر البحرين بين نهري سليسل وملحم ، فقال كان عرض جداره عشرين لبنة كسروية وطلي بالشقرة ولذا سمي المشقـّر .

وكان من الطبيعي حين تهاجر قبيلة هذا عددها إلى بلاد أخرى لا صلة لها قوية كان من الطبيعي أن تكون تلك الحروب الطاحنة وكثيراً ما تقوم الحرب بين قبيلة وأخرى لأسباب تافهة تؤججها نار العصبية دون نظر إلى ما تجره من ويلٍ ودمار على كلا الطرفين ، وإذا رجعنا إلى أيام العرب قبل الاسلام وجدناها تصور لنا ابلغ تصوير هذا في حرب البسوس وداحس والغبراء ، وبناء على هذا فكلام اليعقوبي لا ينافي ما ذكرناه وقد نص على ما ذكرناه الأستاذ المؤرخ سعيد عوض باوزير في كتابه « معالم تاريخ العربية » قال : وكان الكنديون على وفاق مع الحميريين حكام البلاد وكان الحميريون يستخدمون خاصتهم وكبارهم في بعض مصالحهم ويدخلونهم في بطانتهم وحاشيتهم كما كان ملوك حمير يصاهرونهم ويولون أصحاب الكفاءات منهم بعض الأعمال الحكومية. إلى أن قال : ان كندة كانت تطمع في فرض سيادتها على حضرموت وهذا ما حصل فعلاً عندما سنحت لها الفرصة بضعف الدولة الحميرية وانحلالها فقد

أقامت حكمها على انقاض هذه الدولة حتى جاء الاسلام وأكبر الدولة في أيديهم .

ثم أشار إلى الحروب التي وقعت بين كندة وحضرموت القبيلة ، ثم تحدث عن الغموض الذي مر بهذه المنطقـــة في تلك الفترة وعن الروايات المختلفة المضطربة إلى أن قال : والأمر الذي لا خلاف فيه أن كندة قد مكنت لسلطانها في أهم المناطق بحضرموت على أنقاض الحكم الحميري وكان لهم من قوة شخصياتهم ووفرة ذكائهم ما مهد لهم السبيل إلى بلوغ مآربهم . اهـ. وخلاصة القول في هذه المسألة نلخصه بما يلي :

١ ـ إن وائل بن حجر الحضرمي كان أميراً على الساحل ولم يكن أحد ينازعه في ملكه الذي ورثه عن آبائه ، أما في الداخل فقد كان الحكم فيه لكندة ، مع وجود بعض رؤساء عشائر من قبيلة حضرموت بينهم ، مثل ربيعة بن ذي مرحب ومسعود بن ذي مرحب ومسعود بن وائل ولم نجد في نصوص الرسائل التي بعثها الرسول ﷺ لهم إلا رسالة ربيعة بن ذي مرحب في « الطبقات الكبرى » لابن سعد « والوثائق السياسية » ، أما البقية فلم يذكرها الدكتور محمد حميد الله .

٢ ـ كثرة وفود كندة على النبي ﷺ حيث جاء وفـد الأشعث بن قيس في ثمانين راكباً ووفد هذا عدده لا يستهان به ، فحين دخلوا على النبي ﷺ قد كففوا جببهم بالحرير مما يدل على عظمتهم وكبريائهم كما جاء وفد تجيب ووفد الصدف وكلها من كندة .

٣ ـ كثرة من يذكرهم الهمداني من سكان داخل حضرموت هم من كندة فما من بلد رئيس أو مدينة إلا ويذكر من سكانهـــا كندة اللهم إلا شبام قال عنها : هي مدينة الجميع الكبيرة وسكنها حضرموت وبها ثلاثون مسجداً ونصفها خراب خربتها كندة وهي أول بلد حمير. وكما يذكر أن معاذبن جبل الصحابي الجليل حين نزل إلى حضرموت تزوج من قبيلة السكون الكندية

وصاهرهم وله طلبة من هذه القبيلة من أبرزهم مالك بن [illegible]
المتوفي سنة ٧٠ هـ هذا يعطينا فكرة واضحة أن كندة كانت [illegible] مركزاً مرموقاً في تلك الفترة .

٤ ــ ولسنا مع صاحب كتاب « جواهر تاريخ الأحقاف » حين حشا كتابه بفضائل كندة وتراجمها ورجالها ونسائها ... الخ. وكان الأحرى به أن يسميه تراجم رجال كندة ، بدلاً من « جواهر تاريخ الأحقاف » حتى قال : إن كندة كانت تملك في جميع حضرموت شحرها وشاطئها ، بل وصل به الحد أن نفى عن كندة عبادة الأصنام والأوثان في الجاهلية ، كما كانت العرب تعبدها في الجزيرة . كما دافع عن ردة الأشعث بن قيس وقال : كل ما قيل فيه لا يصدقه العقل والنقل والحسب والحسبه ... الخ.[1] مع أن ردته ثابتة ولكن رجع إلى الإسلام من جديد في خلافة أبي بكر كما هو معروف .

وختاماً أشكر الأخ الاستاذ الفاضل صاحب الملاحظات إذ أعادنا إلى الموضوع مرة أخرى ، وأحب أن أقول : إننا بحجة شديدة إلى البحث والدراسة عن هذا القطر وان الكتب القديمة التي كتبت عن هذا القطر بحاجة إلى غربلة وتنقيح ، وأخص بالكتب القديمة من كتب من علماء حضرموت عن تاريخها مما علق بها من خرافات وأباطيل . والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

صالح بن سعيد بن هلابي

المدينة المنورة الجامعة الإسلامية

المصادر :

(١) الهمداني : صفة جزيرة العرب ط ابن بليهد .
(٢) ابن الاثير المتوفي سنة ٦٣٠ هـ في « أسد الغابة في معرفة الصحابة » .
(٣) ابن حزم الاندلسي « جهرة انساب العرب » ص ٤٦٠ ، تحقيق عبد السلام هاورن دار المعارف بمصر .
(٤) الحافظ ابن حجر « الإصابة » .

←

---

(١) أنظر ردنا في رسالة (دخول الاسلام إلى حضرموت) حول ردة الأشعث .

● – ابطال من الصحراء

هذه دراسة تتعلق بخمسة من شعراء البادية وفرسانها ، في آخر القرن الماضي ، وأوائل هذا القرن ، تأليف الأمير محمد بن أحمد السديري ، تقع في مجلد لطيف تقارب صفحاته الـ ٢٩٠ ـ بطباعة أنيقة جيدة ، ودراسة أدب البادية لم تنل من الباحثين ما هي جديرة به من عناية واهتمام ، ولعل في جمع أشعار البادية ونشرها ما يمهد السبيل للاتجاه نحوها بالدراسة والتحليل مما يربط حاضرنا بماضينا ، ويصل حلقات تاريخنا .

وهذا الكتاب الذي ألـّفه الأمير السديري مصدر بمقدمتين تتعلقان بهذه

---

(٥) ابن عبد البر القرطبي « الاستيعاب في اسماء الأصحاب » ط مصطفى محمد هامش الاصابة
(٦) بامخرمة « النسبة إلى المواضع والبلدان » مخطوط نسخة المكتبة المحمودية في المدينة المنورة .
(٧) الدكتور جواد علي « تاريخ العرب قبل الإسلام » .
(٨) اليعقوبي المتوفي سنة ٢٧٨ هـ « تاريخ اليعقوبي » دار صادر بيروت .
(٩) عمر كحالة « جغرافية شبه جزيرة العرب » ط مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة .
(١٠) صلاح البكري « تاريخ حضرموت السياسي » ط مصطفى الحلبي .
(١١) صلاح البكري « حضرموت وعدن » بجدة .
(١٢) سعيد باوزير « صفحات من التاريخ الحضرمي » ط السلفية .
(١٣) سعيد باوزير « معالم تاريخ الجزيرة العربية » ط مؤسسة الصبان وشركاه عدن .
(١٤) الشاطري « أدوار التاريخ الحضرمي » ج ١ ص ١١ – ٥٧ – ٥٨ ط مكتبة الإرشاد جدة .
(١٥) – باحنان الكندي « جواهر تاريخ الاحقاف » ص ٣٥ ط الفجالة الجديدة .
(١٦) صالح الحامد « تاريخ حضرموت » ج ١ ص ٤٨ ط مكتبة الإرشاد جدة .
(١٧) لصاحب التعقيب « دخول الاسلام إلى حضرموت » تحت الطبع الدار السعودية للنشر جدة .

الناحية ، إحداهما كتبها الصديق الاستاذ عبد الله بن خميس عن موضوع الكتاب ، وعن مؤلفه ، والأخرى بقلم المؤلف نفسه .

ولقد أحسن المؤلف صنعاً حيث خصص ثمن هذا الكتاب لاخواننا الفدائيين ، وهو صنيع جميل جدير بالحمد والاستزادة ، من هذه الدراسات القيّمة . ومن هذا الوفاء الحميد .

● – اساطير شعبية :

وصدر للاستاذ الصديق عبد الكريم الجهيمان الجزء الثاني من كتاب «اساطير شعبية من قلب جزيرة العرب » الذي صدر جزؤه الاول في العام الماضي بلسم مقارب لهذا الاسم ، وهذا الجزء يحوي ٢٤ اسطورة ، مما نعبر عنه عندنا في نجد باسم (سبحونة) لان المتحدث يبدؤها بقول : يقولون ذاك الواحد والواحد الله سبحانه . وقد اضاف الاستاذ الى بعضها بعض الامثال والقصص الصغيرة الشعبية وقدم الجزء بمقدمة حول الاساطير وموقعها من الادب ، والحق به جدولا لايضاح بعض الكلمات العامية فجاء الجزء في ٤١٥ صفحة مطبوعا طباعة جميلة على ورق صقيل ومزدانا ببعض الرسوم

● – تطور المملكة الاقتصادي :

هذا بحث بعنوان « المملكة العربية السعودية وتطورها الاقتصادي » كتبه الاستاذ فيصل بن عبد الرحمن السديري احد شباننا الذين درسوا علم الاقتصاد دراسة عالية

وقد طبع هذا البحث طباعة أنيقة مزدانا بالصور والبيانات والجداول الاحصائية ، فجاء وافيا في موضوعه في جزء لطيف يبلغ ١٧٦ صفحة .

● – ديوان التميمي :

وهذا الديوان من الشعر العامي ، وصاحبه هو الشاعر عبدالله بن علي بن صقيه

من بني وهيب من تميم ، وهو يحوي قصائد في مختلف فنون الشعر من نصائح وغزل واجتماعيات وغيرها ، ويقع في ١٣٧ صفحة ، وفيه من المقطوعات الشعرية ، ما هو طريف ، ومعجب لمن يتذوق هذا اللون من الشعر العامي .

● – الكويت وجاراتها :

هذا تعريب الكتاب الذي ألفه السياسي البريطاني ديكسن (Hr, R. P. Dickson) باسم (Kuwait and her neighbours) باللغة الانكليزية في مجلد واحد ، وقد قام بتعريبه الاستاذ جاسم مبارك الجاسم ، من أدباء الكويت فجاء في جزئين صفحاتها ٣٤٦ + ٢٨٥ = ٦٣١ صفحة ، وهو من أهم الكتب التي ألفت عن سكان شرق الجزيرة ، وفية فصول وافيـــة عن عادات بعض قبائلها ، وحياتهم الاجتماعية ، وقد ازدان بالصور الجميلة ، وقد نعود للحديث عن هذا الكتاب مرة أخرى ، وإن كنا نستغرب مصادرة الكتاب بطبعته العربية من بعض الحكومات العربية ، مع أن الأصل الانجليزي قد ملأ المكتبات.

● – حكم وأدب :

وهذه مجموعـة من مأثور الكـلم من نثر وشعر في الآداب والحكم والأمثال والنوادر والفكاهات ، جمعها الأستاذ الفاضل الشيخ عبد العزيز بن محمد الأحيدب من كبار موظفي الأمن في بلادنا وسماها « حكم وأدب من مآثر العرب » ، وطبعها في جزئين تبلغ صفحاتها ٣١٩ + ٣٥١ = ٦٧٠ صفحة مما يجد القارىء فيه امتاعاً وترويحاً عن النفس بالتنقل بين طرائفه ولطائفه .

● – الممتاز من الأحاجي والألغاز :

وهذا كتاب آخر للأستـــاذ عبد العزيز بن محمد الاحيدب يعبر اسمه عن موضوعه ويحوي ما لا يوجد في غيره انتقاه من الكتب المؤلفة في هذا الشأن وأضاف إليه أشياء طريفة مفيدة في موضوعه من كتب الأدب القديم شعراً

ونثراً ومن الشعر العامي الحديث ، فجاء كتاباً جامعاً فيه متعة للعقل ، وسلوة للنفس في مجلد لطيف تبلغ صفحاته ٢٦٩ .

● – الخطب في المسجد الحرام :

ونشر صديقنا العلامة فضيلة الاستاذ الشيخ عبدالله بن عبد الغني الخياط خطيب الحرم المكي الشريف ، الحلقة الرابعة من خطبه ، وهي تبلغ احدى وخمسين خطبة تتضمن من مقاصد الاسلام وآدابه واخلاقه ومن بيان اسباب تأخر المسلمين ، وضعفهم ما يجدر بكل ذي غيرة صادقة ان يعرفه ، وما نحن في اشد الحاجة الى بيانه والسير على منهاجه في خطب الجمع وهو النهج النبوي القديم ، وقد جاءت هذه المجموعة في مجلد لطيف تقارب صفحاته ٢٠٠ صفحة .

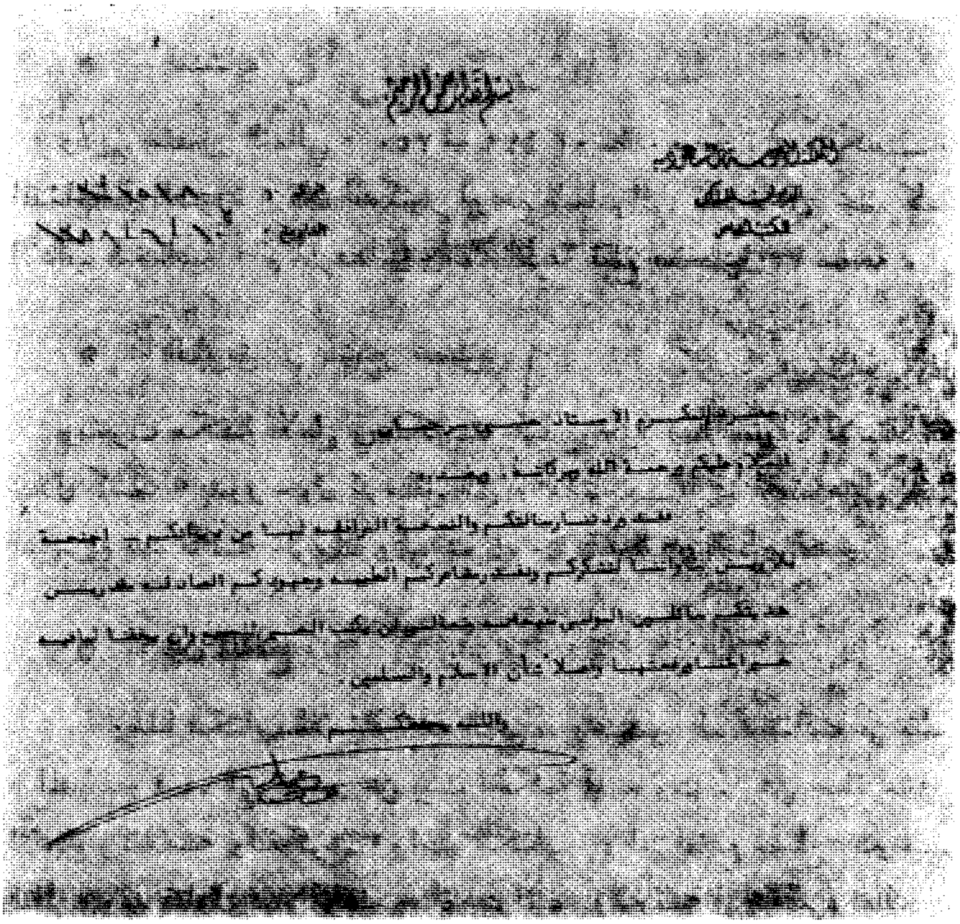
● – « التطور اللغوي التاريخي » .

وهذا كتاب للصديق الدكتور ابراهيم السامرائي حاضر به طلبة معهد البحوث والدراسات العربية . فطبعه المعهد في كتاب ضم ٢٨٣ صفحة .

● – أجنحة بلا ريش :

وصدر للشاعر المعروف الاستاذ حسين بن سرحان ديوانه الأول «أجنحة بلا ريش » يحوي من شعره ١٠٨ مقطوعة في ٢٠٥ من الصفحات ، والاستاذ في غنى عن التعريف فهو من رواد الشعر في بلادنا ومن مشاهير الادباء ، ولعله أول من عانى كتابة القصة ، وقد طبع الديوان طباعة حسنة ، ونال اتجاهاً نراه أقل مما يستحقه من دراسات الباحثين في أدبنا الحديث كما نال تقديراً ملكياً كبيراً في رسالة خاصة ، وقد صدر بمقدمة بقلم صاحب هذه المجلة لقيت نقداً من بعض القراء ، مما قد نعلق عليه في حديث آخر . وكل

ما نريد قوله حيال هذا الديوان هو ان يتجه دارسو الأدب في بلادنا اليه لا لاعتباره شعراً متكاملاً ، بل لكونه يمثل جانباً ذا أهميـــة خاصة بالنسبة الى الحياة الادبية في بلادنا من حيث الاسلوب والتفكير .



نص الرسالة الملكية الكريمة التي تلقاها صاحب ديوان « أجنحة بلا ريش »

● – سؤالات نافع بن الازرق لعبدالله بن عباس

وحقق الدكتور ابراهيم السامرائي اسئلة نافع بن الأزرق التي وجهها الى عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – حققها من حيث موضوعها لا من حيث نسبتها فجاءت في مجلد لطيف يزيد على ١٠٠ صفحة .

● – المتشابه

ولأبي منصور الثعالبي (٣٥٠ – ٤٢٩) رسالة موجزة في الكلمات المتشابهة في الصورة ، كان الدكتور ابراهيم السامرائي نشرها في مجلة كلية الآداب البغدادية ، ثم أفردها في رسالة لطيفة تبلغ صفحاتها ٣٣ صفحة .

● – الطريق الى مجتمع عصري

ونشرت مكتبة الامل في الكويت بحثاً موجزاً بهذا العنوان للاستاذ محمد جلال كشك ، يدور حول الوسائل التي يراها ناجعة في القضاء على الخطر الصهيوني بعد نكسة حزيران والبحث في ٣٠ صفحة من القطع الصغير .

● – ابن المقفع :

وهذا الكتاب للاستاذ احمد العلي . وهو العدد الثالث من سلسلة « المصابيح » .. التي تصدر عن بيت الحكمة في بيروت . عن حياة مشاهير الأدباء والفلاسفة والمفكرين ، واسم الكتاب « ابن المقفع مصلح صرعه الظلم » وقد تناول فيه المؤلف حياة ابن المقفع وسيرته في عصره بالدراسة الموضوعية ، والبحث المركز الموجز ، مع عرض مبسط لآثاره الأدبية ، وعلاقاته الاجتماعية عن مصرعه ، والملابسات التي أحاطت به . وذلك فيما يقارب المائة صفحة من الحجم المتوسط .

تنبيه : ضاق نطاق هذا الجزء عن عدد كبير من المقالات المقرر نشرها فيه ، فمعذرة ، والى الجزء التالي .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

بلاد العرب

تحقيق

حمد الجاسر و الدكتور صالح العلي

تأليف

الحسن بن عبد الله الأصفهاني

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشر هذا الكتاب

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة

(تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات "الجراكسة" و"العثمانيين" لذلك القطر)

تأليف

قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي
(٩١٧ - ٩٩٠هـ)

أشرف على طبعه
حمد الجاسر

الحاجة الى اجزاء

من السنة الاولى من المجلة

تحتاج إدارة مجلة « العرب » إلى الأجزاء : ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ (من السنة الأولى) لإكمال مجموعاتها . وهي ترجو من لديه شيء منها أن يتفضل بتقديمه لها ، مع استعدادها لبذل مقابله من الأجزاء الأخرى ، أو ثمنه . أو اهداء المتفضل ما يرغبه من مطبوعات « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » مما نشر من تلك المطبوعات .

في الجزء التالي :

- شعر طرق الحج الى مكة المكرمة
- الأمثال العامية في نجد
- سعفات هجر (قصيدة)
- فدائيون في تاريخنا
- حول كتاب « بلاد العرب »
- من شعراء القطيف

(وغيرها من الأبحاث)

- عبد الرحمن الحاقان
- محمد الناصر العبودي
- ع. الحبشي
- محمد علي العبد
- حمد الجاسر

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

في هذا الجزء

- الشعر في وصف منازل الحج
- الامثال العامية في نجد
- سعفات هجر (قصيدة)
- شاعران مغموران من القطيف

ومن كتابه :

- عباس العزاوي (بغداد)
- ع. الجشي (القطيف)
- محمد العبودي (المدينة)
- حمد الجاسر (الرياض)

تصدر عن : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

فهرس هذا الجزء

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف (٢٤٢ بريد)
الرياض - المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية جامعة

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات في النشرة البريدية
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الرابع - السنة الثالثة - شوال ١٣٨٨ - كانون الثاني (يناير) ١٩٦٩

مخطوط عن معالم جزيرة العرب

للإمام الحربي (١٩٨ - ٢٨٥ هـ)

- ٣ -

وعلى ذكر الأسدي، تحسن الاشارة إلى أنَّ ممن يعرف بهذه النسبة عالم من أهل القرن الثالث الهجري، يشتبه مع الأسدي الذي ذكره السمهودي، هو أحمد بن محمد بن عبد الله الأسدي، ترجمه الخطيب البغدادي(١)، وذكر أنه توفي في جمادى الأولى سنة ٣٠٧، وهو من شيوخ ابي بكر بن الانباري ومحمد ابن يحيى الصولي، وأبي الفرج الأصفهاني (٢).

وهذا الأسدي كما يصفه الخطيب صاحب أخبار وحكايات، ونستبعد أن يكون الذي ذكره السمهودي.

بين الحربي وبين البكري :

أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي، المتوفى سنة ٤٨٧ هـ، نقل في كتابه «معجم ما استعجم من أسماء المواضع» فأكثر النقل عن

---

(١) «تاريخ بغداد» ج ٥، ص ٥٢.
(٢) «الأغاني» ج ٢١، ص ١٥ ط الساسي.

الحربي ، مصرحاً باسمه في أكثر من أربعين موضعـا .

ومن أطول ما نقل عنه ، كلامه في مقدمة ذلك الكتاب في تحديد جزيرة العرب ، ولكن أكثر تلك النقول - إن لم يكن كلها - فيما ظهر لي من كتاب «غريب الحديث» للحربي، وهو كتاب دخل الأندلس وعرفه علماؤها ، وذكره ابن خير في فهرسه[1] ، وإن كنا نجد النص الطويل في تحديد جزيرة العرب في كتابنا الذي نتحدث عنه ، إلا اننا لاحظنا فيه زيادات يسيرة وتقديمـاً وتأخيراً في النقول ، لا تتفق مع ما في كتابنا .

ونقل البكري ايضاً نصوصاً مطولة من كتابنا غـير منسوبة إلى الحربي نشير الى بعضها بايجاز :

١ – وصف الطريق بين مكة والمدينة :

إن ما أورده البكري من تحديد المسافات بين مكة والمدينـة في كلامه على الغفيق ، يتفق مع ما في كتابنا ، بما في ذلك تحديد طريق بدر ، وقـد يقال بأن ذكر المسافات مما يتفق عليه في مجمـله من يعنى بذكر المسالك ، ولكننا نجد وصفاً دقيقاً لكثير من المواضع ، لا نجدها إلا في كتابنا وفيما نقله البكري ، حيث نجد تشابهاً يوشك ان يكون تاماً ، وانه منقول نقـلاً عن كتابنـا ، ومن ذلك وصف الطريق من عسفان إلى مكة ، فهو بنصه منقول نقلاً عن كتاب الحربي الذي نتحدث عنـه ، ولم يذكر البكري مصدره في ذلك .

٢ – ينبع :

ونجد في كتاب البكري عبارة هذا نصها : (زعم محمد بن عبد المجيد بن الصباح ان بها مائة عين إلا عينا) .

---

(١) ص ١٩٤ .

والبكري نقل هذا في الكلام على رَضْوَى ، وأورد نصوصاً كثيرة من رسالة عرّام ، ومن «كامل» المبرد ، ومن كتاب نسبه للسكوني ، ولا يعنينا من كل ذلك إلا النص الذي أوردناه ، فهذا النص نجده في كتابنا[1] مبدوءاً بجملة: (منابر المدينـــة : حدثني محمد بن عبد الحميد بن الصباح العـثماني من أهل الجحفة ، قال : المدينة تجبى على اربعة عشر منبراً — الى ان قال – ثم ينبع وبها مائة عين غير عين . انتهى . وهـــذا الراوي روى عنـــه الحربي ايضاً غير هذا .

٣ — خيبر :

ومما نجده في كتاب البكري ، وهو بنصه كاملاً في كتابنـــا ، كل ما جاء في مادة خيبر ، من قوله: تخرج من المدينة ، الى قول البكري: والعين العظمى بالنطاة تسمى اللحيحة ، هذا الكلام الذي يقارب صفحتين من كتاب البكري نجده بنصه في الكتاب الذي نتحدث عنه[2] .

وبينما البكري يورد في نهاية ذلك الكلام : صح جميع مـــا أوردته من كتاب السكوني ، نرى مؤلف كتابنا يقول في أول هذا الكلام : وأخبرني أبو الفضل الحسني ان طريق خيبر تخرج من المدينة ، الى آخر الكلام ، ونجد النصوص التي يورد فيها مؤلف كتابنا : اخبرني الحسني أو قـال لي ابو الفضل الحسني ، نجدهـــا في كتاب البكري محرفة وموردة بدون ذكر القائل أو الراوي .

وسنعود للحديث عن هذا السكوني الذي ذكره البكري .

٤ — فدك :

وتعريف البكري لبـلدة فدك من قوله : وأقرب الطرق من المدينة اليهـا

---

(١) ص ٨٠ .
(٢) ص ١٤٦ .

الى قوله : فتهبط الى فدك . كل هذا منقول من كتابنا ، ومصدر فيه بجملة : اخبرني الحسني ، ومتصل بحديثه عن خيبر[1] .

مع ملاحظة ما في نص البكري من تصحيف فظيع في مثل اسم (يديع) حيث جاءت (يربغ) ويديع تعرف الآن باسم الحويط ، أما فدك فيسمى الحائط ، وهما متجاوران .

إن هذه النصوص التي أشرنا إلى مواقعها من الكتابين عند دراستها لا تدع مجالاً للشك بأن أصلها هو كتابنا هذا ، فقد يكون احد الرواة او المؤلفين اتخذه مادة لكتابه وزاد فيه ، وحرّف من نصوصه ما حرف لتصح النسبة ، ثم وصل الى البكري بهذه الصفة ، ولعله وصل اليه منسوباً لمن دعاه السكوني الذي سنفرد للحديث عنه بحثا .

وفي « معجم البلدان » :

ونجد في كتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموي ، عبارات موجزة تتعلق بوصف بعض الأمكنة ، نراها تتفق مع ما في كتابنا ، وهي على قلتها يمكن تقسيمها الى قسمين :

١ – عبارات لم يذكر ياقوت مصدرها ، ومنها ما جاء في : الرستمية ، حمد السبيل ، الحمة ، قو ، براق ، أكمة العشرق ، ريّان ، وغيرها . ويظهر انه استقاها من كتاب نصر ، أو من كتاب اختصر منه أو استقى أكثرها ، إذ نجد ذلك في كتاب نصر ، كما نجد في كتاب نصر ايضاً جملاً نجدها بنصها في كتابنا المخطوط ، مثل وصفه جبل ضبع وضبع اخرجي . ونصر – رحمه الله – كما هو معروف من أهل القرن السادس ، وهو لا يذكر مصادره إلا في النادر جدا .

٢ – أما النقول الأخرى التي أوردها ياقوت ، وهي مما يوجد في كتابنا

---

(١) ص ١٤٩ .

الأمثال العامية في نجد

– ٤ –

٨١ – « أبوهْ حمارْ ، وامّه حماره مْنينْ تجيه الطهارة » .

مْنـَين : من أين ، وتجيه : تجيئه .

يضرب للئيم الأصل من الناس ، وخبيث المعدن من الأشياء .

هذا ، فقد نسبها إلى السكوني ، والسكوني عنده على ما يرى الدكتور حسين نصار غير السكوني الذي نقل عنه البكري ، فقد قال الدكتور حسين نصار [١] ما هذا نصه :

(اعتقد انالسكوني هو ابوعبدالله او ابو عبيد الله احمد بنالحسن السكوني الذي ترجم له ياقوت في معجم الادباء وكان مختصاً بالمكتفي والمقتدر والف كتابا في اسماء مياه العرب صرح ياقوت انه رأى نسخة غير تامة منه ونقلها).
وهذا السكوني من أهل القرن الرابع الهجري متأخر عن عهد مؤلف كتابنا .

وما نسبهياقوت الى السكونيمما نجده في هذا الكتاب كثيرا يتعلق بتحديد أمكنة على طريق الحج العراقي الاول مثل « الوقبى » ، فقد نقل عنه في تعريفها رجزاً لا نجده الا في كتابنا ، ونقل عنه في تحديد مواضع في هذا الطريق ، كما نقل عنه في تحديد طريق اليمامة وفي اسماء منابرها مما نجده في الكتاب الذي بين ايدينا .

ومهما يكنالامر فان أكثرالنقوليرجع الى كتابنا الذي تدلنصوصهالصريحة المتعلقة بتراجم رواته ، انهم من اهل القرن الثالث الهجري .

للحديث صلة   حمد الجاسر

---

(١): « التراث الجغرافي اللغوي عند العرب» مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الرابع عشر .

وفي معناه من الشعر القديم [١] :

إذا نكحتْ بنتُ الزنا ولد الزنا　　فلا شرَّ إلا دون ما يَلِدانِ

ومن الأمثلة العامة اللبنانية : بصله ، وأمه توم ، منين بتجيبه ريحة الطيبة [٢] ..

٨٢ — .. أبيَنْ من الشمْس .

أبين : من البيان ، أي الظهور والوضوح .

يضرب لما لا يحتاج الى ايضاح .

واصله قديم ، فقد قيل : « أشهر من الشمس [٣] » وقال الأحوص [٤] :

وإذا سألت عن الكرام فإنني　　كالشمس لا تخفى بكل مكان

وقال غيرُه :

وقد شاع ذكري في البلاد فمن لهم　　باخفاء شمس ضوؤها متكامل؟

وسوف يأتي للعامة في هذا المعنى قولهم : الشمس ما تغطىْ بالعباة .

٨٣ — « إتبع البوم يوَدّيك الخراب ..

أصله المثل القديم .. من كان دليله البوم كان مأواه الخراب .. ذكره الراغب الأصبهاني من أمثال العامة في زمنه .

يضرب في الاسترشاد بالضال والجاهل .

ويشبهه من الامثال القديمة : مَنْ يمشي أثر الغراب ، سيرجع الى الخراب [٥] .

قال الشاعر [٦] :

ومن يكن الغراب له دليلاً　　فما غير الخراب له مصير

---

(١) المستقصى ج ٢ ص ٣٦٤ . والميداني ج ٢ ص ٢٥٦ .
(٢) المحاضرات والمناظرات ورقة ٢٩ —ب .
(٣) الامثال العامية اللبنانية ج ١ ص ٧٣ .
(٤) التمثيل والمحاضرة ص ٢٢٦ طبعة الحلو .
(٥) مختصر ربيع الأبرار ص ٧١ .
(٦) زهرة الاكم ورقة ٢٥٠ /ب والتمثيل والمحاضر ص ٣٦٩ الحلبي .

٨٤ — اترك الترك يتركونك.

يضرب في النهي عن إثارة ذوي الخصام، والشغب.

وأصله حديث نبوي رواه أبو داود وحسنه الزرقاني ولفظه: أن النبي ﷺ قال: «اتركوا الترك ما تركوكم»[١].

٨٥ — «إترك الشرّ يتركك».

أصله مثل عربي قديم ذكره الميداني والزمخشري بلفظه، وقال الزمخشري: أي إنما يصيب الشرُّ المتعرض له[٢]. وذكره قبلهما العسكري بلفظ: اترك الشر كيما يتركك. وقال كيما لغة في «كما[٣]».

وروى الجاحظ عن علي بن سليم قال: قال حاتم طيّ لعدي ابنه: أي بني: إن رأيت أن الشر يتركك ان تركته فاتركه[٤] وقال عدي بن زيد[٥]:

إذا ما رأيت الشرّ يَبْعَثُ اهله   وقام جُناةُ الشرّ بالشر فاقْعُدِ

٨٦ — أثْقَلُ مِن أحُدْ..

أي: أثقل من جبل أحُدٍ، أحد جبال المدينة المنورة المشهورة.

وهذا المثل قديم بلفظه[٦]. قال أبو نواس[٧]:

لي صاحب أثقل من أحُدِ   قرينه ما عاش في جَهْدْ

عـلامة البغض على وجهـه   بينة مذ حلّ في المَهْـدِ

وقال القاضي عبد العزيز الجرجاني[٨]:

---

(١) الجامع الصغير ج ١ ص ٨ وتنزيه الشريعة ج ٢ ص ٣٢ وكشف الخفاء ج ١ ص ٣٨.
(٢) مجمع الامثال ج ١ ص ١٤٥ والمستقصي ج ص ٣٥.
(٣) جمهرة الامثال ص ٤٦.
(٤) البيان والتبيين ج ٢ ص ١٤٥.
(٥) نهاية الارب ج ٣ ص ٦٢.
(٦) ثمار القلوب ص ٢٤٢ والميداني ج ١ ص ١٦٣ وفرائد الخرائد ورقة ٢٣/ب.
(٧) ديوانه ص ٥٣٦.
(٨) خاص الخاص ص وما يعول عليه ورقة ١٥٠/ب.

وصرت في ثقل أحْدٍ عنده ، ورأى في طاعتي رأي أهل الرفض في عُمَر

ومن أمثـال العرب أيضاً : أثقل من جبـل[1] . وأثقل من طود[2] .. وهو الجبل .

٨٧ – اجتمعَ الخيرُ والبركه ..

وبعضهم يلفظه : اجتمع الخير مع البركة .

يضرب لاجتماع الأشياء المحبوبة . ويشبهه من الأمثال العربية القديمـة .. يوم توافى شاؤه ونَـعَمُه[3] .. والنَّعَمُ : الإبل . والشاء : جمع شاة .

٨٨ – أجْرَبُ وْطِقَ وْماتْ .

أي : هو بعير أجرب ، ضرب فمات .

يضرب لنهاية الاختصار .

ذكروا في أصله أن اعرابيين كانا في سفر ، وكان زادهما قليـلاً ، فأراد أحدهما أن يستأثر بالنصيب الأوفر منه ، فسأل صاحبه حين ابتدءا بالأكل: ماذا خلّف لك أبوك بعد موته من الماشية ؟ فأخذ يعدّد عليه مـا خلفه له أبوه من الإبل والغنم ، وكيف أن بعضها أغار عليه الأعداء فأخذوه ، وبعضها نمـا وزاد ، ثم أتت سنة فأهلكته ، ولم ينته من أجوبته وأحاديثه ، حتى كان الطعام قد انتهى ، ولم يأخذ منه بلغة ! ففطن لحيلة صاحبه الذي كان منصتاً اليه يجيبه بهزّ رأسه فقط .

قالوا فلما كان في المرة التالية وجلسا على الطعام ، أراد أن يجاري صاحبه من جنس عمله ، فسأله : وأنت ماذا خلف لك أبوك من الماشية ؟ فأجابه هذا

---

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٧٤ .

(٢) جمهرة الأمثال ص ٧٧ ، ومن أراد المزيد من شواهد هذا المثل وغيره مما يتعلـق بالثقل والثقلاء فعليه بكتابنا«كتاب الثقلاء» . فهو أجمع كتاب في هذا الباب .

(٣) مجمع الأمثال ج٢ ص ٣٨٤ .

مسرعاً : أجرب ، وطق ، ومات ..! واندفع يأكل ، فذهب قوله هـذا مثلاً ، يريد ان اباه قد ترك له بعيراً أجرب ، فضرب ، فمات .

وإذا بحثنا عن أصل المثل في الأدب العربي القديم وجدنا ما يشبهه . فقد ذكر ابن الجوزي ان ُمزَبِّداً [١] تغدى معه اعرابي ، فقال له ُمزبِّد ُ: كيف مات أبوك ؟ فأخذ يحدثه بحاله ، وأخذ ُمزبِّد يمضي في أكله ، فلما فطن الاعرابي قطع الحديث ، وقال له : أنت كيف مات أبوك ؟ فأجابه ُمزبد : فجأة ، ثم أخذ يأكل [٢] .

وحكى الحصري قال قعد عبادي [٣] واعرابي يأكلان ، فقال العبَّادي للأعرابي : كيف مات أبوك ؟ — ليشغله بالكلام عن الأكل — فقال الأعرابي: أصابه كذا ، وكذا ، فأخذ في حديث طويل ، والعبادي يأكل ، ثم قال الأعرابي : وأنت كيف مات أبوك ؟ ليشغله بالكلام عن الأكل ، فقال : إتخم فمات [٤] ومعنى : اتخم ؛ اصابته التخمة . والمثل موجود عند العامة في مصر ، ولكن بصيغة أخرى ، فقد ذكره العلامة احمد تيمور بلفظ: « أبوك خلف لك إيه ؟ قال : جدي ومات [٥] » وقال عن مضربه : يضرب فيمن يصيب القليل ، ثم يذهب منه فيكون كمن لم يصب شيئاً . وربما كان هذا وهماً منه ، فقد سألت كثيراً من المصريين عنه ، فقالوا عن مضربه كقول النجديين عنه .

٨٩ — الأجرْ عَلَى قَدْرِ التَّعَبْ ..

أصله من الحديث النبوي الكريم ، وهو أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي

---

(١) مزبد (بضم الميم وفتح الزاي بعدها باء موحدة مشددة مكسورة ثم دال) رجل من اهل المدينة مشهور بالفكاهات والنوادر .
(٢) الظراف والمتماجنين ص ٥٩ - ٦٠ .
(٣) العبادي (بضم العين وتخفيف الباء) نسبة الى حي من احياء العرب يقال لهم العباديون.
(٤) جمع الجواهر ص ٢٩١ - ٢٩٢ .
(٥) الأمثال العامية ص ٨ .

الله عنها بعد اعتمارها: « إنّ لك من الأجر على قدر نَصَبك ونفقتك »[1].
والنصب : التعب كما هو معروف .

وأنشد الشهاب الخفاجي من نظمه[2] :

عابد الله امرؤ منتظر فرحا منه إذ أدّاه حقّه
فإذا زادانتظارا زاد أجراً وكذا الأجْرعلىقدرالمشقّة

وقال بعضهم[3] :

قلْ لابن داود، والأنباء سائرةٌ لا يدرك الأجر إلا من له عمل

٩٠ — أحَدٍ يَبْقلْ وَأحَدٍ يتَمنّى الشّنِيْنْ ..

يبقل : أي يصنع البقل ، ويريدون بـه في هذا المكان : الأقط ، وهو اسم للأقط في بعض أنحاء نجد ، وبعضها لا يزال يسميه الأقط . وليست هذه التسمية أي البقل للأقط فصيحة ، ولعلهم أخذوها من كون الأقط يواتيهم عندما تبقل ماشيتهم أي : تأكل البقل ، وهو الربيع ، ولعلهم فعلوا ذلك لأن الأقط عند بعضهم يُخلط ببعض بقول الأرض كالبَرْوَقِ ونحوه ، فغلبوا عليه اسمه .

والشنين : اللبن الذي شيب بماء كثير : فصيحة .

والمراد من المثل : ان بعض الناس يكون عنده لبن كثير بحيث يزيد عما يحتاجه في الشرب حتى يصنع منه الأقط ، وبعضهم لا يستطيع الحصول على شيء من اللبن حتى انه ليتمنّى أن يحصل ولو على قليل من اللبن الذي شيب بأكثر منه ماءً .

يضرب لتفاوت الحظوظ في الأرزاق .

---

(١) الجامع الصغير ج ١ ص ٩٦ .
(٢) طراز المجالس ص ٢٣٣ .
(٣) جليس الأخيار ص ١١٣ .

وفي معناه قول صالح بن عبد القدوس[1] :

عجباً للناس في أرزاقهم ذاك عطشانٌ ، وهذا قد غَرِقْ

وقال آخر[2] :

والرزق كالغيث بين الناس منقسم هذا غريق ، وهذا يشتهي المطرا

وقال غيره[3] :

تفرق الناس في أرزاقهم فرقاً فلابسٌ من ثراء المال ، أو عاري
كذا المعايش في الدنيا وساكنها مقسومة بين أدعاثٍ[4] وأوعار

٩١ — أحَرّ مِنْ جَمْر الغَضَا .

يضرب لشدة الحرارة .

وأصله قديم . قال الثعالبي : يضرب المثل بنار الغضا لأنها أحر نار الجمر ، والغضى من بين سائر العيدان لا يصلح الا للوقود ، فكأنه خلق للنار لا غير[5] .

وقال الأزهري :

يقال : نار غاضية ، أي عظيمة ، أخذ من نار الغضا ، وهو من أجود الوقود عند العرب[6] .

---

(١) روضة العقلاء ص ١٢٢

(٢) الخلاة ص ٢١٠

(٣) زهر الآداب ص ٧٠٩

(٤) الادعاث : جمع دَعْث وهو ما وطىء من الأرض بالأقدام حتى أصبح صالحاً للسيران : ما يقابل الأوعار : جمع وعر من الأرض . ولا تزال كلمة دعث للارض اللينة موجودة في عامية البادية في شمالي نجد .

(٥) ثمار القلوب ص ٤٦٢

«٦» اللسان ، مادة : غ ، ض ، ي .

٩٢ - إحْفَظْ للناسْ ولا تِصْلِحْ لُهمْ ..

أي : احفظ للناس ما يكون لهم عندك من متاع أو مـــال على سبيل الوديعة ، ولا تتصرف فيه ، ولو كان التصرف لطلبِ الأصلح لهم ، لأن المال قد يتلف ، ولا يتحقق ما اردت من الاصلاح، فيحملونك تبعة نقصه ، ووزر ضياعه ، ويطالبونك بردّ ما تلف منه ، ولا ينظرون إلى حسن نيّتك .

يضرب في الحث على عدم التصرف في أموال الناس وأمتعتهم .

وأصله مأخوذ من القواعد الفقهية في مذهب الحنابلة الذي يتمذهب له أهل نجد ، من كون المودع إذا تصرف بالوديعة بدون إذن صاحبها فانه يضمن ما تلف بتصرفه ، ولو كان الحامل له على ذلك طلب المصلحة له[١] .

٩٣ - إحْفَظُوا هَدُومُكُمْ .

الهدوم : جمع هِدِم عند أهل البدو من العامة ، وهو عند أكـــثر أهل الحضر منهم ، جمع لا مفرد له من لفظه ، ويريدون به : ثيـــاب المرء ، أو مجموع لباسه . والهِدم في الفصحى بكسر الهاء الثوب البالي ، جمعه : اهدام .

يقال هذا المثل عندما يظهر شخص التـّقى والصلاح ، وهو مشهور بخلاف ذلك ، وإنما فعل ما فعل ليتوصل إلى حاجته .

وهو في معنى المثل القديم : « سبّحَ ليسرقَ[٢] » .

قال يحيى بن نوفل[٣] :

مالي أراك إذا أردت خيانةً جعل السجودُ بِحُرٌ وجهك يظهر

«١» راجع المغني لابن قدامة ج ٦ ص ٤٠٠

«٢» فرائد الخرائد ورقة ٤٩/١ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٣٥١ .

«٣» الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٧٠ .

مُتَخَشِّعاً طَبِناً[1] لِكلِّ عظيمة   تَتْلو القُران، وأنت ذئْبٌ أغبرُ

كما ورد أصل التعبير اللفظي في قول السري الرفاء[2] :

بَكَرَتْ عليك مُغيرةُ الأعرابِ   فاحفظ ثِيابَك يا أبا الخطّابِ

٩٤ — إحْكْ على أجْنَاب ..

إحك . أمر من الحكاية ، والمراد به : تكلم . وأجناب : أي أجانب ، جمع أجنبي ، وهو جمع فصيح . المراد من المثل : تكلم عند أناس أجانب عنك لا يعرفونك حق المعرفة ، ولا يعلمون انما تقوله غير صحيح .

يقال للرجل عندما يتكلم كاذباً في الثناء على نفسه ، وتهديد غيره .

وهو شبيه بالمثل العربي القديم ، بَرّقْ بمَنْ لا يَعْرِفُكَ[3] ، يقال لمن توعد من يعرفه ، أي اصنع هذا بمن لا يعرفك .

٩٥ — أحْلَى من العَسَلْ ..

قديم بهذا اللفظ[4] .

« أحْلَى من المَطرْ » ..

أي : أعذب من ماء المطر .

أصله المثل العربي القديم : « أعذب من مـــاء البارق » أي : السحاب البارق[5] .

«١» الطبر : الحاذق العالم بكل شيء .

«٢» ديوانه ص ٤١ ومعاهد التنصيص ص٤٩٩ « بولاق » .

«٣» فصل المقال ص٥٠٥ ٣ الأمالي ج ١ ص٩٠ ٢ والعقد الفريد ج ٣ ص١٣٣ والمستقصى ج٢ ص٨ والميداني ج ١ ص٩٦ وشفـــاء الغليل ص٧٥ والمزهر ج ١ ص٤٩٣ ، وفرائد الخرائد ورقة ١٦ / ب وزهر الأكم ورقة ٥٦ / ب .

«٤» جمهرة الأمثال ص١٠٤ والمستقصى ج ١ ص ٧٢ ومجمع الأمثـــال ج ١ ص ٢٣٨ ، مراجع الحيوان ج ٥ ص٤٣٠ .

«٥» مقاييس اللغة ج ١ ص ٢٢٣ وثمـــار القلوب ص٤٤٦ والمستقصى ج ١ ص ٢٣٩ ، والميداني ج ١ ص ٥١١ .

ومن الأمثال العربية القديمة أيضاً : أعذب من ماء غادية .. أي : سحابة غادية من الغدو[1] .

٩٦ — إحْلِبْ مِنْ جَمَلْ ..

يضرب لمن يطلب المستحيل .

وهو شبيه بالمثل القديم : « أخفق حالب التيس[2] » . قال البحتري :

أيا صالحاً لا يُجزك الله صالحاً فانك مثل التيس أخفق حالبه[3]

ويقرب منه في المعنى المثل العربي : « أدرّها وإنْ أبتْ »[4]. وإن كان المثل العامي أمعن في المبالغة لأن الجمل ليس محلا للحلب أصلاً .

ويرادفه من الأمثال العامية قول المصريين : « أقول له ثور يقول : احلبه .. »

٩٧ — أحَلّ مِنَ الفَقْعِ ..

أحل : أفعل تفضيل من الحِل : ضد الحرمة . والفقع : نوع من الكمأة فصيح كما ينطقونه قال الراعي النميري[5] :

بلاد يَبُزُّ الفَقْعُ فيها قناعه كما ابْيَضّ شيخٌ من رفاعة أجْلَحُ

يضرب المثل للشيء المؤكد حله ، بحيث لا يتطرق إلى حله الشك ، وذلك لأن الفقع ينبت على مطر الوسميّ في الصحراء ، فيجنى من الأرض ، ولا يلحقه حق من حقوق الآدميين ، فهو إذنْ مثل الكلأ المباح للجميع .

على انه يمكن أن يكون لأصل المثل علاقة بما ورد في بعض الآثار من مدح الكمأة ، والترغيب فيها .

(للبحث صلة)

المدينة المنورة — محمد العبودي

«١» المصادر المذكورة عدا مقاييس اللغة .

«٢» التمثيل والمحاضرة ص ٣٤٧ — طبع الحلو .

«٣» ديوانه وثمار القلوب ص ٣٠٤ .

«٤» مجمع الأمثال ج ١ ص ٢٧٦ .

«٥» اللسان مادة : ف ، ق ، ع .

سعفات هجر!

[من قمة جبل القارة بدت سعفات النخيل تنتشر مع امتداد الافق متحدية جبروت الصحراء القاحلة] ..

— ١ —

تَكاثري، تكاثري، يا سعفاتِ هجرِ   تكاثري تكاثرَ الأزهار غِبَّ المطرِ
وطَوِّفي بكلِّ نبعٍ دائمِ التفجُّرِ   طوافَ أهدابِ رشيقاتٍ بجفنِ أحورِ

— ٢ —

تكاثري، تكاثري، يا سعفاتِ هجرِ   مُدِّي الجذور الطيبات من ثراك العَطِرِ
ولتهزمي الصحراء بالظلِّ الظليلِ الخيِّرِ   ولوِّحي الى السماءِ بذراعٍ أخضرِ

— ٣ —

تكاثري، تكاثري، يا سعفاتِ هجرِ   ولترفعي للطيرِ في ذراك أسمى منبرِ
واستمتعي بألفِ نايٍ ساحرٍ، ومزهرِ   وأنتِ نشوى، تستحمِّين بضوءِ القمرِ

— ٤ —

تكاثري، تكاثري، يا سعفات هجرِ   واعتصري من قلبكِ الطيبِ ذوبَ السكر
وأطعمي الجائعَ والعابرَ أحلى الثمرِ   وأسبغي من ظلكِ الوارفِ بُرْدَ عبقرِ

— ٥ —

تكاثري، تكاثري يا سعفاتِ هجرِ   يا توأم (الخليج) في حجر الزمان المبكرِ
رضعتما من أزلِ خصبَ العطاءات ثري
فجدتِ أنتِ (بالخلاص) وسخا (بالجوهر) (١)

— ٦ —

تكاثري، تكاثري يا سعفاتِ هجرِ   يا مُثُلَ العزةِ، والشموخ، والتحرُّرِ
تحتضنُ السماءُ منكِ شامخاتِ الغررِ   وتغتصبُ النجومُ من تاجكِ أغلى الطُّررِ

— ٧ —

توافري، توافري، أكثر من تصوُّري   وشِّي خيالي بربيعٍ عابقٍ مخضوضرِ
وأسقطي الفيروزَ والياقوت فوق مئزري   فالواحةُ العذراءُ دنيا الشاعرِ المبتكرِ

الجشي

«١» الخلاص نوع من أجود أنواع التمور. والمقصود بالجواهر هنا اللؤلؤ، وهو من أجود الانواع في العالم.

الشعر في وصف منازل الحج

ولقد عني الشعراء من متقدمين ومن متأخرين في وصف منازل طرق الحج واصبحت اشعارهم مصدراً للباحثين المنيين بتحديد المواضع .

ولقد وصل الينا من الأشعار التي تصف تلك الطرق قـــدر كبير جدير بالدراسة ، نحاول في كلمتنا هذه ان نعرض طائفة منه .

وكانت اشهر الطرق الى مكة المكرمة اربعة :

١ – الطريق العراقي وهو ينقسم الى ثلاثة فروع ، طريق بغداد–الكوفة – نجـــد ، حيث يلتقي مع الطريق الكوفي في النقرة ، وطريق ثالث يمـــر بالسلمان – فلينة – ففيد حيث يجتمع بطريق الكوفة .

٢ – طريق الشام ومصر كانا يلتقيان في وادي القرى لقاصد المدينة ولمن يقصد مكة من مصر يسير مع الساحل من العقبة الى رابغ فمكة .

٣ – طريق اليمن وينقسم الى ثلاثة اقسام، طريق تهامة الممتد من عدن وما يقربها الى سواحل تهامة فيلملم فمكة، وطريق صنعاء – صعدة الى اسفل بلاد قحطان فبيشة فوادي تربة فقرن المنازل (السيل) فمكة .

وطريق ثالث يمتد من حضرموت فنجران ثم يلتقي مـــع الطريق الثاني بقرب تثليث

٤ – طريق اليمامة ، وهو ينقسم الى ثلاثة فروع طريق جنوب اليمامـة : وادي الدواسر والافلاج ومايقربها ويجتمع مع طريق اليمن في السيل وطريق وسط اليمامة يسير مع الطريق المعروف الآن المـار بالدفينة فعشيرة الى السيل وهناك فرع آخر يتجه من هذا الطريق الى ذات اليمين حيث يجتمع بطريق

البصرة في القريتين بقرب عنيزة وكان يسلك اثناء الخلوف ، وحينـــها كان الطريق البصري ينال عناية الخلفاء العباسيين وحمايتهم

هذه اهم طرق الحج مما لا يعنينا تفصيله الآن

وعني المتقدمون بتحديد المنازل من اربعة طرق رئيسية من تلك الطرق فحددوا منازلها وذكروا ما بينها من المسافات بالأميال وخاصة في طريـــق صنعاء ـ صعدة – مكة وطريق بغداد – الكوفة – المدينة ومكة ،وطريق البصرة – مكة . كما عنوا بتحديد منازل طريق الشام وطريق مصر بالوصف لا بالتحديد بالاميال ، وألفت مؤلفات في ذلك وسنعرض لها في بحث آخر .

ونعود الآن لموضوعنا وهو (الشعر في وصف المواضع) :

١ – من امتع ما وصل الينا في تحديد منازل الحج من صنعاء إلى مكة قصيدة احمد الرداعي من أهل القرن الثالث الهجري ، وقد أوردها الهمداني كاملة في كتابه القيم « صفة جزيرة العرب » والقصيدة فضلاً عن قيمتها من الناحية الجغرافية فهي تعتبر من روائع الشعر الوصفي لغة وأسلوباً وفصاحة .

قال في وصفها الهمداني [١] : ولا نعلم احـــداً وصف من جزيرة العرب مسافة اربعة وعشرين يوما بشعر طبعي ، ونشر بصفة الابـــل والفلوات ، سوى احمد بن عيسى الرداعي ـ رحمه الله ـ من خولان العالية ، وكان يسكن برداع من ارض اليمن ، ومنها وصف البلاد الى مكة ، على محجة صنعاء في ارض نجد العليا ، وقد سمعت لرجـــل من البصريين شيئاً في صفة طريق البصرة غير مرتضى ، بل ضعيفا . وكان ابو يوسف بن ابي فضالة الأبناوي جدّ أبي يوسف الذي كان في زمن محمد بن يعفر قد قال في محجة صنعاء شعرا ارجوزة ضعيفة ، فاهتجرت واذيلت ، حتى درست ، وفقد من ينشدهـــا غير الابيات التي لا قوة بها ولا طبـع ، وكان كثير من اهل صنعاء لا سيما

(١) « صفة جزيرة العرب » ص ٢٣٥

الابناء قد غيروا في قصيدة الرداعي اشياء نفاسة وحسدا ، فلم يكن بصنعاء لها نسخة على الاستواء ، فلم ازل التمس صحتها حتى سمعتها من احمد بن محمد ابن عبيد من بني ليف من الفرس ، وكان لا يدخل في عصبية ولا يَلتُ احداً حقه ، وكان آل ليف فرقتين فرقة تسكن برداع ، وفرقة بصنعاء ، فقال لي : روانيها احمد بن عيسى برداع عشرة ابيات ، حتى حفظتها ، وانا حدث فلم تَزُلْ عني ، وهي على ما سمعت بجميع لغاته ، الا ما كان منها معيبا من جهة الاضطرار ، ولا فائدة فيه ، فقد ثقفته واصلحته ، وفسرت منها ما لم يسقط الى العامة لغته ، وهذه الارجوزة فردة في فنها ، إلا ان يقفوها قاف مجيد ، وشاعر مفلق ، وقد كان له سواها شعر لا بأس به .

٢ — اما عن طريقي العراق الرئيسيين ، فان في كتاب الحربي الذي سيصدر قريباً اراجيز في وصف الطريقين تقارب الف بيت من الشعر تعتبر من أدق ما قيل في تحديد المواضع، وفيها صور جميلة حقاً في وصف مواكب الحج ومواضع نزوله مما لا نطيل بذكره بل نكتفي باحالة القارىء عليه .

ونجد فيما بين ايدينا من الكتب مقطوعات من الشعر في وصف بعض مواضع ذلك الطريق مما نعتقد انه لم يصل الينا كاملاً ، من ذلك ما اورده صاحب كتاب « بلاد العرب » لبعض الاعراب :

اقول لصاحبيَّ من التأسي وقد بلغت نفوسهما الحلوقا
اذا بلغ المطي بنا (بطانا) وجُزْنا الثعلبية والشقوقا
وخلفنا (زُبالة) ثم رحنا فقد — وابيك — خلفنا الطريقا

وما اورده نصر في كتابه : — وعنه نقل ياقوت — قال ابو المسور :

فصبَّحتْ في السير أهلَ تُوز منزلة في القدر مثل الكوز
قليلة المأدوم والمخبوز شرّاً - لعمري - من بلاد الخُوزِ

وقال راجز آخر :

يا رب جـــارٍ لك بالحزيز بـين سَمِيراءَ وَبين تُوزِ

وتُوز وسَمِيراء لا يزالان معروفـين ، فتوز يسمى الآن التوزي واد عظيم فيه منهل ، بقرب سميراء وهي بلدة معروفة في جنوب بلاد الجبلين (حايل) وشمال القصيم وما جاء في « معجم البلدان » وغيره :

كأنَّها بين شَرَوْرَى والعُمَقَ وقد كَسَوْنَ الجِلد نَضْحاً من عَرَق
نوّاحة تلوي بجلباب خَلق

والعُمَق هذا بضم العين وفتح القـــاف ، منهل لا يزال معروفاً بقرب جبال شروري وتسمى الآن الشرار ، وشَرَارًا ، بقرب معدن بني سليم (مهد الذهب) .

أما عن طريق اليمامة ، فإن الكتب التي بين ايدينا لم تحفل كثيراً به ولهذا فما ورد من الرجز في وصفه قليل ، ومن ذلك ما أورده صـــاحب كتاب « بلاد العرب » في وصفه لذلك الطريق حينما ذكر منهل (اهوى) في طرف المرُّوت :

كريّـــة زوجهـــا كريثُها حلت بأهوى فهـــوى هويهـــا

وأورد رجزاً آخر لابن أبي حفصة وغيره في وادي نخلة ، وفي البستان حيث تجتمع اكثر الطرق .

ونقل ياقوت :

اذا قطعنـــا حـــائلا والمروت فـــأبعـد الله السويق الملتوت

واكثر ما نجده عن الشعراء المتقدمين من وصف الطرق يأتي اكثره من الرجز ، وهو الوزن الخفيف الذي يستعمل حداء للابل وحثا لها على السير ، والحداء نوع من انواع الغناء للعرب فيه اشعار كثيرة .

وورد في الحديث ان ذا البجادين المزني حدا بالرسول (ص) في هجرته ، وهو في ثنية العرْج قائلا :

تعرضي مدارجـاً وسومي تعرض الجوزاء للنجـــوم
هذا أبو القاسم فاستقيمي

ونرانا خرجنا عن الموضوع خروجاً قد لا يخلو من فائدة ،

أما عن طريق الشام ومصر ، فإن الشعر الذي وصل الينا مما قيل في عصور متأخرة من القرن السابع الهجري فما بعده ، وهو على ضعفه يوضح لنا كثيراً عن منازل ذينك الطريقين ، بينما لا نجـــد شيئاً من الشعر في الطرق الأخرى في ذلك العهد، وجل ما وصل الينا منه هو من شعر العلماء ، ويحسن أن نعرض بعض تلك الأسماء ، ثم نورد ما نسب اليهم من الشعر فـــيما يتعلق بالأمكنة الواقعة في (جزيرة العرب) من حدود الحجاز ، في الوقت الحاضر، إذ ذكر كل المواضع مما لا يتسع له هذا البحث .

كما أن طريق الحج المغربي،الذي يلتقي بالطريق المصري،قد أكثر الشعراء في وصف منازله ، وهو مما لم نتعرض له في بحثنا هذا ، ومن المعروف أن علماء المغرب لهم مؤلفات كثيرة في رحلاتهم الى المشرق، وصفوا في كثير منها هذا الطريق ، وممن عني بدراستها صديقنا العلامة الشيخ محمد الفاسي ، مدير جامعة (محمد الخامس) فقد حقق بعض هـذه الرحلات ، وتحدث عن بعضها في أبحاث مطولة ، نشرت في مجلات عربية كمجلة « معهـد المخطوطات » في القاهرة ، ومجلة « البحث العلمي » التي تصدر في الرباط ، وغيرهما .

ولبعض علمـــاء المغرب مثل الاستاذ الجليل حسن حسني عبدالوهاب من أشهر علماء تونس ، عناية بهذه الناحية من رحلات الحج ايضا .

وكل ذلك مما نراه أوسع من ان نعرض له في بحث موجز ، كبحثنا هذا .

إننا نهدف من وراء هـــذا البحث أن نوضح بعض المواضع التي وردت في شعر الحج ، ممـا هو واقع في الجزء المتصل بجزيرة للعرب ، ممـــا لم يحد من

الباحثين في بلادنا شيئاً من العناية من حيث الدراسة . ومما نعتقد أن في إبرازه ما قد يفيد الدارسين ، ويوجه النظر الى جانب نراه جديراً بالبحث والدراسة من قبل المعنيين بذلك ، بالنسبة لبلادنا من ابنائها .

ونأمل أن نرى من أبناء البلاد الأخرى من يتعرض لهذه الجوانب ، فيما يتعلق بمواضع طرق بلاد اليمن، والعراق، ومصر، والشام، والمغرب، لتكتمل حلقات البحث ، ويصبح لدى المهتمين بدراسة المواضع بحثاً كاملاً شاملا .

بعض من وصفوا طريق مصر والشام الى الحجاز :

١ — ابن جماعة :

بدر الدين محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي المصري الشافعي (٦٣٩ — ٧٣٣) له مؤلفات دينية كثيرة ، لا يزال أكثرها مخطوطا .

٢ — الصفدي :

خليل بن الأمير عزّ الدين أيبك بن عبدالله الصفدي ثم الدمشقي (٦٩٦ — ٧٦٤) ، وشهرته تغني عن تفصيل ترجمته ، ورحلته نقل عنها الجزيري في كتابه « درر الفوائد » كثيرا .

٣ — ابن ابي حَجَلَة :

شهاب الدين أحمد بن يحي بن أبي حَجَلَة ، التلمساني ، المتوفى سنة ٧٧٧ ، سبع وسبعين وسبعمائة .

من مؤلفاته : منطق الطير[١] .

٤ — القيراطي :

برهان الدين ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ،

(١) « كشف الظنون » ص ١٨٦٤ .

(٧٢٦ — ٧٨١) ، شاعر مشهور توفي بمكة ، له ديوان شعر ، وهو منسوب إلى منية القيراط إحدى قرى الغربية بمصر[١] .

٥ — ابن ميلق :

ناصر الدين محمد بن عبدالدائم ابن بنت الميلق ، اجتمع به الحافظ بن حَجَر ، وكان واعظاً مشهوراً[٢] .

٦ — الحافظ ابن حجر :

شهاب الدين ، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني ، الكناني المصري (٧٧٣ — ٨٥٢)[٣] . هو العالم الجليل ذو المؤلفات القيمة التي من أشهرها « فتح الباري » و « الاصابة » و « تهذيب التهذيب » وغيرها .

٧ — الشهاب الحجازي :

أحمد بن محمد بن حسين أبو الطيب شهاب الدين الأنصاري الخزرجي الحجازي الأصل المصري الشافعي (٧٩٠ — ٨٧٥) ، وقد اورده السيوطي في معجم شيوخه[٤] .

وله ديوان شعر توجد منه نسخة بخط الشاعر نفسه في مكتبة دير الاسكوريال في اسبانية . وله مؤلفات في الأدب ، وهو من تلاميذ الحافظين ولي الدين العراقي وابن حجر العسقلاني .

٨ — ابن العطار :

وقد ضبط الشيخ محب الدين ابن العطار في سنة ٨٣٦ منازل طريق الحج

---

(١) « تاج العروس » — قرط .
(٢) « تاج العروس » : ألَـتَقَ .
(٣) « علم التاريخ » ص ٣٨٧ .
(٤) « تاج العروس » : مادة (حجز) .

في الدرب المصري ومناهله في وريقات مختصرة إلى الغاية[1] .

٩ — الجزيري :

عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري (نسبة الى جزيرة الفيل بمصر) الحنبلي .

ولد سنة ٩١١، ولا عبرة بما جاء في مقدمة كتابه من أنه ولد سنة ٨٨٠ . وعاش الى ما بعد سنة ٩٧٦ — كما جاء في « البرق اليماني » . وكتابه « درر الفرائد المنظمة ، في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة » مطبوع عن اصل ناقص ، وفي (دار الكتب المصرية) نسخة كاملة من كتب (تيمور) ، وفي الخزانة العامة في (فاس) في المغرب نسخة اخرى كاملة أيضاً ، ومسودة الكتاب في مكتبة الأزهر ، ولكن المؤلف زاد الكتاب بعد كتابتها .

١٠ — قطب الدين المكي :

هو مؤرخ مكة العالم الجليل، محمد بن احمد النهروالي المكي، مؤلف « البرق اليماني » وغيره من المؤلفات ، ولد سنة ٩١٧ ، وتوفي سنة ٩٩٠ هـ[2] ، وله رحلة لا تزال مخطوطة .

١١ — الخياري :

هو الشيخ ابراهيم بن عبدالرحمن الخياري (١٠٥٦ — ١٠٨٣) ومن أمتع مؤلفاته رحلته المسماة « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء »[2] منها نسخ خطية في المدينة في مكتبة شيخ الاسلام ، وفي مكتبة مظهر ، وأجود منها النسخة الالمانية التي وصفنا في « العرب »[3] .

١٢ — كبريت :

هو محمد بن عبد الله الحسيني المدني (١٠١٢ — ١٠٧٠ هـ) ، وكتابه

---

(١) « درر » ص ٧٤٦ .
(٢) أنظر ترجمته مفصلة في مقدمة كتاب « البرق اليماني » من منشورات (دار اليمامة) .
(٣) السنة الثانية ، ص ٢١٩ وما بعدها .

« رحلة الشتاء والصيف » مطبوع يتضمن وصف رحلته من المدينة المنورة إلى استنبول ، في المحرم سنة ١٠٣٩ هـ ، وزار الشام ومصر ثم رجع الى المدينة بعد الحجّ في ذي الحجة سنة ١٠٤٠ هـ .

١٣ — ابن الدّرّا :

هو الشاعر جمال الدين محمد بن نور الدين الدرّا الدمشقي ، توفي سنة ١٠٨١ ، وقد جمع شعره صديقه الشيخ ابراهيم الخياري ، ومنـــه نسخة نسختها عن نسخة نجدية وأهديتها للمجمع العلمي العربي بدمشق ، قبل عشرين عامـــاً ، وكان ابن الدراقد أقام في المدينة وَقتْنا .

وبيت الدّرّا من البيوت المعروفة في دمشق الى عهدنا الحاضر ، حيث كان يتولى أحدهم إحدى الوظائف الهامة في الدولة ، كما حدثني بذلك الدكتور صلاح الدين المنجّد .

١٤ — النابلسي :

هو الشيخ عبد الغني بن اسماعيل النابلسي (١٠٥٠ — ١١٤٣ هـ) صاحب المؤلفات المعروفة ، ومن أشهرها رحلته « الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز » ، وقد وصفت في هذه المجلة ، في سنتهـــا الأولى ، ونشر بعض ما جاء فيها عن المدينة المنورة .

١ — من مصر الى الحجاز

١ منازل الطريق من العقبة الى مكة

للشيخ بدر الدين ابن جماعة : من قصيدة أوردها كاملة :

وفي (السّطْحِ) أمستْ واستقوّتْ هُنَيْهَـــةً
وفي (أَيْلَـةَ) الفيحـــاءِ كان ضُحَاهـــا
إلى (حَقـْلِ) ذا والغرام يَقُودُهـــا
وبئر (جروف) ورِدُهَـــا ومُنَاهـــا

لوادي (عُفـَــانٍ) باشرتْ ، ثم يَمَّمَتْ
(مغار شُعَيْبٍ) كي يزول ظماهـــا

وقَـرَّتْ عيونا بــ (العيونِ) وراجَعَتْ
وقـــد طلقت أجفانهـــا لكراهـا

ولا تنس (وادي النَّبْكِ) إذْ نزلتْ بـه
فروَّتْ ، وسارت تستلِذُّ عناهـــا

وفي أرض (سَلْمَى) سَلَّمَتْ ، ثم يَمَّمَتْ
(كُفَافَةَ) تكفيهـــا شديد صداها

وفي (أزْلَمٍ) حلَّتْ ، وقد طاب عَيْشُها
ومنهـــا إلى (الاصطبل) صار خطاهـــا

ومن بعده جاءت إلى (الوَجْه) وارتَوَتْ
وساوتْ إلى (أكْـرَا) وطاب هواها

ويا حبَّذَا (الحَوْرَاء) للركب مَنْزلاً
ومن بعـده (نَبْطٌ) يفَوح شذاهـــا

وفي (يَنْبُع) كان المُقـــامُ فحبَّذَا
ديارٌ — لعمري — لا أُحِبُّ سواهـــا

وأمْستْ على (الدَّهْناءِ) والشوق ساقَها
إلى نحو (بَدْرٍ) والسُّرُورُ علاهـــا

وبالقاعة (البَزْوَاءِ) حطَّتْ رحالها
وفي (رابـغ) لَبَّى الحجيجُ ، شفاهـا

وأرْضُ (خُلَيْصٍ) حبَّذَا ذاكَ مَنْزلاً
بـــه بَلَغَتْ كُلُّ النفوس مُناهـــا

وفي (بَطْنِ مَرٍّ) قد نزلنـا عشيَّةً
ومن (مكَّةٍ) لاحتْ بُروقُ سناهـا (١)

---

(١) « درر » ص ٤٧٠/٤٧١ .

٢ ـ العقبة :

النابلسي :

طريق الحجّ من مِصرٍ يقاسي أهله تعبه
أتينا عقبة فيه كؤودا فكّتِ الرقبه
وتلك مسافة طالت بها الأحوال مضطربة
جبال ثم أودية بها الأحجار منقلبة
فكنا عندها نقرأ : (وما أدراك ما العقبة)[1]

النابلسي :

قطعنا عقبة المصريّ حتى على الجُرْفَين حطتنا الركابُ[2]

٣ ـ ظهر الحمار

كان من مصر للحجاز نزولٌ وصعودٌ ، لنا ، بعون الباري
فركبنا مَتْنَ الطريق ، وسرنا ومَرَرْنا من فوق (ظهر الحمار[3])

٤ ـ الشرف

النابلسي :

جئنا لمنزلة في دَرْب مصْرَ إلى أرض الحجاز ، تسَمّى ثمّ بـ(الشَّرف)
لا ماءَ فيها ، ولا أهلٌ هناكَ لها لكنّها تُوصل الحجاج للشرف[4]

---

(١) النابلسي .
(٢) النابلسي مع ابيات يصف فيها النجاب فرسه مهرة دهماء .
(٣) النابلسي .
(٤) النابلسي .

٤ – الشُّرَفة (شرفة بني عطِيَّة)

مما قيل فيه :

وقد حَللنا بِوادٍ لا أنيس بــه
بنو عَطِيَّةَ[1] قد سموه بـ(الشُّرَفَه)

فنالنــا منه ، بعد السَعيّ – أرْبَعَة
بَرْدٌ ،وخَوْفٌ ،ظما،والريح مُخْتَلِفه[2]

٦ – مغاير شعيب (أرض مَدْيَن)

النابلسي :

من مِصْرَ ، قَدْ سِرْنا لطيبةَ نقتفي
إثْرَ الدَّلِيــــل ، وللوصول بشائرُ

وتشعبَتْ طُرُقُ المسِير ، بركْبِنَــا
حتّى بَدَتْ لك يا (شعيب مغاير)

النابلسي :

لشعيب هاتيـــك المغاير ، ماؤها
عَـــذْبٌ زُلالٌ شائع للشاربِ !

نقــع الظّمَا ، تحت الهواجر والرُّبا
مخضرَّةُ العــذبات ، طَلْقُ جوانبِ

تَجْري المياهُ لطيفة ، في سوحهــا
كسبائِكٍ ، صَفْوِ اللُجَيْنِ ، ذوائبِ

بتْنا ، وأصبحنا بهــا ، وركابُنَا
موقورةً ، شكْراً لِمَولىّ واهِبِ

والوقْتُ غضٌ ، والزّمانُ مساعِدٌ
بمَنَـائحٍ ، وِفْقَ المُنى ، ومواهبِ

---

(١) في الأصل : « عطيفة » غلط .

(٢) كبريت : ١٩ .

حتى أماطَ الفَجْرُ أسْوَدَ لَيْلِهِ
عنْ أبيَضٍ يَقَقٍ ، كَلِمَّةِ شائبِ
يا حُسْنَهُ مِنْ منزلٍ نزلَ الهَنَا
فيه لنا ، والعِزُّ ضَرْبَةُ لازِبٍ[1]

٧ - مَدْيَن

لابن أبي حَجَلَة :

حثثنا المَطايا نحو مَدْيَن في السُّرَى
ووادي عَفَانٍ طافح بالركائب
ولمّا رأيْتُ المُقْلَ ، والعين حوله
رأيت عجيباً ، في فنون العجائب

ولـه ،

ولما وردنا ماء مَدْيَنَ بُكْرَةً
وجدتُ عليه الناسَ يسقون بالقُرَبْ
فأطرب حادي الراقصاتِ مسامعي
كما أطرب التشبيب من أعيُنِ القَصَبَ[2]

٨ - عيون القصب

من شعر محمد بن محمد النويري المكي (٨٢٧/٨٧٣) في (عيون القصب):

رأيت بشاطئ البحر ـ يا خِلُّ ـ وادياً به جمعت كلُّ اللطائف والعجب
تراه لجينياً ، والزُّمُرُّدُ عشبُهُ وأزهاره قد صاغها المُزْنُ من ذهب
وأعجب من ذا يا خليلي نسيمه يبدل هَمَّ الصَّبِّ ،والحزْنَ بالطرب[3]

---

(١) النابلسي .

(٢) درر الفرائد : ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(٣) « نظم العقيان » ص ١٦١ .

لبعضهم في مشبب ، وفيه حسن استعارة :

هويته مُشَبّبـــاً جمــاله بَرّح بي
تيّم قلبي بالحجـا ز،من عيون القصَبِ

ولأبي عبد الله الفيومي المكي :

ودمعـــة في الصُيُّون يُهدى وروده‍ـــا البسط الصدور
لا تعجبوا إن حلَت مذاقاً فإنها دمعـة السُّرور (١)

ومما قيل فيه :

قصب الوادي هبُوا لي ملءَهُ ففؤادي فيه حرُّ الوَصَب
أوْقِفوا بي بُرْهَةً ، يا رفيقتي أترَوّى من (عيُون القصَب) (٢)

النابلسي :

فتَحَ اللهُ (عيونَ القَصَبِ) بلَطيفٍ من زلالٍ عَذِبِ
في طريق الحجّ ، من مصر إلى كعبة الله ، لنيـــلِ الأرَبِ
منزلٌ يا حُسْنَ واديه ، ويا حُسْنَ زاهي نهرِهِ المُنْسكِب
نسجَ النبْتُ على حافاتِهِ حُلَلَ السُّنْدُسِ،خضرَ العذَب
قد نزلناه على غِبِّ العيـــا ومقاساة العَنـــا والتَّعَبِ
فتَبَدّى لطفــه يشملنـا وتلقّـــانا بصدر رَحِيبِ (٣)
حيث خيّمنا على النهر وقـــد ركضت خيل الصّبا باللّعِبِ

٩ — العُذَيْب

النابلسي :

سقَى وادي العُذَيب هَزيمُ وَدْقٍ يصبُّ بـــه العشيّة والبُكورا

---

(١) درر الفرائد : ٥١٤ .
(٢) كبريت : ١٨ .
(٣) النابلسي .

حبـــال بين أودية غـــوال سحائبها تَـدِرُّ بهـــا دُرورا
بَدَتْ أعشابُـــهُ مُتَلوّناتٍ وقدْ فتحتْ مع الصبْح الثُّغورا
تروقُ الخيْلَ، والبكراتِ حتّى نأتْ عنها، وقد عَظمَتْ نحُورا
نزَلنا ذلـــك الوادي صباحاً وقِلنا فيه، نَصْعَدُ مِنْهُ طورا
ونَـهْبِطُ في وِهادٍ، وهو غضٌّ ولسْتَ ترى به ماءاً شهورا
سِوى ماء الغمامةِ ظَلَّ يجري سُيولاً أشبهَتْ فيه النهورا (١)

١٠ — آلمويلح (المويلحة)

مما قيل فيه :

سألوا مَديـــح مناهِلٍ فأجبتهم هذي المناهــل مَدْحُها لا يَصلُحُ
وأقول : إنْ آلزَمْـنُمُ بمديحها : هذا (المُوَيْلِحُ) في المناهل أملح (٢)

النابلسي :

أتينا منزلاً، من مِصْرَ، وهو (الـ مُوَيْلحُ) رغبَة السفر الصُّوَيْلحْ
ومِنْ عجَبٍ لتصغيرِ سمِعْنَـا به الماء الحُلْوى في (المُوَيْلحْ (٣))

١١ — ظبا

النابلسي :

سقى اللهُ (وادي الغال) ما كان عُشبهُ
ألذّ، وأهنَـــا للمطيّ وأطيَبَـــا
تهشُّ به الخيلُ المراحُ فتكتفي عن العلفِ المَعْهُودِ، في داخِل الخِبَا
أتيناه صُبْحاً في طريق الحجاز من حِمَى مِصرَ، حيث الرّكبُ كانَ مطنبا
إلى أن وَرَدنا من(ظـُبا)ماءَها الذي صَفى رَوْنقاً كالماء في أعينِ الظّبا

(١) النابلسي .
(٢) كبريت : ١٨ .
(٣) النابلسي .

ولذّ لِصادٍ في الهوَاجرِ نَهْلهُ فللّهِ ما أحْلاهُ طَعْماً وأعذَبا
وبِتنا بهَا تحتَ الخَيّم نبتغي دُنُواً من النائين عَنّا تجنُّبا
إلى أنْ بَدا ضوءُ الصّباح وحَيْعلت ركائبنا بالسير ، في طرقِ النُّبا
وشنّت على القيعانِ غارات سيرنا فما كان – يا أهناهُ سَيراً – مُحبّبا
عَسى الله أنْ يمْتنّ بالأمْر ، كاملاً علينا ، فنحظى بالمعالم والقربى (١)

١٢ – كفافة (قبر الكفافي)

للشيخ ناصر الدين ابن ميلق :

كفتنا أكفٌ من كُفافة أكفأت علينا زُلالاً من غيوث نداها
فلله ذاك الغيث كم عمّ ظامِئاً وكم ظمئت منه كبود عداها
رعى الله راحاتٍ لراحاتنا أتت بِراحٍ بهَا ، يجلو القلوب صداها (٢)

النابلسي :

بمرزوق الكفافي أرى رزقي كَفافي
وكل الخير وافي على حسن التصافي

[تنبيه : الشيخ النابلسي – والله يعفو عنه – عاش في عَصر من التخريف وانتشار داء التصوف الكدِر ، فتأثرت نفسه بذلك ، فقال ما قال ، ونحن نورد كلامه لمجرد الاستفادة من الوجهة التاريخية ، مدركين أن قُرّاءه على درجة من الفهم والادراك تحول بينهم وبين التأثر بآرائه الخرافية] .

١٣ – سَلمى

للشيخ ناصر الدين ابن ميلق ، حين ورد سلمى وكان حصل لهم عطش شديد :

---

(١) النابلسي .
(٢) درر الفرائد ، ص ٥١٨ .

شكونا لسلمى حين دارت كؤوسها ... علينا وكان الشكر من بعد سُكرِنا
سكرنا لديها ، بارتشاف رضابها ... فعشنا بذلك السكر من بعد موتنا
ونادى لسان الحال في حبها اغنموا ... طهورى بالأزلم وحسن بعيدنا [1]

١٤ – الأزْلَم

مما قيل في الأزْلم :

(الأزْلَمُ) المشهور ، قُبِّح ذكره ... لم تَصفُ عيشَةُ من بواديه ألَمّ
ما زال عَنْ قلْب مرارة مائِه ... إلّا وأهْدَى من قساوَتِه ألَمْ [2]

وقال الخيارى :

ولمـا قضى نَهْجُ المسير وصولنا ... إلى (الأزلم) المشهور، أدركت مغنما
وقد كنت لا أبغي الوصول لِرَبْعِه ... ولكنه قد صار في النّهج ألزَما
سألتُ إله العرش ألا يعيدني ... اليه ، فلا أغدو كَمَنْ عادَ أبْلما

قال : يدور على ألسنة من ليس لجرح العِرض بجسمه ألم ، أنه إن عاد اليه وصف التغفيل مع المعطوف عليه من البَلَمَ [3] كذا قال والعبارة غير واضحة ، ولكنها قد توضح على غموضها البيت الأخير .

النابلسي :

في الطعْمِ ماءُ (الأزْلم) ... بادي الملوحَةِ للفَمِ
فاشرب سواه وخَلِّهِ ... لِموقر ، أو مُلجَمِ [4]

---

(١) « درر الفرائد » ص ٥١٨ والشطر الأخير كذا ورد مختلا .
(٢) كبريت : ١٧ .
(٣) الخياري .
«٤» النابلسي ،

١٥ ـ اصطبل عنتر

الصلاح الصفدي :

رَكبُ الحجاز تراه إذا مشى يتبختَرْ
كم فيه عَبْلة رِدْفٍ تخافُ (وادي عنترْ)
إذا رَنتْ لمُحبٍّ صالتْ عليه بأبترْ
وليس يَحْمِي المُعنّى لو بالدُّروع تستر [1]

النابلسي :

سرتُ ، نحو الحجاز ، من مِصْر أسمى بخيول رهانٍ لجْمٍ ، وحَبْلٍ
و بـ (اصطبل عنترٍ) قد نزلنا إن مثوى الخيول بالاصطَبل

وقال :

تشبَّهْنا بأهـل البَـدْو حتى أكلنا الخبز ، مأدوماً بصَعْتَر
وسُقْنا الخَيْلَ ، خيلَ بني تَميمٍ وقدْ جئْنا إلى (اصْطبْل عنتر[2])

١٦ ـ وادي الاراك

ابن حَجَلة :

أيا وادي الأراك حويت حُسْناً أراك قد افتخرت به ، أراكا
أروح ، وقد ختمت على ضميري بِحُبِّكَ أن يمرّ به سواكا[3]

١٦ ـ الوجه

للشهاب أحمد بن حَجَلة :

---

(١) : « درر » ص ٥٢٣ .
(٢) النابلسي .
(٣) « درر » ٥٢٣ .

أيا سادة في الوَجْهِ فُزْتُ بِقُرْبِكُمْ
ولم أدْرِ أن القُرب يؤذن بالبعـــد
سريتمْ إلى (أكرا) فشردتم الكرَى
وخلَّفتمُ في الوجه دمعي على الخدّ[1]

ولأبي عبد الله الفيومي المكي – عند عدم الماء به :

ولما وجدنا الوجه عند وروده خليّاً من الماء الفرات فناؤهُ
زممت مطيي ، ثم قلت : ترَحَّلوا فلا خير في وجهٍ إذا قلّ ماؤه[2]

أنشد الحافظ ابن حجر العسقلاني وقد مرّ به – الوجه – فوجده مسنتاً :

أتينا إلى الوجه المرَجّى نواله فشحّ ولم يسمح بطيب نداه
وأسفر عن وجه،وما فيه من حيا فقلت : دَعوهُ، ما أقلّ حياه!!

ولما عاد اليه وجده ممطوراً قد صفت مشاربه ، واخضرت جوانبه فقال :

أرانا الجميلَ الوَجْهُ ، مُعْتذِراً لنا فأوليته شكرا ، وما زِلْتُ مُثنِيا
وأطرَقْتُ نحو الأرض ، رأسي تَخجْلَةً
وما اسْتطعْتُ رفع الرأس من كثرة الحيا[3]

وللمنصوري في الوجه أيضاً على ما ذكره الجلال السيوطي ، أنـــه أنشد بالوجه سنة ٨٨٧ :

أقول وقد جئنا الى الوجه نرتوي ونصطبح الحجّاج منـه بمـــاء
ألا ان هذا الوجه قلّ حياؤه ولا خير في وجه بغـير حياء[4]

---

(١) « درر » ٥٢٤ والخياري .
(٢) « درر » ٥٢٤ .
(٣) كبريت : ١٦ .
(٤) اوراق مخطوطة في خزانة الزركلي وانظر ترجمة المنصوري في « نظم قلائد العقبان » .

للقيراطي :

أقول وقد جئنا الى الوجه جمعنا عطاشاً ، وكل خاب فيه رجاؤه
إذا قلّ مـاء الوجه قلّ حياؤه ولا خير في وجهٍ إذا قلّ ماؤه[1]

وله ايضاً :

أتيتُ إلى الحجاز ، فقلتُ لمّا تبدّى وجهُـه لي ، وارتويتُ
وكمْ في الأرض من وَجْهٍ مليحٍ ولكن مثل وجهك ما رأيتُ[2]

قطب الدين النهر والي المكي :

أقول ، ووادي الوجه سال من الحيا وقـد طاب فيـه للحجيج مقـام
على ذلك الوجـه المليح تحيّـةٌ مباركة من ربنـا ، وسلام[3]

ولصاحبنا الشيخ أبي بكر اليتم المكي وقد غاب عنه محبوبه :

تذكرت (بالحورا) وقد عمّها الحيا مُحَيّـا حبيبٍ أحْوَرٍ عزّ قُربُه
فقلتُ — وقد شاهدت في الوجه حسنَه :
رَعى الله ذاك الوجه ، وجهـا أُحِبُّه[4]

للشيخ نور الدين ابن الجزار الشافعي رحمه الله .

ولمـا رأيتُ الوجه سال من الحيا وقد طاب فيـه للحجيج مقـامُ
وعاينت ركب الحجّ حلّ بسفحه وقد ضربت في جانبيه خيـام
ومَدّ إلى الغيث الهطول أكفّهُ فجـاد عليه بالعطـاء غمام
فقلتُ : على الوجهِ المليح تحيّةٌ من الله مـا سَحّ الرُّبا وسلام[5]

---

(١) « الدرر » ٥٢٥ كناش الزركلي ـ القطبي ـ النابلسي ، ونسبها الخياري للخفاجي .
(٢) « الدرر » ٥٢٦ القطبي ـ النابلسي ـ كبريت : ١٧ الخياري .
(٣) « درر » ٥٢٥ القطبي والخيـاري .
(٤) « الدرر » ٥٢٥ .
(٥) « درر » ٢٢٥ والخيـاري .

عبد القادر الجزيري :

مررنا بوادي (الوجه) وهو من الحيا عديم ، وقد خابت ظنونٌ وآمالُ
وقد كان للعافين أطيبَ بغيــة يسوغ بــه للوفد وِرْدٌ وترحالُ
إذا أمّهُ الصادي أتى كل صالح وقد عمــه أنس وريٌ وإقبال
فمـــا باله — لا غير الله حاله وعادتــه بالفخر يزهو ويختالُ —
تبدل بعد الأنس خيبــة آمل وجف لديه ما صفا وهو سيّالُ
وأوحش هذا (الوجه) بعد نداله ومــا ذاك إلا أن أهل النهى قالوا :
(إذا قل ماء الوجــه قل حياؤه) وعن حَيِّهِ أهلُ الموارد قد حالوا(١)

وله أيضاً :

سقى الله صوب الوجه مُزْنـــاً مضاعفاً
مكللة أرجــاؤه سحب الحَيَـــا
ليحيا به ذاك العهاد ، ورَحْبُهُ بريٍ وُفودٍ طالمــا ابتهلت هَيّا
وأبقى لذاك الوجهِ رَوْنقَ مائِه مصوناً عن التغيير زاه مضاهَيا(٢)

الخياري :

لحَظْنَا — لعمري — الوجهَ عنــد وصولنا
اليه ، فراقَ المــاءُ فيه ، وقـــدْ حَلا
فقلت لسقّائنا : تَفَضَّلْ بمـائِهِ فمَنّ به حقاً ، وللكأس قد مَلا
وَخلّصني من ماءِ (اصْطَبْلِ عَنْتَرٍ)
فذلك منـــه الملح ، والصّبر مـا حَلا

وقلت — القائل هو الخياري :

وردنا لماءِ الوجهِ حقاً على ظَمَا فلله ما أهناهُ شرْباً وما أمْرا
وَقدْ كانَ حَلّى السمْعَ عذْبُ صفاته
وأنّ بــه للنيل تستحسن الذّكرَى

---

(١) « درر » ص ٣٨٣ .
(٢) « درر » ، ص ٢٢٥ .

فقلتُ لساقينا : اسقني منــه شرْبَــةً
ولا تذكر (الحورا) لديّ ولا (أكثرا)[١]

محمد بن نوز الدين الدرّا :

شكى أهلُ (وجْهٍ) قِلّةَ الما بأرْضِهِمْ
وأنْ الحيَا شحّتْ عليهم سمــاؤهُ
فقلتُ لهُمْ قولاً ، لهمْ فيـه سلوةٌ :
(إذا قلّ ماءُ (الوجه) قلّ حياؤه)[٢]

النـابلسي :

طابَ لنـا الطريقُ من مِصْرَ ، إلى
أرض الحجاز ، والهَوَى يَنفَى الوَسَنْ
و (الوجه) قد قابلَنا بطلعةٍ بَهِيّةٍ ، فَيالَهُ وَجْهٌ حَسَنْ

وقال ايضاً :

قـد سِرْتُ من مِصْرَ إلى الحجاز في
أمْنٍ ، من الله ، يزيـدُ شُكْرُهُ
و (الوَجْهُ) قدْ قابلني بلا حَيَـا
لكنّني لمْ ألْقَ شيئاً (أكْره)[٣]

محمد عيّاد (١٢٢٥ — ١٢٧٨) :

لمّــا طلعنا من الملح الأُجــاج الى
ملاحـةِ الوَجْهِ نبغي حسن طَلعَتِـه
حيّــا الغمام بفَرْشِ الأرْضِ منْ بَرَدٍ
لأجلنـا حـالِبـاً ألبانَ طَلّتِـهِ[٤]

تنبيه : إن الوجه الوارد ذكره في الأشعار المتقدمة ، يقصد بـه المكان الواقع شرق ميناء الوجه ، والمعروف باسم (قلعـة الوجه) وكان من منازل

(١) الخياري .   (٢) النابلسي .   (٣) النابلسي .
(٤) ديوان محمد عيّاد ، النسخة الزركلية المخطوطة .

الحجاج القديمة ، أما الميناء فقد نشأت حديثاً ، ولا ينطبق عليهـــا ما قاله الشعراء الذين أوردنا طرفاً من شعرهم .

٧ – اكرى (اكرا ـ اكره)

شهاب الدين ابن حجر :

أحبتنـــا لا تنسوا المَهْـــد من فتىً
قريح ، حريق الجسم ، مقلتـه عَبْرَى
تذكـّر في أرض الحجـــاز دياركم
فلم يتأنـّسْ في العقيق ولا (أكـْرَى)(١)

لبعض شعراء الاندلس :

تَعَفـَّفـْتُ عنْ زادِ الصـّديق ومائه
وسِرْتُ لبيتِ الله أبْغِي له شـكـْرَهُ
وصنـْتُ لِمَا وَجْهِي احْتِرازاً لأنـّني
لِصَوْني لماءِ (الوَجْهِ) لَمْ أرَما (أكره)(٢)

الخياري :

بمـــاء الوَجْـهِ من حوري حُسْنِ
أزِلْ ظمـإي ، ولو في العمْر مَرَّه
ومِـــلْ بِي للمُذَكـّرِ من ظِبـاءٍ
فإني أبْغض (الحورا) و (أكـْرَه)(١)

له أيضاً :

أقول لخلاني إذا الرَّكـْبُ قدْ سَرَى
وقدْ أصبَحَ السارون منْ تعَبٍ سَكـْرَى
أقِرُّوا عُيُوني بالعقيق ، ومـــائه
فطرفي ما أغفى لبعدي، وما (أكرَى)(٣)

---

(١) « درر » ٥٢٧ والخياري باختلاف في النص .
(٢) النابلسي .
(٣) الخياري .

النابُلُسي :

إلى (الوجْه) جِئْتُ ، وما بعدها
تَرَكْتُ أُحاذِرُ في الدَّرْبِ نُكْرَهْ
وملْتُ إلى شَطِّ بَحْرٍ ، به
طَريقٌ أحاوِلُ لله شُكْرَهْ
وذلِكَ منْ مِصْرَ ، نحو الحجا
زِ ، كأني بِهِ كُنْتُ أكْرَهُ (أكْرَه)[1]

١٨ — الحوراء

أبو عبد الله الفيومي :

يا منهل الحوراء اذكرتني ... بالنيل لو لم تنقض فورا
بيتي على شاطئه محملي ... والأنهُرُ الجارية (الحورا)

وله في نبط والحوراء وأكره :

رَوِّ من (نبط) مطيَّتي ... واسقِني ثم تَوَجَّهْ
ودعِ الحورا فإني ... صرت أشناها و (أكره)[2]

النابلسي :

قد أتينا ، من مصر ، منزلةٌ في ... سَفَرِ الحجّ ، حيثُ عشبٌ وماءُ
نحنُ في جَنّةِ النَّعيم بِسَيْرٍ ... نَحْوَ طهَ ، وهذه (الحوراء)

[تنبيه : الذي عليه المحققون من العلماء أن قَصْدَ قبر الرسول ﷺ بالسير لا يجوز ، لمخالفته لقوله ﷺ : « لا تُشَدُّ الرّحال إلا لثلاثة مساجد » فكان ينبغي أن يقول : نحو مسجد طه] .

للسيد كبريت :

قد أتينا (الحوراء) في يوم حَرٍّ ... شمسه كالعقيقة الحمراء

---

(١) النابلسي .
(٢) « درر الفرائد » ٥٢٩ .

وشربنا مياهها وحمدنا إذ عرفنا فضيلة (الزرقاء) [١]

١٩ – نبط

للشهاب أحمد بن حجلة :

مَغارَةُ نَبْطٍ أخْصَبَ اللهُ أرْضَهَا
ولا زالَ يهمي بالمياه بها الجَوُّ
يقال لها : بَحْرُ الحجاز ، لأنّها
بها الماءُ مثل البَحْرِ ، لكنّه حُلْوُ [٢]

وله أيضاً :

جئْنا مغارة نَبْطٍ والمياه بها | للواردين بها في الحج ما شاؤا
فلم يَرِدْ بَعْد صافي مائها عَمَداً | في الدّرب حتّى بَدا في(يَنْبُعَ)الماءُ

ولأبي عبد الله الفيّومي :

رَوِّ مِنْ نَبْط مَطيّتي واسقني ، ثُمَّ تَوَجّهْ
ودَعِ (الحَورا) فإني صِرْتُ أشْناها و (أكْرَهْ) [٣]

الخياري :

إذا ما قَدْ وَردتُ لماءِ نَبْطٍ | فروِّ مهجةً بالشوقِ حَرَّى
ودَعْ ماءً بـ(حَوْرا) لا تُسِغْهُ | ولا تَرِدَنْـ وحَقّكَـ ماء(أكرا)

ولـه :

قَدْ حَلا لِي مَـلَّـ (نَبْطٍ) | علَّه من بَعْدَ نَهَلِ
فَدعِ (الحورا) و (أكرا) | واملأ الكأسَ وملْ لي [٤]

---

(١) : كبريت : ص ١٤ .
(٢) : « درر » ص ٥٣١ .
(٣) : « درر » ص ٥٣١ وكبريت ص ١٢ .
(٤) الخياري .

النابلسي :

سلكنا للحجاز ، طريق مِصْرِ
وقابلنا بذالك أرض (نَبْطِ)
وكانَ مسيرنا في شَطّ بَحْرٍ
وتِلكَ إشارةٌ أن لَيْسَ نُبْطِي

للسيد محمد البكري :

أسقِني من ماء (نَبْطِ) ولْيَكُنْ في العُمْر مَرهْ
واترُك (الحَوْرا) لأني اكره (الحورا) و (أكْرَهْ)(١)

٢٠ – وادي النار

للصلاح الصفدي :

يا رب لولا لطفك ما كان في ذي الهاجرهْ
هذا الهواء البارد في وسط (وادي النارْ)
لكن رحمت عبيدك لما تبيَّن فقرهُمْ
إلى خفِيْ ألطافكْ وجودك المِدْرَارْ (٢)

للشهاب أحمد بن حَجَلَة :

مررْتُ بوادي النّارِ ، والليلُ مقبل
وقدْ مال جفن العين ، والغَمْض للصلحِ
فلما اختفى (طُرْطُور راعيه) في الدُّجَى
تولّيْتُ رَعْيَ النجم عنه إلى الصُّبْحِ

وله رحمه الله :

أمُرُّ بـ (وادي النّار) والقلْبُ في الحشا
يكادُ لِريحٍ هبّ فيه يَذوبُ

---

(١) النابلسي .
(٢) « درر » ص ٦١٤ .

ولو لا نسيمٌ هبّ من نحوِ طيبةٍ
لما كانَ عيشي في هواه يَطيبُ [1]

٢١ – ينبع البحر

النابلسي :

أتينا محلاً ، شاطىءُ البحرِ دافقٌ
لديْهِ بأرزاقٍ ، بها اللهُ ينفعُ
جرتْ منه أنواعُ الجراياتِ للورى
كما الماءُ منْ عينٍ جرى فهو (ينبُعُ) [2]

٢٢ – ينبع : (ينبع النخل)

لأبي عبد الله الفيومي المكي :

إنْ كانَ قدْ قضيَ الفراقُ وصدّني
عنكم (حجاز) من نوى لا يُرفعُ
فأنا الذي دمعي (العقيقُ) وحاجري
يا (بدرُ) بعدَ البُعْدِ عنكم (ينبُعُ) [3]

٢٣ – واسط

فيه يقول كثير عزّة :

أقاموا ، فأمّا آل عزّةَ غدْوةً
فبانوا ، وأمّا واسطٌ فمُقيمُ [4]

«١» « درر » ص ٥٣٢ .
«٢» النابلسي .
«٣» « درر » ص ٥٢٧ ، والقطبي ، وكبريت : ١١ .
«٤» « درر » ٥٣٩ .

٢ – من الشام إلى المدينة

١ – آبار حمزة

الصلاح الصفدي :

أنَخْنَـــا قَبْلَ (طيبة) نُوقَ رَكْبٍ
تَراه عنِ المعـــائِبِ قَــدْ تَنَـزَّهْ

ولو شِئْنَـــا اغتسلنا من دُمُوعٍ
تَـكاثـرُ بالبُكا آبارَ حَمْزَهْ[١]

وصَبَّحْنا المدينة باحتفال
... ...

٢ – الزَّوراء

ولأهل (الزَّوراء) في القَلْبِ وُدٌّ
فسلامٌ عَلَى حِمَى ساكِنيهـــا

هي دار السَّلامِ طابَتْ مقامـاً
ومقيلاً ، والقول ما قِيل فيها[٢]

[الزوراء هذه بعد وادي القُرى ، ومن بعدها : العَرَاقيب ، ثم وادي المدينة ، وكأن الشاعر يقصد بجملة : والقول ما قيل فيها ، النفي ، أي إن البيت الأول في بغداد دار السلام ، وتسمى الزوراء] .

٣ – وادي القُرَى .

كان هذا الطريق الذي يسلك من المدينة ، يتجـه إلى وادي القرى الذي تقع بلدة العُلا فيه ، وهو عبارة عن مجموعة من الأودية تلتقي ، ويقع فيهـــا قُـرًى كثيرة في الماضي ، ومن هنـــا وقع الغلط من المتقدمين من الشعراء والرحالة ، فصاروا يطلقون اسم (وادي القرى) على وادٍ قاحل ، يبعد عن الموقع الحقيقي بما يقارب خمس مراحل ، وقد أوردنا أقوال الشعراء في وادي القُرى ، حسبما تصوروه، لا على ما هو الواقع . وقد أوضحنا هذا في الفصل

---

(١) « درر » ص ٤٥٩ .

(٢) كبريت ٢٣٩ .

الذي عقدناه لـ (وادي القُرَى) فليلاحظ هذا .

شهاب الدين احمد بن ابي حجلة في كتابه « منطق الطير » :

رأيت قُرى (وادي القُرى) في مسيرنا وبنيانُها طوبٌ ومن تحته حَجَرْ
ولم يبق فيها ساكنٌ مُتَحَرِّكٌ وليس بها للماء عَيْنٌ ولا أَثَرْ

وله :

(وادي القُرى) هذي القرى أينَ أهلُها وماؤهم فيها الذي كان مُنْصَبّا
أَظُنُّكَ لما أن أكلت لحومهم شربت عليها الماء من بعدهم شُرْبا

وللصلاح الصفدي رحمه الله :

مررنا بـ (وادي القُرى) ضَحْوَةً ودُسْنا بـه المهمه الأغْبَرَا
فأمطرنا اللهُ ذاك النهار ، فكان قِرانا بـ (وادي القُرَى)[1]

وقيل :

وادي القُرى ، شاهدتُه ما فيه للضيف قِرَى
وفي المصيف حَرُّهُ تحسِبُ فيه سقرا[2]

النابلسي :

جئنا إلى (وادي القرَى) ولنا البشاشة والقري
وبه وجدنا الحَبْرَ مِنْ لَ الحَبْرِ في (أم القرى)
وتذكرتْ احشاؤنا فنفتْ عن العين الكرى
وتمثلت عيني جوا ر المصطفى ، خير الورى
والأنسُ في ذاك الحمى ولطيف سرٍّ لي جَرَى
أيام كنت بـ (طيبة) طلق العنان ، محرّرا

---

(١) « الدرر » ص ٤٦٠ .
(٢) كبريت : ٢٣٩ .

أزهـــو بأنفاس النســـيم اليثربي ، إذا سرى [1]

٤ ـ الفحلتان

النابلسي :

أتيتُ الفَـحْلتينِ ، وكنتُ فيما أحـاوِلهُ هنـــاك قريرِ عَيْنِ
ومـاءُ الفحلتين بــه نِتاجٌ لشاوبه ، كمـــاءِ الفَحْلتَين

(وقد خصصنا النتاج بالشارب ، حيث وجه تلك الأرض لا نبات فيه ، ولا شارب . قال الشيخ ابراهيم الخياري : منزلٌ كله رمل ، قابلنا بوجـهٍ أمْرَد من النبات ، قلّ ماؤه ، وتعطل حياؤه [2]) .

٥ ـ هَدِية

النابلسي :

لقد أتينـــا إلى (هَدِيَة) وماءُ غُدْرانهـــا نَدِيَّة
وقد فرِحْنا بهـا نزولاً كفَـرَحِ الناس بالهديَّة [3]

٦ ـ بئر الجديد

النابلسي :

لقد جئنا إلى بئر الجَـديد وأقبلنـا على اليوم السعيد
وفارقنا المضايق بعد جهد كمثل الأمّ ،تقذف بالوليد[4]

٧ ـ مَطـَران

النابلسي :

لم نزل من منازل الحج نأتي منزلاً بعد منزل بتهـــاني

«١» النابلسي .
«٢» النابلسي .
«٣» النابلسي .
«٤» النابلسي .

وسرينا نفرى الفلاة إلى أن   قد أتينا لمنزل ذا معـاني [1]
لا تقل ها هنا يكون شتاءٌ   مَطرٌ واحدٌ ،وقلْ (مَطرَانِ)

يقول القائل :

مَطرَان، مثل الشّعْبِ ، قفرٌ مُمحِلٌ   ما فيه من عَطفٍ على وَلهْـانِ
ومن العجـائب أنهُ لَمْ يُولِنـَا   مَطراً ، ويُسْمَى قفرُه مطران[2]

٨ — العلا

قال الصفدي :

في جبال (العُلا) لِمنْ مَرّ فيها   ورأى شكلها مَرَاءٍ غريبـه
نسَقتهـا الرياحُ والغيث حتى   برزت في تشكُلاتٍ عجيبـهْ

للصلاح الصفدي :

لقدْ بَعُدَ (العُلا) ونأى محلا   وطال ، ونحن نسأل من عريبه
ويا عجبا له يزداد بُعـداً   وقـد قمنا اليه من (جنيبه)

وله رحمه الله :

لمـا حججت ، وحجتي   لم ترض ما بين المـلا
أبصرت قدري خامـلا   لما دخلت إلى (العلا)

وله :

خرجنا نحو (طيبة) من(دمشق)   بأفئدةٍ للقياهـا حرارِ
ولكن في (العلا) زدنا اشتياقاً   كأن قلوبنا حشيت بنارِ
(وأبرح ما يكون الشوق يوماً   إذا ادنت الدّيارُ من الديار) [3]

---

(١) النابلسي .
(٢) كبريت : ٢٣٨ .
(٣) درر ، ٤٦٤ .

النابلسي :

قطعنا طريق الحجّ ،في سيرنا إلى دمشق بحفظ الله نخترق الفلا
وجئنا جبالا في قفارٍ خليّةٍ من الماء إلا النزر ندعوه مَنهلا
ولما نزل نرقّى بحمد إلاهنا منازل حتى قدوصلنا إلى (العلا)

وقال :

خرجنــا على الفور من طيبةٍ إلى الشام من بعــد حجّ علاَ
ولمــا سَرت في الفلا عيسنا مشينا سريعاً فنلنا (العلا)

وقال : هناك بين العلا والمدينة اعراب يقال لهم بنو عنزة يؤذون الحجاج المارين عليهم كال الأذية ، فيحتاج أمير الحاج الشامي في كل سنة إلى مداراتهم في ملاقاتهم ، وإلى ذلك نشير في قولنا من النظام في ذلك المقام مضمناً :

واعراب سوء بين (طيبة) و (العلا) يضرُون بالحجاج ، إذ هم لهم عِدَا
فيحتاج أن يبدي الأمير عطية وطوراً يريهم رُمحه ، والمهنّدا
(فوضع النّدى في موضع السيف بـ (العلا)
مُضرّ ،كوضع السيف في موضع النّدى)[1]

قال :

لله يؤمي بـ (العُلا) إذ شاهدت عينــاي آثار النبيّ الهــادي
ورأيتُ فيه جِيرةً من يَثْـربٍ سُقِيَتْ منازلهم بصوب عهاد [2]

٩ — مدائن صالح (الحِجْر)

للصلاح الصفدي :

قَدْ رأينا مُدْناً لصالح تـُعْزى مثل ما جــاء عندنا في التــلاوَهْ

---

(١) النابلسي :

(٢) كبريت : ٢٣٦ — لم ينسبه والظاهر انه من نظمه .

مَدَّتِ الأَرْضُ بالجبال خِواناً ما عليها من النبات طلاوه
وصُحُون الصُّخُور، قد نَحَتُوها فعليها من النَّحِيت حلاوَه
والعذابُ المُذاب قد بان فيها وعليها من الهلاك علاوَه[1]

للشهاب أحمد بن حجلة :

مررنا ببئر (الحِجْرِ) والدُّور حوْلَهُ تكدَّرُ صافي عيشنا ، وسرورنا
ديارٌ عليها الحُزْنُ يبدو ، لأنّنا أُمِرْنا بأنْ نَبْكي بها ، في مُرُورنا

وله :

بالحِجْرِ قَوْمٌ من بقايا من مضى غَلَبَتْ عليهم شقوة وفسادُ
فَهُمْ إذا سَرَقُوا وقامَتْ صَيْحَةٌ ذهبوا كما ذهبتْ ثمودُ ، وعادُ

وله أيضاً :

بأرضٍ بها آثار ناقة صالح (بنو صَخْر) السُّرّاق ، شرُّ قَبِيل
لئِنْ عُوقِبَ الماضُونَ في عَقْر ناقةٍ فكم عَقَروا من ناقةٍ وفصيل[2]

١٠ — مفارش الرز (فرش الرز)

مَرَرْنا بِفَرْش الرُّزّ نلتقِطُ الحَصا .
وقلبي على مَيٍّ به يتقطّعُ
عَشِيَّةَ ما لِي حِيلَةٌ غيرَ أنّني
بلَقْطِ الحَصَا والخَطّ في الرَّمْلِ مُولَع

وللصفدي :

قد أتى الركبُ (مَفْرَش الرُّزّ) لَيْلا
فزَكَا منزلاً ، وطاب مَحَلّا

«١» « درر » ص ٤٦٤ .
«٢» « درر » ص ٤٦١ .

واستضاءَ الفَضَا بِزُهْرِ الدَّياجي
فغَدَا الرَّزْ بالنجوم مُحَلَّى [1]

١١ – المغارة

مغارِمُ الركب أضحت مغانمَا في المَغَارَه
والناس من قبل كانوا وَقُودُها ، والحجاره [2]

١٢ – المفازة

يقول الصلاح الصفدي :

ولقد نزلنا في (المفازة) منزلاً قد ضمنا فيهِ ، ونحنُ ظِماءُ
أقْبِحْ بهِ من منزلٍ مُستَوْبِلٍ هانَ النُّضَّارُ بهِ ، وعَزّ الماءُ

وقال :

قد جعل الله من (تَبوكَ) إلى (الـ ـعُلا) للورى مفازه
راكِبُ تِلْكَ الطريق عندي كأنَّهُ راكِبُ الجِنَازَه [3]

١٣ – المعظّم : (بركة المعظم ، قلعة المعظم)

فيه يقول بعضهم :

يا ذا المُعظَّمِ ، إن فيك لَقَسْوَة فلأيّ مَعنى قدْ سُميتَ مُعَظَّما
إنّ المعظَّمَ مَن يغيث وفودَهُ وأراك أفنيت الأنام من الظَّما [4]

١٤ – الأخيضر (وادي – الأخضر)

لأحمد بن حجلة :

غَرَفْتُ طعامي بالأخيضرِ فاغتدى يُكدّرُ عيشي رملُهُ حين يركدُ

---

(١) « درر » ص ٤٦١ و ٤٦٣ .
(٢) « درر » ص ٤٥٧ .
(٣) « درر » ص ٤٥٧ .
(٤) كبريت : ١٣١ .

فما زالت الزّرقاءُ يبيَضُّ وجهها وَوَجهُكَ يا(وادي الأخيضرِ)أسوَدُ

وللصلاح الصفدي في « حقيقة المجاز إلى الحجاز » .

عبرنا على (وادي الأخيضر) عندما حثثنا المطايا ، واطمأنّت مواكِبُه
وأحسِبه إن كان أخضر إنما تلظى به صبّ فخفّت جوانِبُه

وقال :

لما ارتقى الركبُ في (وادي الأخَيضَر) في
أُمْنٍ ومَنٍّ يُغشّي كل إنسانِ
لم نشكُ في سيرِنا ضيْماً ولا ظمأً
وصاننا الله أنّا نتزل (الصّاني) (١)

١٥ — تبوك

قال صلاح الصفدي :

أتينــا بالسّلاح إلى تَبُوكٍ وذلك عادةٌ صارتْ ، فَسارتْ
دخلناها بإيمانٍ صحيــح دياجي الشّـرك منه قد اسْتنارتْ
لو انّ جماعة الكُفّارِ فيها — اسْتجاشت نحْونا ، وبنا استجارت (٢)

وقال :

أقول وفي الركائب من يَراه الـ ـهَوى وسواه حين يراه حاكَـى :
إذا جاءتْ (تبوك) بنا المطايا (تبيّنْ مَنْ بكى مِمّنْ تباكى) (٣)

١٦ — ذات حج (ذات الحاج)

للصلاح الصفدي :

سلكنا الفَجّ ، نقصدُ ذاتَ حجٍّ بطُرْقٍ للهداية مُسْتَقِلَّه

---

(١) درر ص ٤٦١ – ٤٦٣ .
(٢) « درر » ص ٤٥٦ .
(٣) « درر » ص ٤٤٧ .

فآثار المطيّ بها بُدُورٌ وآثار الجيادِ لها أهِلّهْ[1]

النابلسي :

أتينا (ذاتَ حجٍّ) بنفسٍ ذات حجٍّ
وذلك بعد حجٍّ وعجٍّ ثمّ ثجّ
فيا لك منزلاً قد نزلناه نُرَجّي
به الركب الملاقي لنا من كل فجّ
فلم نظفر بغير التأمل والترجّي
ولكن كان ربي لنا جمعاً مُنَجّي
ورزق الله وافي وقد يأتي برجّ
ولا ينسى إلاهي لعبد كيف حجّي[2]

٣ — من المدينة الى مكة

١ — وادي بني سالم (الروحاء)

الصلاح الصفدي :

نظرت في (و دي بني سالم) لكل لص ظالم غاشم
يسرق كُحْلَ العين من جفنها بجرأة ، من مُقلَة النائم
كم عاطب فيه ، وكم هالك وهو مضافٌ لبني سالم[3]

٢ — الصفراء

هند بنت أُثاثة ترثي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب :

لقد ضمّتِ الصفراءُ مَجْداً وسؤدداً وحِلماً أصيلا ، وافرَ اللبِّ والعَقل

---

(١) درر ص ٤١٦ .

(٢) النابلسي .

(٣) درر ص ٦٠٩ .

عُبَيدَةَ، فابكيه لأضياف ُغرْبةٍ   وأرْملة تهوي لاسغب كالجذل[1]

الصلاح الصفدي :

يا وادي الصُّفراء أذكرتنا   في جِلّقٍ عيشتنا الخَضْرا
فالرَّايةُ البيضاءُ منشورة   اذا ذكرنا وادي الصّفْرا[2]

للصلاح الصفدي :

أتينـا إلى البَدْرِ المنـير محمدٍ   ُنجِـدُ السُّرى،حتى نزلنا على (بَدْر)
فهذا بديعٌ ، ليس في اللفظ مثله   وهذا جناسٌ، ليس في النظم والنثر[3]

٣ — بدر

النابلسي :

أتيت (بَدْراً) قُبَيل الشمس في تَعَبٍ
وضيق نَفَسٍ ، فجاء الله بالفَرَج
والقوم جاؤوا بأنواع الذخائر اذْ
(ُهمْ أهلُ بَدْرٍ،فما يخشون من حرَج)[4]

٤ — رملة عالج

الصلاح الصفدي :

في وسط رملة عالج   عجيبـة أُبينهـا
جبالها التِّبْرُ غدا   بياضُها يشينُهـا
رأيتُ فيها حَيّةً   أشْبهَ لي تكْوينُها
مفتاحَ عاجٍ أبيَضٍ   أسنانُه قُرُونها[5]

---

(١) درر ص ٦٠٨ .
(٢) درر : ص ٦٠٦ .
(٣) درر الفرائد ص ١٤١ والقطبي .
(٤) النابلسي .
(٥) درر ١١٣ .

[رملة عالج : عند الاطلاق يقصد بها الدهناء الواقعة شرق بلاد الجبلين وشمالها (جبلي طيء) ولكن المتأخرين أطلقوا هذا الاسم على رملة تقع بعد (بَدْرٍ) بقربها للمتوجّه إلى مكة] .

٥ ـ قاع البزواء : (البَزْوة)

للصلاح الصفدي :

قد سلكنا القاع المديد الذي أضحـ
ـى مضافاً دون البقاعِ ، لِبَزْوَه
فهو قاعٌ ، لا َنبْتَ فيه تراه
عينُ سارٍ ، وكَـمْ لنا فيه َسرْوَه [١]

[البَزْواء : هي الارض المرتفعة الواقعة بين َبدْرٍ وبين َودّان (مستورة) وقد غيّر المتأخرون هذا الاسم (البزوة) وقد ورد اسم (البزواء) في شعر كثيرٍ َعزّة كثيرا ، إذ هي من منازل قومه] .

وللصلاح الصفدي ايضاً :

مرَرْنا بقاع (البزوة) الأفيح الذي
عليه صريح الذم راح حبيسا
وكانَ به للماءِ َقدْرٌ ، وعِزّةٌ
وكان به قدْرُ الخسيس خسيسا
فسرنا به يومين ، والثالث انقضى
وقد أذهبتْ فيه النفوسُ نفِيسَا
وكمْ َزيْلَعٌ وافَى ، ومُوسَى ِبكفّهِ
لِيَنْحَرَ في وسط المفازة عيسى [٢]

---

(١) درر ٥٥٣ .
(٢) درر ص ٥٥٤ .

٦ ـ ودّان (مستورة)

أكثر من ذكرها نُصيب فقال :

أقول لركبٍ قافلين عشيّةً
قفا ذاتِ أوشالٍ ، ومولاك قاربُ
قِفوا ، خبّروني عن سُليمانَ ، إنني
لمعروفه ، من أهل ودّانِ طالبُ
فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهلُه
ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ(١)

٧ ـ رابغ

أبو عبد الله الفيومي المكي لما مرّ بها :

لمْ أنسَ بالجُحْفةِ يوماً بِهَا عَقْلِيَ من أهوالِهِ زائغُ
يومَ لحوم الخَلْقِ فيه اشْتَوت من حَرِّهِ ، وانقلبَتْ (رابغ)(٢)

[أي صارت غباراً ، فإن رابغ كثير الغبار والسافي ـ رحلة القطبي] .

النابلسي : وقد توفي أخوه في رابغ :

يا أخي ، يا شقيقُ لي في التُّقى خير نابغ
يوسف الشرع كاسف صبغه صُبْغَ صابغ
مع حَذْفِ لِنِصف(١) ماتَ أرِّخ : بِرابغ (٣)

٨ ـ خُليص

للشهاب أحمد بن حَجَلَة :

حثثنا المطايا من خُلَيْصٍ عشيّةً
وطرفي إلى أُفْقِ السّماءِ تردّدا

(١) « درر » ٥٥٤ .
(٢) « درر » ص ٥٥٦ القطبي .
(٣) النابلسي .

ولما بدا فيه الهِلالُ لِناظري
ذكرْتُ جبينَ العامريّةِ إذْ بَدَا

وللصلاّح الصفدي :

يقول سائقُ ركبي وَلاتَ حِينَ مَناصِ
لقَدْ بُلينــا بِدَرْب بطـُولِ يوْمِ القِصاص
فقلتُ: جيءْ بي خـُلـَيْصاً وابشِر بحسن الخلاص[1]

٩ ـ قاع خُلـَيص

قال الصلاح الصفدي ، وقد مَرّتْ عليه ظباءُ خُليص في حالة الإحرام:

فرّتْ ظِباءُ القاعِ قدّامَنَا ونحْنُ بالإحرامِ في هَجْعَهْ
حتى نَجَتْ سالمَةً في الفَضَا ولمْ يكـُنْ فينا لها نَجْعَهْ
قلتُ لهُم : قولوا لها إنْ تكـُنْ ناشِطـَةً تنبتُ إلى الرّجْعَه[2]

١٠ ـ مُدَرّج عُسْفان :

الصلاح الصفدي :

طوينا الفـــلا نَبْغي الوصول لمكـّة
فناحت علينا الوُرْقُ من عَذَبِ البانِ
وكمْ مُدْرَجٍ قـدْ راحَ في كَفَنَ البِـلَى
ليَوْمِ التـّلاقي في مُدَرّج عثمانِ[3]

[تنبيه : كذا جاء في كتاب « الدرر » : مدرج عثمان ، وأراه تصحيفاً ، صوابه : عُسْفان] .

---

(١) « درر » ص ٥٦١ .
(٢) « درر » ص ٥٦٢ .
(٣) « درر » ص ٥٦٤ .

٣

شعر الحطيئة
بروايتي الأثرم وابن السكيت

وفي إحدى زياراتي لمدينة استنبول، قابلت أستاذنا الجليل الاستاذ محمد ابن تاويت الطنجي، فحدثني عن نسخة قيمة من «شعر الحطيئة»، كان استاذنا الخير الزركلي اشتراها من كتبي تركي معروف، حفظ لنفسه عنها صورة

---

١١ - المنحنى (طارف المنحنى):

للشهاب ابن حجلة :

أسيرٌ، ولي شوقٌ إلى أرضِ مكةٍ
له في الحشا والقلبِ مَرسى ومرسَخُ

إذا ما تبدّا لي شامخاتُ جبالِها
فإني على أهل البسيطة أشمخُ[١]

١٢ - ذو طُوَى :

وللشهاب احمد بن حجلة رحمه الله :

ولم أنسَ إذْ وافيتُ مكّة بُكْرَةً
ودمعي من (المِعْلا) بها يتحدّرُ

طويتُ إليها شُقّةَ البيدِ في السُّرى
وأنوارها من (ذي طُوَى) لِيَ تنشرُ[٢]

---

(١) «درر»، ص ٥٦٤ .

(٢) «درر»، ص ٥٦٦ .

أُعجب بها شيخنا الطنجي فنسخها ، ورأى الصورة تنقص صفحات ، فرغب ان أبلغ الاستاذ الزركلي ليتفضل بتصوير الصفحات .

وقد طالعت تلك النسخة فرأيتها على جانب كبير من الجودة ، وها أنا أجمل وصفها :

١ – أصل النسخة :

يظهر ان أصلها من اليمن ، بل لا شك في ذلك ، كما يتبين من هاتين الكتابتين :

١ – في باطن الغلاف :

مما قال الامام يحي بن حمزة[١] مكاتباً أهل بغداد :

يا أهل بغداد ، إن الله يسألكم عن ملة الدين ، إذ ألحدتمُ فيها
أنتم عيون بني الأيام قاطبة في النائبات ، ولكن القذا فيها
أنا ابن احمد، إن فتشت عن نسبي القائد الخيل مكلوماً حواميها

٢ – يوجد في الصفحة الأولى من النسخة اسماء بعض من ملكوها ، ويظهر انهم يمنيون ، ومنهم :

صلاح بن حفظ الله بن احمد سهيل ، ملكها من شرف الدين الحسين بن علي بن محمد بن عامر بن علي الهدوي بالمعاوضة بينهما سنة ١٠٨٢ .

وهذان كما يظهر من اسميهما يمنيان .

٣ – ومن الذين ملكوا النسخة : عيسى بن محمد بن الحسين في رجب سنة ١١٨٤ ، وعيسى هذا ترجمه الشوكاني في البدر الطالع[٢] ، فذكر انه ولد سنة ١١٣٠ وتوفي سنة ١٢٠٧ ، إذن فقد كانت هذه النسخة في اليمن ، وقد بقيت هناك الى ما بعد سنة ١٢٣٨ ، إذ في هذا التاريخ ملكتها الشريفة

---

(١) ولد في صنعاء سنة ٦٦٩ ومات سنة ٧٠٥ في ذمار ، وهو من أجلّة علماء أئمة اليمن [انظر « البدر الطالع » ج ٢/٣٣١] .

(٢) ج ١ ص ٥١٧ .



ثم مضى فيها حتى أتى على آخرها فقال سعيد [illegible] هذا فالعبيد
لبني الأبرص أخو بني أسد قال سعيد [illegible] ثم من قال والله [illegible]
عند [illegible] إذا وضعت إحدى رجلي على الأخرى ثم رفعت
عقيرتي [illegible] في إثر القوافي [illegible] الفصيل الصادر [illegible]
لله أبوك قال أنا الحطيئة فرحب به سعيد ثم قال [illegible]
بكتمانك نفسك منذ الليلة فلما أصبح سعيد كساه حلة وأحسن جائزته
قال الحسين بن شعيب سمعت [illegible] كان عيينة [illegible]
يصنع المعروف [illegible] فأتاه الحطيئة فقال له عيينة يا أبا مليكة
من أشعر الناس قال الذي يقول [illegible] شعر
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
[illegible]

ما [illegible] أبدًا من شعر الحطيئة
في نسخة أخرى والإسناد عن ابن السكيت
وقال الحطيئة ٥
جزى الله خيرًا والجزاء بكفه على خير ما يجزي الرجال بغيضا
[illegible]
[illegible]
كان [illegible]
قال لما قال الحطيئة [illegible] دع المكارم لا ترحل لبغيتها
استعدى عليه الزبرقان [illegible] عمر بن الخطاب فقال عمر [illegible]
المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي قال عمر [illegible]
[illegible] قال أمير المؤمنين [illegible]

[الورقة الـ ١٥٠ و ١٥١ ويلاحظ وجود نقص بينهما]

محصنة بنت عبد الله بن احمد ، من الكتب التي ورثتها عن زوجها عبد الرحمن ابن عيسى في سنة ١٢٣٨ .

وقد تكون انتقلت من اليمن في آخر القرن الثالث عشر أو اول القرن الرابع عشر اثناء ولاية الأتراك الأخيرة لليمن،عندتسرب كثير من مخطوطاته إلى الخارج .

٢ — **وصف النسخة** :

تقع النسخة في مجلد تبلغ صفحاته ٣٢٦ صفحة ، مقاس الصفحة ١٨ × ١١ س.م. (الكتابة) ، مجلدة بجلد مزدان بالنقوش على نمط التجليد المعهود في بلاد اليمن في عهودها الأخيرة .

والشعر يقع في ٣٢٤ صفحة ، في الصفحة احدى عشر سطراً في الغالب ، مكتوبة بخط النسخ الحسن والأبيات مميزة بالخط العريض ، والكلمات جميعها مشكولة ، وفي الهوامش كلمات يسيرة لإيضاح بعض المعاني أو لذكر اختلاف بعض النسخ .

وليس في النسخة ذكر تاريخ كتابتها ، وفي آخرها ما هذا نصه : (وهذا آخر ما وجد من ديوان الحطيئة . كتبه محمد بن عبدالله الآمدي . والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعترته) .

ويظهر من نوع الخط ان النسخة من مخطوطات ما قبل القرن السادس الهجري .

كما يظهر نقص في النسخة بعد إيراد الشعر نقلاً عن نسخة قديمة ، حيث نجد قصة مبتورة في آخر الورقة ال ١٥٠ ، وفي الورقة التي: (تليهاما وجدته زائداً من شعر الحطيئة في نسخة اخرى ، والاسناد عن ابن السكيت) .

ويقول استاذنا العلامة الخير الزركلي: إن بعض هواة المخطوطات يختلسون من أوراقها ما فيه تاريخ تلك المخطوطة ، فلعل ما اختلس او نقص هو من هذا القبيل ، ولا يعدو في رأينا ورقة واحدة .



بسم الله الرحمن الرحيم
قال حدثنا ثابت بن أبي ثابت عن الأكرم قال
حدثنا أبو عبيدة قال لما قدم أبو بكر رحمه الله في
الردة وفد الزبرقان بن بدر بصدقات عوف والأبنا
وكان عرف النبي صلى الله عليه فلما كان في بعض
الطريق رأى الحطيئة وكان الحطيئة أسود اللون
الفم ومتلقا التنفس وهو يعمل في هدم له
بن الزبرقان وبين بني قريع مقارضة ومهاجاة فأراد
أن يستظهر بالحطيئة عليهم فقال له وذلك أنك مضيعة ورائك
وأراك شاعراً فهل لك إلى خير مواساة فقال أود
قال فالحق بسعد حتى آتيك فإنما أؤدي هذه الصدقة

وقال يهجو نفسه
أبت شفتاي اليوم إلا تكلما بشر فلا أدري لمن أنا قائله
أرى لي وجها شوه الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله
وقال
ألم تر أن ذبيانا وعبسا ...
وهذا آخر ما وجد من ديوان الحطيئة

[الصفحتان الاولى والاخيرة من الديوان]

٣ – جامع شعر الحطيئة :

إن هذا الشعر الذي في هذه النسخة يعتبر من أقدم المصادر التي جمعت شعر الحطيئة ومن أشملها ، فقد جمع بين روايتي الأثرم وابن السكيت .

لا نجد في الورقة الأولى اسم الجامع ، ونص ما نجده هو : (الجزء الاول من شعر الحطيئة العبسي ، واسمه جرول بن اوس بن حوية بن مخزوم بن مالك العبسي) . ثم نجد في الصفحة الثانية بعد البسملة ما هذا نصه : (قال حدثنا ثابت بن ابي ثابت عن الأثرم).

وعند استقراء النسخة يتضح انها جمعت بين روايتي الاثرم وابن السكيت، وعندما يرد بيت يرويه احدهما ، ولا يرويه الثاني ، يقول المؤلف هـذا من رواية فلان ولم يَرْوِه فلان .

ويظهر من النسخة أن الاثرم وابن السكيت رويا شعر الحطيئة عن شيوخ متعددين ، والنسخة تبرز رواية كل شيخ ، والراويان هما :

١ – الأثرم :

ابو الحسن علي بن المغيرة الأثرم [توفي سنة ٢٣٢ هـ] .

أخذ عن أبي عبيدة والأصمعي ، وله مع يعقوب بن السكيت قصة طريفة اوردها ابن الأنباري[١] .

٢ – ابن السكيت

ابو يوسف يعقوب بن السكيت [توفي سنة ٢٤٣] .

من شيوخه : ابو عمرو الشيباني والفراء ، وابن الأعرابي .

فالأثرم يرد صراحة بلقبه ، واحياناً بكنيته أبي بكر، وهو يروي الشعر

---

(١) « نزهة الالباء » لابن الأنباري ، ص ١١١ .

عن ابي عمرو بن العلاء ، وابي عبيدة ، وابن الأعرابي والأصمعي ، وقد يروي بقلة عن حماد .

وابن السكيت يتكرر كثيراً ، ويرد بقلـّة بكنيته ابي يوسف،وهو يروي الشعر عن ابي عمرو الأصمعي وابن الأعرابي، ويورد في المعاني نقولاً عن الفراء.

والراويان المذكوران يوردان الشعر مشروحاً ، وينسبان المعاني الى متقدمي اللغويين ، ممن رويا عنهم ومن غيرهم كأبي زيد واليزيدي وغيرهما .

ونجد في النسخة نقولاً عن راوٍ هو خالد بن كلثوم وذلك بقلـّة ، حيث نجد في الورقة الـ ٣٨ : (روى الأصمعي بعد هذا بيتاً لم يورده خالد ولا أبو عمر) ونجد في الورقتين ٤٠ و ٦٥ نقلاً عن خالد في ايضاح بعض المعاني .

أما من جمع الروايتين روايتي الأثرم وابن السكيت ، فالنسخة التي بين ايدينا لا تفصح عنه سوى ما جاء في مقدمتها (قال حدثنا ثابت بن أبي ثابت عن الاثرم) . وثابت هذا هو :

ثابت بن علي بن عبد الله الكوفي من امثل اصحاب أبي عبيد القاسم بن سلام ، لغويّ لقي فصحاء الأعراب وأخذ عنهم، وهو من كبار الكوفيين[1].

ومن مؤلفاته كتاب « خلق الانسان » وقد طبع في الكويت ، بتحقيق صديقنا الاستاذ احمد عبد الستار فرّاج، ونرى انه هو الذي جمع هذا الشعر .

ولا نحب الاطالة في الحديث عن وصف هذه النسخة ، بل نكتفي بايراد مقدمتها وآخر الجزء الثاني منها ، فهي تتكون من جزئين ، أما المقدمة فهذا نصها بعد البسملة :

« قال حدثنا ثابت بن ابي ثابت عن الأثرم قال : حدثنا ابو عبيدة قال : لما قدم ابو بكر رحمه الله في الردّة وَفـَدَ الزبرقان بن بدر فساق صدقات عوف والأبناء ، وكان عريف النبي ﷺ ، فلما كان في بعض الطريق رأى

---

(١) « معجم الأدباء » ج ٢ - ٣٩٦ الطبعة الأولى .

الحُطيئة ، وكان الحطيئة أسود اللسان ، داخل الفم ، وملتقي الشفتين ، في هِدْمٍ له أغبر ، وقد كان بين الزبرقان وبين بني قُريع مقارضة ومهاجاة ، فأراد أن يستظهر بالحطيئة عليهم فقال له : ويلك ! إنك بمضيعةٍ وراءك ، وأراك شاعراً فَلِقاً ، فهل لك إلى خير مواساة ؟ فقال : وَدِدتُ . قال : فالحق ببني سعد حتى آتيك ، فإنما أؤدّي هذه الصدقة إلى ابي بكر ، ثم ألحق بك . قال : عن من أسأل ؟. قال : أُمّ مطلع الشمس ، ثم سَلْ عن الزبرقان بن بَدرٍ ، ثم إيت أمّ شذرَة فقل لها : يقول لك بعلك الزبرقان أحسني إلى ثويّك ، فإنها ستفعل . ففعل الحطيئة ذلك . فلما رآه بنو قُريع قالوا : داهيةٌ ، وإنما يريد أن يستظهر به علينا .

وكان المخبّلُ يغلب الزبرقان في الشعر ، فقال علقمة بن هوذة ، وهو يومئذ سيدهم ، وذو غِناءهم ، لبغيض بن شمّاس [وكان] صعلوكاً مُقِلاً : اذهب إليه فاطعمه ، وآيسه من القوم ، وقل له : لا تعدِلَنّ بالعاجل . وحوّله و وذاك له في مالي ، وكُنْ انت الذي يلي هذا من بني عمّك فاندَسّ له ، فقال له : يا ابا مليكة : جئتَ من بلادك ولا ارى في يدك شيئاً [٣] هل لك إلى خصلة هي خير لك مما أنت فيه ؟ قال : ما هِيَهْ ؟ قال : مائة بعير ، وتحول الينا ، فتضرب خباءك ، فنشكُّ كلّ طنُبٍ منه إلى جلّة برنيّ بجونة ، أي ضخمة ، ونحن ضامنون لما هلك من عيالك أن نديَهُ ، وما مات من مالك أن نُخلِفَهُ ، والعين خيرٌ لك من الضمان؟. قال: ما لِهذا مَتْرِكٌ ، ولكنني أتذممُ من الناس. قال: هاهنا حيلة [تنادي] بالرحيل، فإذا قالت لك : ترحّل وردُّ علي الإبل . فقل لا ترحلي أنت ، وردّي عليّ ففعلوا وفعل ، فتحوّل [١] ، فغدر بهم ، وقال: إنها تركتني وذهبت. فأعطاه علقمة مائة من الإبل ، ووفا له بالجلالِ وكل ما شرط له ، فقدم الزبرقانُ فقال : أينَ جاري ؟ فقالت : خبّب (٤) والله عليك . فنهض في قومه فقال : رُدّوا عليّ جاري فنهضت بنو قُرَيع فقالوا : ما جعله الله

---

(١) في الاصل : فتحوك .

لك بجارٍ . ومنعوه ، وقالوا : تركتموه بمضيَعةٍ فآويناه . فلمـا تحدثْ بعضهم لبعضٍ قال سائر بني عَبسٍ إن هؤلاء الحَمْقى يتفانون في رجل من قوم آخرين فجاؤا فكلموهم بهذا فقال : خَيِّروه ، فإنـه حُرٌ ، وليس لكم عليه سلطان ، فمن اختـار منكم فهو أولى به ، فإن أبى الآخر كنّا معكم عليه . ولم يجد الزبرقان من هذا بُدّاً ، فخُيِّر الحطيئة ، فاختار بني قُريع .

قال : وحدثني محمد بن سلام الجمحيّ عن يونس النحْوي — في هـذا الحديث — قال : قال الحطيئة لما لقِي الزبرقانَ : وددْتُ أني وجدت رجلاً يحملني فأصفِيْه شعري ، وأعيش في ذَراهُ [٥] فاغتنمها الزبرقان بن بدر ، وقال : وأيْن محلُّك ؟ قال : اركب هذه الابل ، ثم استقبل مطلع الشمس وسَلْ عن القمر حتى تأتي منزلي . فرحل الحطيئةُ وامرأته أمامه ، وابنته مُلَيْكَةُ ، حتى نزل بامرأة الزبرقان ، وهي هُنَيْدة بنت صعصعة بن ناجية الُجاشِمي ، وذلك في سنةٍ ، فأكرمته ، وبلغ ذلك بَغيْضاً وإخوته ، وكانوا ينازعون الزبرقانَ الشرف ، ولم يكونوا مُدانِينَ له ، وكان الزبرقان قـد استعلاهم بنفسه ، فعلموا أن الحطيئة سيفضِّلُه في مديحِهِ ، فأتوا الحطيئـة ، فحادثوه ، ولاطفوه ، وأرسلوا الى امرأة الزبرقان : إنّ زوجك قـد تزوج بنت الحطيئة ، وكانت مُلَيْكة ذات جمال ، فظهرت له منها جفوة ، وهي في ذلك تداريه ، ثم إنها أرادت النُّجْعة فأرسلت إليه [٦] قـد حضرت البَداوة فاركب أنتَ وأهلك .

ثم رجع الحديث إلى حديث أبي عبيدة .

قال يهجو الزبرقان بقصيدة يقول فيها :

دع المكارمَ ، لا ترحلْ لبغيتها ... واقعُد ، فإنك انت الطاعِمُ الكاسي

وقدم على عمر فاستعدى عليه الزبرقان فقال عمر : ما أراه قال لك بأساً ، اقعد فانك أنت الطاعم الكاسي ، قال : إسأل ابنَ الفرَيعة[1] : حسّان بن ثابت فإن لم يكن هجاني فلا سبيل لي عليه . فسأل حسان فقال : هجاه

(١) في الاصل القُريعة .

وأقبح به ، وسلح عليه !. فأمر بـه فحُبِس ، وكانت السجون أهْويّ . وأول من جلعها[1] بناه علي بن أبي طالب – كرّم الله وجهـه – بنا سجناً بالكوفة فسماه نافعاً ، وبنا سجناً فسماه المخَيّس [٧] ويقال: مُخَيِّس، وقال في ذلك :

كيف تراني كيّساً مُكَيِّسا   بَنَيتُ بعد نافع مُخَيِّسا

فلما طال به الحبس قال :

مـــاذا تقول لأفراخ بذي طلح   زُغْبِ الحواصِلِ،لا ماءٌ ولا شجر

روى ابو عمرو : بذي مَرَخ حمر الحوامل ، ومَرَخ : اسم موضع .

ألقيت كاسبهم في قَعْرِ مُظلمةٍ   فاغفر،عليك سلام الله ، يا عُمَرُ

وروي : فامنن عليه هداك الله يا عمر .

ويروى : غيبت كاسبهم .

أنت الأمين الذي من بعد صاحبه   ألقى إليك مقاليد النهى البَشَرُ
ما آثروك بهـــا إذ قدّموك لها   لكن لأنفسهـم كانت بك الإِثَرُ

الإثر : جمع إثرة .

وروى أبو عمرو :

لم يؤثروك بها ، إذ قدموك لها   لكن لأنفسهم كانت بها الخِيَرُ

والإثر : قال أبو عبيدة [٩] : أثرة وأثر ؛ مثل قصبة وقصب ، وإثرة وإثرُ .

أنت الموفّق والمتبوع سُنّتهُ   بعد النبيّ، فداك السمع والبَصَرُ

فأخرجه ، ونهاه أن يهجو أحدا .

---

(١) في الهامش بخط حديث : جعلها .

وقال أبو عمرو الشيباني : كان الحطيئة رجلاً مِملاقاً – أي فقيرا – ولم يكن يقتني المال ، ولا يحسن امساكه ، ولا يسأل الناس إلحافاً ، كان يأتي الرجل فيسلم عليه ، فقدم المدينة أول خلافة عمر بن الخطاب ، ومعه امرأتان له ، وبنون صغار ، وقد نُزِلت الكوفة ، فأراد أن يقدمها فيسأل من بها من قومه ، فلقيه الزبرقان بن بدر ، وهو يؤدّي من صدقات قومه ، فلما رآه الزبرقان عرفه ، ولم يعرفه الحطيئة . فقال أيْنَ أراد الرجل ؟ قال : أردت العراق [١٠] ، فإن السنين حطّتنا . قال : هل لك في لبن وتمر ؟: قال : ذالِك العيش . فكتب له إلى امرأته ، ولم يُسمِّه لها : أن أقري هذا الرجل وأهل بيته ، حتى اقدم عليك . وأقام الزبرقان عند عمر بن الخطاب ، وكان جليداً غنيّاً ، وكان الحطيئة دميما ، سيء الحال والهيئة . فلما قدم الحطيئة على امرأة الزبرقان جفته ، ولم تدْر مَنْ هو . ثم إن الزبرقان قدم ، فلم يلبث الا قليلاً ، حتى تحوّل من ذلك المنزل فقال للحطيئة : إن شئت أن نبدأ بك فننقلك واهلك فنضعهم في الدار ، ثم نأتيكم بَعْدُ ، فعلت ، وإن شئت أن نتحمّل ، فإذا عرفت منزلنا ومكاننا رددنا إليك فتحمّلت ، قال الحطيئة : ارتحلوا فإذا نزلتم رددتم الركاب ، فنزلت عليكم ، ففعل ذلك [١١] الزبرقان ، فاهتبلتْ ذالك بنو قُريع – أي اغتنمت – وكانوا يحسدونه ، فأتاه بغيض وهو في الدار ، ينتظر ركاب الزبرقان أن تأتيه فقال : يا حطيئة ! هل لك في أن تنتقل إليّ فأحبوك وأعطيك ، وأضمن لك مالك من الدّهْر ، فأيُّما بعير هلك فلك اثنان مكانه ، وأيُّما شاةٍ هلكتْ فلك شاتان مكانها ؟!. فطمع في ذلك الحطيئة ، فأتبعه ، فحمله بغيض ، فأنزله عليه ، وردّ الركاب الزبرقانُ الى الحطيئة ، فوجده قد انتقل إلى بغيض ، فأتاه الزبرقان فقال : ما حملك على جاري يا بغيض ؟! قال : اختارني . قال : أكذاك يا حطيئة؟ قال : نعم . قال : وما حملك على ذلك ؟! أريت أمراً تكرهه ؟! قال : لا . فانصرف عنه الزبرقان ، ثم خاصمهم إلى [١٢] عمر بن الخطاب . فقال عمر : أقيموه بين الحيَّيْن ، ثم ليدْعُهُ الحيّانِ جميعاً ، فأين ذهب فهو أحقّ به ، ففعلوا فاختار بغيضا ، فأنشأ الحطيئة ينطق بالزبرقان الأشعار .

قال : وحدثني محمد بن سلام الجمحي عن يونس النحوي قال : وَضمّ اليه الزبرقانُ دِثاراً أحد ازد السّراة ، من النمر بن عثمان ، فكان يمدحه ، ويذم بني قرَيـع ، ويزعم أنه كان جارهم فأخفروه ، فقال في قصيدة له :

من يكُ سائِــلاً عني فإني أنا النـّمريّ جارُ الزبرقان
أتيت الزبرِقان فلم يَدعْني وضيّعني بقوٍ ، من دعاني

وقال في أخرى :

باتت توامرني عرسي فقلت لها : ما كنت أول فيْ القرعان من عَتَبا
[١٣] إن يُنجِك الله من لأيٍ وتتخذي في الأكرمين ، بني بَدْرٍ لنا سَبَبا
فقد علِقْتِ بحبلٍ غير مُنْجَذم وقد أمِنت عليكِ الجوعَ والحَرَبا

قال : وانصرف الحطيئـــة ودثار إلى قومهما ، ولج الهجاء بين المخبّل القريعي وبين الزبرقان بن بدر البهدلي ، فتهاجيا دهرا ، ثم اصطلحا ، وكانوا في عداوتهم مجملين .

وحدثنا محمد بن سلام قال : حدثني حنظلة بن شهـلان السعدي ثم المالكي قال : كان الزبرقان يدخل المسجد الجامع يوم الجمعة فيقول : السلام عليكم . فقيل له : يا أبا العباس ! إن هؤلاء أكثر من أن تسلم عليهم . فقال : يدخل مثلي على مثل هذه الجماعة ولا يسلم عليهم ؟

وحدثنا محمد بن سلام قال: أصابت الناس سنة، فمرّ ابن لبغيض بالزبرقان ابن بدر [١٥] فقال : كيف أصبحت يا أبا العباس ؟! قال: أصبحتُ، والله، كما يَسُرُّ أباك ، مُحِيْلاً مُجْرِباً ، فرجع الفتى إلى أبيه فأخبره . فقالت له امرأته : اغتنمها منه ! فبعث اليه براوية هِناءٍ ، وبفحْل إبله .

وقال الحطيئة ــ واسمه جَرْول ــ بن أوس ، بن جُوَيّة بن مخزوم ، بن مالك بن قُطَيْعة بن عبْس بن بغيض بن رَيْثٍ بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن الياس بن مضر بن نزار ، يهجو الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن

خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بنزيد مناة بن تميم، واسمه حُصَين، وإنما سمّي الزبرقان لجماله ، شبّه بالقمر ، وهو الزبرقان . قال أبو بكر : الزبرقان دارة القمر ، وهي الهالة[1] أيضاً .

ويمدح بغيض بن شمّاس بن لأي .

[١٦] قال ابن السكيت : وتصير حطيئة تصغير حطأة ، وقد حطأه : إذا ضرب به الأرض .

وكان يكنى أبا مليكة :

طافتْ أُمامة بالركبان آونة يا حسنه من قوام ما، وما انتقبا

قال أبو يوسف : يقال طاف يطوف ، وهو من الطيف .

قال ابو عمر والأصمعي : طافت من طيف الخيال ، ألا تراه قال : يطيف واحتج بالطيف .

وأنشد الأصمعي :

أنـّى ألـَمّ بك الخيال يَطِيفُ ومطافـُه لك ذكرةٌ وشعوف

قال اليزيدي وأبو زيد : يقال طاف الخيال يطوف . وإنما الطيف تخفيف طَيّفٍ ، كما قال : ميْتٌ ، لتخفيف ميّتٍ ، وهو من مات يموت .

والركبان : أصحاب الإبل ، إذا قيل : مرّ بنا راكب ، فإنها يُعنى به راكب البعير [١٧] خاصة ، فإذا كان على حافر ، فرساً كان أو بِرْذونا قيل : مرّ بنا فارس . قال الكلابي : وكذلك إذا كان على حمار .

آونـَة : مراراً ، واحدها : أوان . وحكى الفـَرّاء عن أبي خالد : هذا إوان ذلك — بالكسر —

وقوله : يا حسنه : لفظة دعاءٍ ، وهو تعجّبٌ ، كما تقول : يا بَرْدَها على

---

(١) في النسخة : الهلالة .

الكبد . أي ما أبردها . قال : وسمعت الأصمعي يقول : قيل لأعرابي هل في الجنة تَمْرٌ ؟! قال : يا تَمْراه !! أي ما اكثره ، وأنشد :

يا رِيَّها اليوم على مُبِينِ   على مُبِينٍ ، جَرَدِ القصيمِ

وقوله : من قوام . أراد يا حسنه قَواماً ومُنْتَقِبا ، و (ما) صِلَةٌ ، ويقال : امرأة حسنة القوام ، أي القامة ، ويقال : امرأة حسنة موقف الراكب : يعنون ما ظهر منها .

[١٨] قال الأثرم : روى ابن الأعرابي : ثم منتقبا .

وقوله : آونة : جمع إوانٍ ، أي بعد ساعة من الليل و (ما) صلة ، وإنما يريد أنه طرقه خيالها .

وقوله : يا حسنه من قوام . أي ما أحسنه من قوام . كما تقول: يا حسنه من رجل و ويا حسنها من امرأة .

وقال غيره : يا حسنه قواماً ومنتقبا كقولك : يا حسنه وجهاً ، والمنتقب موضع النقاب .

آونة : مراراً ، الواحد أوان .

ويقال : من خيال زاره . ويقال : آوِنهُ : أحيانٍ .

مبين : ماء إما لغني ، وإما لبني نمير . والقصيم : مكان .

إذ تستبيك بمصقولٍ عوارضُه   حَمْش اللِثاتِ ، ترى في غربه شنبا

ابن السكيت : قال الأصمعي : الشنب : برد الأسنان وعذوبتها .

قال : وانشدنا : شنباء الأحاديث مكسالُ .

[٢٠] وأنشد : لشنباء اللثات شموع — أي لعوب — والشمعة : المزاح .

قال : وقال أبو عمرو : الشنب حِدّةٌ في الأنياب ، ويكون فيها طول على سائر الأسنان .

تستبيك : تذهب بعقلك . ويقال: سباه السيل : أي احتمله ، فجاء بــه

من أرض الى أرض . ويقال في غير هذا : سبأت الخمر ، إذا اشتريتها .

وقوله : بمصقول عوارضه : أي بثغر مصقول . والعوارض الاسنان التي بعد الانياب .

قال أبو عبيدة : العوارض : ما خلف الأنياب .

وقال أبو عمرو : والعوارض الرّباعيات والأنياب .

والحَمْش : أي قليـــل لحم اللِّثَاثِ . ويقال : ساقٌ حَمْشَةٌ بينة الحموشة .

وغَرْبُهُ : حدُّه ، وكذلك غَرْبُ اللسان حدُّه [١٩] ويقال : في لسان فلانٍ غَرب .

أشْرَمُ : قال ابن الأعرابي : تستبيك ، وتسبيك : واحدٌ .

بمصقول : بثغر قد صقلته بالمسواك. والعوارض الأسنان التي بعد الرباعيات والأنياب ، وبها سُمّيَ العارضانِ .

حَمْش اللِّثَاتِ : أي قليلة لحم اللِّثَةِ ، والحموشة الدّقّة في كل شيء.

والغرب حِدّة الأنياب ، وماؤها .

والشنب البَرْد) .

هذا هو أول النسخة نقلناه بنصه، وأشرنا إلى ابتداء الصفحات بأرقامها :

ثم نحصل إلى الصفحة الثانية من الورقة الـ ٨٥ ، فنجد :

(تم الجزء الأول بحمد الله ، يتلوه في الثاني : وقـــال الحطيئة أيضاً ، يمدح بني قُريع ويهجو الزبرقان بن بدر. الجزء الثاني من شعر الحطيئة العبسي واسمه جرول بن أوس بن حويه ، بسم الله الرحمن الرحيم).

وفي الصفحة ٨٦ : (وقال الحطيئة أيضاً : يمدح بني قريع ويهجو الزبرقان ابن بدر :

ألا أبلغ بني عوف بن كعب ... فهلْ قوم عَلى خُلـُقٍ سواءُ

ثم نجد في الورقة الـ ١٤٩ :

قال أبو بكر : سمعت الباهلي يقول : قـــال الأصمعي : قيل للحطيئة أوْصِه ! قال : ابلغوا آل الشماخ انه أشعر العرب . قالوا : اتق الله وأوصه. قال : مالي للذكران دون الأثاث ، قالوا : اتق الله واوصه ، فإن ذلك لا يرد عليك شيئاً ، فأنشأ يقول :

قد كنت أحياناً شديد المعتمد   قد كنت أحياناً على الخصم الألد
قـــد وردتْ نفســـي ومـــا كـــادت تـــرد

قالوا: اتق الله يا أبا مليكة واوصه. قال : أوصيكم بالشعر، ثم أنشأ يقول:

الشعر صعب وطويل سلمه   إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه

[١٤٩ ب] :

والشعر لا يستطيعه من يظلمه   يريد أن يعربه فيعجمه
ولم يزل من حيث يأتي يخرمُهْ   من يسم الأعداء يبق ميسمه

وروى الأصمعي : الأعداء ، يقول من يسمه الاعداء يتق ميسمه عليه .

قال يعقوب بن شعيب : أخبرنا الضبي عن أبي المنذر هشام بن محمـــد بن السايب عن أبيه ، قال حدثنا خالد بن سعيد عن أبيه قال : كان سعيد بن العاص على المدينة ، فكان يغدي الناس ويعشيهم ، وكان يحضر عشاءَه أشراف الناس وأهل سمره ، فإذا تعشوا خفوا إلا ُحدّاثه وسُمّاره ، فأقبل الحطيئة عشية وقد ُرفعت الستور والناس يدخلون ، فقعد في ناحية من البساط ، فلما فرغوا من عشائِهم قال الآذِنُ : ليخرج إلا من كان من أهل السَّمر ، فخرجوا وأزر الحطيئة فلم يخرج . وكان رجلاً قبيح الوجه ، دنس الثياب بَذّ الهيئة ، شيخاً كبيراً ، فانتهت اليـــه الشرطة ليقيموه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سعيد التفاتة وهم ينازعونه ، فقال دعوه ، وهم لا [١٥٠] يعرفونه ، فأفاض أهـــل المجلس في أحاديث العرب وأشعارهم ، والحطيئة ساكت لا ينطق ،

فلما أكثروا قال الحطيئة : والله ما أصبتم جيد الشعر ، ولا شاعر العرب . فقال سعيد: هل عندك علم من ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرالعرب؟ قال : الذي يقول :

لا أعد الاقتار عدما ولكن فقد من قد رُزئته الاعدامُ

فأنشدها حتى أتى عليها ، فزحف سعيد عن مجلسه ، وجلس إلى جانبه وقال : أحسنت أحسنت من يقولها لله انت ؟ قال: ابو دواد الايادي . فجعل سعيد يضرب بيده على ظهره ويقول : زِدْنا ، فقال : وهو الذي يقول :

لا مهاذِير في النـّديّ ولا يَنفكُّ فيهم من المخافة جارُ

ثم مضى فيها حتى أتى على آخرها فقال سعيد : من يقول هذا ؟ قال : أبو دواد. فقال : ثم من ؟ قال: الذي يقول :

افلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الاريب .

[١٥٠ب] ثم مضى فيها حتى اتى على آخرها فقال سعيد : ومن الذي يقول هذا ؟ قال : عبيد بن الابرص أخو بني أسد . قال سعيد : ويحك ثم من ؟ قال : والله لحَسْبك بي عند رغبة أو رهبة إذا وضعت إحدى رجليّ على الاخرى ، ثم رفعت عقيرتي فعويت في أثر القوافي كما يعوي الفصيل الصادر . قال : ومن انت لله ابوك ؟ قال أنا الحطيئة فرحب به سعيد . ثم قال : وابيك لقد اسأت بكتمانك نفسك هذه الليلة . فلما اصبح سعيد كساه وحمله وأحسن جائِزته . قال الحسين بن شعيب : سمعت ابن الاعرابي يقول : كان عيينة البكري يصنع المعروف الى غير اهله فأتاه الحطيئة فقال له عيينة : يا أبا ملكية من أشعر الناس قال الذي يقول :

ومن يصنع المعروف من دون عرضه يَفِرْهُ ، ومن لم يتق الشتمَ يُشتَم

فقال له عيينةهذه والله إحدى عقاربك! ثم قال : يا أبا مليكةإن لي اليك ثم تنتهي الورقة [١٥١] .

في نسخة اخرى ما وجدته زايداً من شعر الحطيئة : والاسناد عن ابن السكيت .

وقال الحطيئة :

جزا الله خيراً والجزاء بكفه على خير ما يجزى الرجال بغيضا

فلو شاء إذ جئناه صد فلم يُلمّم وصادف منـا في البلاد عريضا
تداركنا حتى استقامت قناتنـا فمشنا والقينـا اليـه جريضا
وكان كذات العش جادت بمشهـا لأفرخهـا ، حتى أطقن نهوضا

قال : لما قال الحطيئة قصيدته التي فيها :

دع المكارم لا تدخل لبغيتها .

استعدى عليه الزبرقان الى عمر بن الخطاب فقال عمر ماذا قال لك؟ قال :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي

قال عمر : ما أراه قال لك بأسا .قال : يا أمير المؤمنين ابعث الي حسان فسله فبعث الي حسان فسئل [١٥١ب] عن هذا البيت فقال : مـا هجاه ولكنه سلح عليه فأمر بـه فيجعل في نقير من الأرض . وكان عمر وعثمان أشد شيء على الأعراب كانا يجعلانهم في نقير من الأرض ثم يجعلان عليهم الخصف فلما وقع الحطيئة فيها قال لعمر :

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ .

قال : فاخرجه عمر وقال للحطيئة أتراك عائدا ؟ قال : لا. فقال له عمر: لا تقل الشعر قال : انها نملة تدب على لساني وهي معيشة عيالي فقال عمر : ان كنت لا بد فاعلا فاذكر المياه والطلول وشبب باهلك ، واياك وكل مدحـة مجحفة قال : يا أمير المؤمنين : وما المدحة المجحفة ، قـال : ان لا تقول بنو فلان خير من بني فلان . قال : انت والله يا أمير المؤمنين اشعر مني . وخلا سبيله فقال الحطيئة يمدح عمر بن الخطاب :

نأتك أمامة ، إلا سؤالا وأبصرتَ منها بغيبٍ خيالا

– ثم القصيدة المعروفة – وقصائد أخرى وكلها في ١٢ ورقة ، والأخيرة منها في صفحتها الأخيرة كتابات لا صلة لها بموضوع شعر الحطيئـة ، وهي حديثة الخط .

كما ان الورقة الاولى وهي تحوي صفحة من الكتاب كتبت بخط حديث بالنسبة لخط النسخة .

الدر المنتثر

في

رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر

[كرم استاذنا الجليل عباس العزاوي فأتحف مجلة «العرب» بنسخة من كتاب « الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر » ثم اضاف الى كرمه بأن أتحف قراء العرب بهذا المقال ، في نقد ذلك الكتاب ، وهو نقد — وان كنا نخالف استاذنا في مواضيع منه تتعلق بعلماء وأدباء نجلهم ، ونحمل لهم في نفوسنا تقديراً واحتراماً ، اعترافاً بفضلهم ، ولكن ذلك لا يحول بيننا وبين إفساح المجال في « مجلة العرب » لنشر مختلف الأراء ، حول الموضوعات التي تعنى بها هذه المجلة ، لأي كاتب كان ، فكما نشرت هذا المقال ، فإنها ترحب بكل ما يكتب حوله مما فيه فائدة للقراء ، وتحريك لحوافز النقد ، التي ادركها الهمود والخمود في ايامنا هذه بسبب انصراف كثير من الكتاب والباحثين عما ينشر من تراثنا .

ان تقديرنا لأستاذنا العزاوي حملنا على نشر مقاله على علاته ، وإن معرفتنا لمنزلة من قد تعرض لهم المقال بالنقد — من العلم تحملنا على أن ننظر الى هذا المقال نظرة نريد من ورائها ابداء آرائهم للقراء ، بافساح مجال النشر لهم ، ثم ان الغاية العظمى من كل ذلك الوصول الى الحقيقة من اقرب الطرق وأصوبها] .

ايهـــا القانص ما احسنت صيد الظبيات
فاتك السرب وما زودت غير الحسرات

ان الاستاذ الحـــاج علي علاء الدين الالوسي من اكابر المدرسين والعلماء المحققين في بغداد ، أخذ العلم عن افاضل العلماء في بغداد ومن مدرسة النواب

في استنبول سنه ١٣١٠ هـ – ١٨٩٢ م ، وبعدها تولى مهمة القضاء في الوية عديدة . ثم قام بأمر التدريس بعد والده المرحوم السيد نعمان خير الدين الالوسي في مدرسة مرجان في بغداد . وكان يحاسب طلابه على الهفوة والغلطة ، وقصده التمرين على الصواب ، ليصلح الغلط . وان احياء أثره « الدر المنتثر » من أجل ما نتطلع اليه في (تاريخ الأدب العربي) .

ومن المؤسف انه لم يودع الى خبير ماهر عارف بقيمة الأثر ولا الى محققين في وجوه تحقيقه ، وكنا نأمل ان يقوم باحيائه من له من الكفاية التامة ما يؤهله للتحقيق ويستطيع ان يقوم بتقدير قيمة الموضوع ، وهو متسلح بالعلوم الادبية والتاريخية ، فيتمكن من المهمة ، ولكن خاب الظن ، وحرم من التحقيق فكثرة اغلاطه ، وقصر فيه أمر التحقيق ، فطفحت سقطاته من جهة ، وفقد الخبرة والعناية في التوجيه في غالب ما طرقه .

وأستاذنا الالوسي محقق في هذه المهمات ، فظهر كتابه لا يمثل المطلوب ولا يتناسب وثقافته العلمية والادبية ، وان نشره بهذه الحالة دعاية سيئة ، واخلال فيه ، ويجلب النقمة ويؤدي الى سوء السمعة في الادب العربي في العراق ، وفي خارجه ، فلم يكن صافي الاديم ، عذب المنهل . ولو كان اودع الى خبير وافر الخبرة ، أهل لها من الوجوه اللغوية والأدبية والعلمية والتاريخية لنبه على الاغلاط التاريخية وعلى النقص من وجوهه ، وأعاده الخبير الى محققين أهل كفاية ، أو لما قبله منهم ولا صادق على نشره .

ومن المهم الاشارة الى ان الكتاب قد كتب في اوقات مختلفة ، وأوراق متناثرة بأمل أن يجمعه ويقوم باكماله اذا تم ، فحال المرض ، وفاجأت المنية دون المراد على الوجه المرغوب فيه فضمت أوراقه بعد وفاته ودون معاودة النظر فيه ، فصار لا يخلو من نقص وأذكر أني رأيت ورقة في ترجمة (السيد صبغة الله الحيدري) ولكن لم يعثر عليها بين أوراقه . وعندي بعض الاوراق مما لم تدخل في الكتاب وفاتت جامعه ، فلم يلتفت التحقيق الى النقص المشهود . وكان الأولى ان يكملا النقص باضافات خارج الكتاب مع الاشارة الى انها مضافة .

ومع هذا ابتلى الكتاب بأمر أعظم ، وأبدى المحققان العجز عن المعرفة صراحة ، ولم يتحاشيا ، فدعــا ذلك أن يفقد الكتاب الكثير من المزايا ، ولكن المحققين استغلا أمراً خارجاً عن موضوع الكتاب ، وحاولا أن يمدحا نفسيهما من جهة ، ومن يمت اليهما بصلة من جهة أخرى ، وأن يلهجـا بذكر استاذهما محمد بهجة الأثري ، وأن يقولا أنه من تلاميذ الآلوسيين، مع العلم أنه لم يسبق أن تتلمذ على واحد منهم . فالقول أنــه لولا الاستاذ الاثري لاندثر ذكر أبي الثناء . فهذا محض الغلط ، فإن آثار الالوسي موجودة ، فهو حي بها ، دائماً بحياتها ، وماذا كتب الاستاذ الاثري غير السجع الجاف والتزويق بألفاظ فارغة ، وعبارات سمجة ، وفي كل هذه لم يذكر عن نهجه العلمي ، والتاريخي ، والأدبي ، والعقائدي ، والصوفي ، وما تعرّض له في تفسيره من مطالب ، في حين انه كان الاستاذ عبد الفتاح الشوّاف كتب في حياته (كتاب حديقة الورود) كما كتب آخر باسم (كتاب الند والعود) نشر في أول تفسيره المطبوع ، وان الاستاذ بطرس البستاني ترجمه في دائرة المعارف بقلم الاستاذ نجله السيد نعمان خير الدين ، وتوالت البحوث في حياته وبعد مماته .

وهنا أودّ أن أطلع القارىء إلى أمر كان المحققان في غنى عن ارتكابه : سرقا من (كتابي ذكرى أبي الثناء) ، ونسبا ذلـك المسروق إلى الاستاذ ابي الثنـــاء ، ولم يتحرجا ، مع ان الكتاب متداول في الأسواق ، بعنوان (اقتباس من نثره وشعره) :

وإنشاؤه في أول أمره يغلب عليه السجع دائما . وانما ترسل، وترك عنان قلمه يجري على طبيعته (الى ان قال) وندم على التزامه للسجع ... إلى آخر ما قالا. ومن رجع إلى كتابي « ذكرى أبي الثناء » علم أن أسباب ترك السجع كان لضرورة . وبيّن أن أهل بغداد لا يرتضون ذلك ، وإنمـا دعت ذلك ضرورة المخاطبة . أخذا عني ذلك ، فلم يحسنا الأخذ ، فصدفا عن الغرض ، وأفسدا المعنى المراد ، واسترسلا في القول ، ولم يتورّعا ؛ وقالا :

ويقول (يريدان الألوسي ، مع أن هذا القول هو قولي) .

وعلى كل حال ، ان مراعاة مقتضى الحال ضرورية ، والسجع لطيفة ، (كذا قالا ، وصوابها : لطبقة) خاصة . والافهام لازم في حالات ، فلكل واحد محله ، وأصل ذلك ان نقول ما يفهم ، وخلاف ذلك عجز ، وهو في الكلام غير مبين ، وفي الفائق للزمخشري: لزوم الخطاب بما يفهم ، ولا نركن إلى لسان الحال في مثل قوله :

« غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني[1] »

نقلاها باسم أبي الثناء ، دون تحاشٍ ، وأخذاها من« ذكرى أبي الثناء »، ولم يصرحا بالنقل كما تقتضيه أمانة النقل .

ولقد صدق المتنبي في قوله :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال : عظيم القدر مقصود!!

وفي آثار أبي الثناء ، نقلا عني من « ذكرى ابي الثناء » تقاريظ التفسير، وبينّا في صفحة ٢٨ أن ممن قرظه(السيد ابراهيم بكتاش زاده من آل اليتيم)، ولم يسبق له ذكر من غيري ، فأخذاه دون تصريح ، مع اني ذكرته سهواً ، وأملي ان اصحح العبارة في الطبعة الجديدة « لذكرى ابي الثناء » ، ففضحهما ذلك .

وهمّ التحقيق وغايته دعاية للمحققين ان يتبجّحا ، ويذكر احدهماأسرته، وصلته بالألوسيين ، والآخر ان يذكر أقاربه من الجبور المتصوفين ، وأمر آخر أن يعلنا ما أراد استاذهما اعلانه عن نفسه ، في حين أن الالوسيين مؤلفاتهم معروفة. وهي صفحة كاشفة عن حياتهم العلمية والأدبية ، فلا خوف عليها من الضياع أو التحريف أو التبديل .

والمحل ليس محل حساب ، وإلا فضحت نوايا كثيرة لأبطال دعوات :

« أنا ابن َبجْدتها ، علما وتجربة فسل بسعد تجدني أعلم الناس »

---

(١) ذكرى ابي الثناء الالوسي ص ٦٥ طبع ببغداد سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

هذا ، ولا يهمني أن يتصل احدهما بألوس ، أو ببعض شيوخ الطريقة من الجبور او باستاذهما محمد بهجة الأثري مما هو خارج الموضوع . وإنما يهمني أن أوضح ما لحق الكتاب من غلط ، وما يوجه له من نقد في النقص وخلوه من التحقيق الأدبي والتاريخي ، وسأذكر ما فات من توضيحات علمية .

والغلط واضح في كتاب « دقائق التفسير » نسب إلى أبي الثناء الألوسي وكان قد أكد لي الاستاذ ابراهيم الواعظ ، رحمه الله تعالى ، وكذا الاستاذ السيد منير القاضي أن مؤلفه معلوم ومذكور في آخر الكتاب ، فلم يكن للاستاذ ابي الثناء ، وإنما جاء سهواً ممن حقق « كتاب غرائب الاغتراب » في أنه له . فأدخله بين مؤلفاته لاعتقاده انه منها ، وكفى أن نعرف له تفسيره « روح المعاني » .

ولنرجع إلى مطالب « الدر المنتثر » فنقول :

١ — في ترجمة محمد امين السويدي :

أورد ترجمته الاستاد الحاج علي علاء الدين الألوسي ، ثم ذكر المحققان ترجمة أخرى في الهامش . وفي هذا تكرار لا معنى له . ولا اعتقد أن ذلك لإبداء القدرة أو المعرفة ، وكان الأولى أن يعلقا ما فات ، ويشيرا الى المراجع فيما أغفل ، وأن يصححا ما وقع من سهو ، وبذلك يسلمان من التكرار . وكان هذا شأنهما في غالب التراجم أمثال هذه ، فكان قد داخله التكرار . ومع هذا قد غلطا في (ولادة المترجم) محمد أمين السويدي ، وبينا أن ولادته كانت في أواخر المائة بعد الألف ، في حين ان الشيخ عبد الله جد السويدي الموما اليه ولد سنة ١١٠٤ هـ ١٦٩٢ م ، أي بعد ذلك ، وهذا مما يكذبه ظاهر الحال ، فكيف الجد يولد بعد الحفيد ؟ فالوهم صريح وفاضح ، أو كتبا بلا تفكير .

وذكرا بين كتب المترجم كتاب « السهم الصائب في الرّد على الاثني عشرية » ص ٨٩ وهذا غلط صريح . فالسهم الصائب لم يكن رداً على الاثني عشرية . ومن مراجعة النسخة التي بخط الاستاذ نجد فيها ما لفظه :

« السهم الصائب في الرد على من ردّ على الشيخ خالد عليه الرحمة » ا هـ

وهو الأولى والألصق بالموضوع . ولم يكن رداً على الاثني عشرية كما قال المحققان . وكان في امكانهما أن يرجعا إلى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد برقم ٦٨٢٧ ، وبهذا يتحقق أن موضوعه غير ما ذكرا . ونسخة اخرى منه في مكتبة الأوقاف برقم ٢٣ / ١٣٨٤٣ وكتبت باسم « دفع الظلوم عن الوقوع في عرض هـذا المظلوم » . وهو عين « السهم الصائب » . وقـد غلط الاستاذ عبد الله الجبوري وتابعه الاستاذ جمال الدين الالوسي . وجعله كتاباً آخر ، وأنه ألف بعد سابقه بسنة . وهذا غير صحيح والكتاب عين سابقه . ولهذا الكتاب اسم ثالث أيضاً وهو « القول الصواب في رد ما سمي بتحرير الخطاب » ، فالتبس الأمر على الجبوري فحرم التحقيق ، ولو راجعه لتبين له غلط قوله . والمفروض أنه يعرف الكتب ، ولكنه وقف . ومن هذا الكتاب نسخة في خزانة أسعد أفندي باستنبول .

٢ — في ترجمة اسماعيل الموصلي مدرس جامع الصياغ :

جاء في صفحة ٩٣ من كتاب « الدر المنتثر » المطبوع : (وأخذ فيها الطريقة النقشبندية وواظب على أداء فرائضها ... » ا هـ . بترجيح هذا على قوله (على أداء وظائفها) ، كما في نسخة الآثار ومخطوطتي وهذا يخالف مجاري التصوف ولو عرفا ذلك لما عدلا عن الصواب ورجحا غيره ، لأن الطريقة كل أعمالها (وظائف) مندوبة ونوافل مستحبة . أو طاعات فلا يقال (فرائضها) . وبهذا لم يفرقا بين الفرائض ، والمندوبات أو المستحبات ، أو الطاعـات لأن الشرع في فرائضه واجب الأداء على كل المسلمين . وباقي الأعمـال نوافل ووظائف مستحبة أو مسنونة ، فلا يجبر عليها أرباب التصوف في الطريقـة النقشبندية أو غيرها . ولذا سمّى (غـلاة التصوف) الفرائض الشرعيـة بـ (الرسوم) وأهلها قيل لهم (أهل الرسوم) فندد بهم علمـاء الاسلام ، وسموهم (أرباب رفع التكاليف) .

والشيخ خالد رحمه الله تعالى كان مواظباً على الفرائض من العبـادات

والطاعات الاخرى ، ويأمر بالتزامها والمثابرة عليها . ودام على ذلك الى أن توفي . فالفرائض مطلوبة من كل مسلم لا من أرباب الطريقة وحدهم وهذه المفروضات ليست مقصورة على النقشبندية أو غيرها . وجاء في مخطوطتي بخط استاذنا « على أداء وظائفها » وهي نوافل مستحبة وأعمال مسنونةأو مرغوب فيها . فالمحققان لم يفرقا بين المفروض والموظف المندوب أو المستحب . وان الاستاذ الالوسي استعمل في كتابه هذا « الدر المنتثر » في ترجمة حسن بك الكوله منذ: لفظ الطاعات لغير الفرائض ، وللفرائض لما هو واجب ملتزم . راجع ص ١٧٦ .

٣ — في ترجمة ابن مشرف الشاعر :

وجاء اسمه الشيخ احمد بن علي بن شرف الشاعر كذا في النسخة المطبوعة وصوابه « ابن مُشَرَّف » جاء ذلك في نسخة الاستاذ الالوسي الأصلية بخطه، وكذا في « تاريخ نجد » لابراهيم بن صالح بن عيسى المطبوع في الرياض سنة ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م والمتوفى في ٢٣ شوال سنة ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م ص ١٥٧ . وكان ابن مشرف قد رثى الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر من أهل العُيَيْنة المتوفى في البحرين سنة ١٢٤٤ هـ — ١٨٢٨ م . بقصيدة مشهورة وهو أديب لبيب ، ورع . وله أشعار رائقة وقصائد مهمة ذكرها أستاذنا الحاج علي علاء الدين الالوسي . تألم الشاعر لمصاب (نجد) بعد نكبتها في فتنة ظلماء. وهي هجوم جيش محمد علي باشا ، وغالبهم جراكسة ، ووصف أمراءها تركي العبدالله وابنه فيصلا التركي من آل سعود . مدحها لاستعادتها مجد آل سعود [1] .

هذا . وان تحقيق (كتاب تاريخي) يحتاج الى معرفة بـ (التاريخ السياسي) وما رافقه من ذكر عقيدة السلف وهذه وردت مراراً فلم تنل

---

(١) انظر ترجمة الشيخ ابن مشرف في كتاب « تحفة المستفيد ، بتاريخ الاحساء في القديم والجديد » ج ٢ ص ١٠٩ الى ١١١ (توفى سنة ١٢٨٥ هـ) .

ايضاحاً ولا الايضاح عن التاريـــخ الأدبي ، فأهملا هذه الجهـــات ، فالمحققان أبديا العجز . وعاصر ابن مشرف من الشعراء :

الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر .

ومحمد آل علي بن عرفج .

ومحمد بن حمد بن محمد بن لعبون .

أغفل التحقق توضيح ذلك ، وكل مـــا ورد في شعر الشاعر . فقد بيّن الحالة ، وإشارات أخرى تحتاج الى شرح للاطلاع على حقيقة ما قاله وكان الاولى ان يتوليا هذا التحقيق ، ولكنهما أبديا العجز .

٤ — واقعة الدرعية :

ان هذه وردت في شعر ابن مُشَرّف ولم تنل تحقيقاً من هذين المحققين ، ولا عرفا عنها أكثر من اسمهـــا ، وكانت عاصمة آل سعود من تاريخ تكوّن إمارتهم قبل ظهور الشيـخ محمد بن عبد الوهاب ، وقويت بالدعوة إلى (عقيدة السلف) وهذه حرمت من التحقيق من أيام هذا (الشيخ) واتصاله بأمراء آل سعود سنة ١١٥٨ هـ ، أو سنة ١١٦٠ هـ — ١٧٤٧ م ، ودامت في نشاط وازدياد في التقدم .

وفي ٣ جمادى الاولى سنة ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م نزل جيش ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا على الدرعية بعد أن قام بأعمال حربية اخرى وتخريبـات وحروب طاحنة ، وفتك ، ورأى مقاومة عنيفة وعظيمة . ثم وقع الصلح بينه وبين أهل الدرعيـــة على أن يخرج الأمير عبد الله بن سعود فيسلمه إلى السلطان فيحسن اليه أو يسيء .

خرج الامير عبد الله بن سعود على ذلك في ٩ ذي القعدة من هذه السنة ، وبعد يومين أمر بالمسير إلى السلطان ، مع عدد كثير من العسكر ، فساروا به إلى مصر ، ثم إلى استنبول . فأمر السلطان بقتله في ٣ ربيـــع الاول سنة

١٢٣٤ هـ (كانون الاول سنة ١٨١٨ م) [١] ، فخلفه مشاري بن سعود ، ودام إلى سنة ١٢٣٦ هـ — ١٨٢٠ م. ثم أسره المصريون ، ومات في السجن. وصارت الإمـــارة بعده إلى (تركي بن عبد الله بن محمد السعود) وهذا ابن أخي سعود ، واستمرت الإمامة في سلالته .

ثم إن ابراهيم باشا في سنة ١٢٣٤ هـ — ١٨١٨ م أمر اهـل الدرعية أن يرتحلوا منها ، فهدّمها ، وقطع أشجارهـا ، وأشعل فيها النيران ، وتركها خاوية ، وتفرّق أهلها في البلدان .

ثم رحل ابراهيم باشا منها وذهب الى مصر .

وفي سنة ١٢٣٦ هـ — ١٨٢٠ م سار حسين بك من امراء الجيش بعساكره إلى الدرعية ، فأمر اهليها الذين نزلوا فيها ، بعد ذهاب ابراهيم باشا عنهم ان يرحلوا عنها ، فهدمها ، وأشعل النيران فيها ، فضاق الناس ذرعاً بهذه المظالم فبقيت الدرعية خربة مدة [٢] .

وان الشاعر لم يقصر في وصف الحالة بصفحاتها ، وبيّن عن هذه النكبة ما استطاع ، فخلا التحقيق عن الايضاح .

٥ — وقائع أخرى :

في منتصف سنة ١٢٤٠ هـ — ١٨٢٤ حاصر تركي بن عبد الله العسكر في قصر الرياض وكان حكمه محصوراً في (الخرج)، واستولى عليه وعلى الرياض، وعلى بعض الأرجاء المجاورة. وفي هذا عاد إلى آل سعود النشاط والانتعاش، وتوسعت إماراتهم .

وفي سنة ١٢٤٣ هـ — ١٨٢٧ م عاد (فيصل بن تركي) إلى أبيه من مصر

---

(١) تاريخ جودت باشا .

(٢) تفصيل أخبـار الدرعية في مجلة « العرب » الغراء في سنتها الاولى والثانية من عمرهـا المديد التي يصدرها ... حمد الجاسر في الرياض .

وتولى قيادة الجيش ، وكان قد هرب من السجن في مصر أو أن عباس باشا من حين ولي مصر اطلق سراحه ومن معه .

وهذا ما دعا ابن مشرف أن يتألم للنكبة لمصاب (آل مُقْرِن) وهم (آل سعود) فدمرت الكثير من رجالهم ، وخربت بلادهم ، ويمدح تركي بن عبد الله امير آل سعود ، وابنه فيصلاً ، أوضح ذلك في شعره ، فكان وصفه بالغاً حدّه . ويعدّ تاريخاً ناطقاً بالحالة اجمالاً ، ولكنه خلا من التحقيق .

ان المحققين أهملا هذه (الوقائع التاريخية) مما يخل بواجب التحقيق ، وكذا (واقعة آل حميد) وبها استولى فيصل على الاحساء . وتحتاج إلى إيضاح زائد لنعلم تاريخ نجد ايام هذين الاميرين لصلته بالعراق .

ان مسخ شعر ابن مشرّف أدى إلى أمر فظيع جدا . قال

قضاء من الرحمن جارٍ بحكمة   ولله من قبل الأمور ومن بعد

أورد المحققان البيت وضبطاه هكذا :

قضاء من الرحمن جارَ بحكمه   ولله من قبل الأمور ومن بعد [1]

فنسب الجور الى الرحمن ولم يقصد ذلك . وانما أفسد الشعر حركة وضعت بجهل ، على الراء وهي للفتحة ، و (بحكمه) وصوابها (بحكمة) ولو كان عرف المحققان الصرف لما وقعا في هذا الغلط فان (جارَ) من الجور . وأما (جارٍ) فهي من الجري والجريان بمعنى نافذ .

وهذا يدل على الجهل الفاضح ، فأدى الأمر إلى معنى باطل قطعاً بل والعياذ بالله . لأنه نسب (الجور إلى الرحمن) مع أن كلمة الرحمن تدل على الرحمة .

ويستحق شعر ابن مشرّف أن يشرح ، وأن تذكر فيه التفصيلات والحوادث التاريخية ، والمهم حالة النهضة لابن سعود و (الشيخ محمد بن عبد

---

(١) الدر المنتثر : ص ٩٦ .

الوهاب) في (عقيدة السلف) وهي عقيدة القرآن الكريم والحديث الشريف ، وأثرها في نجد مما دعا أن لا تؤثر فيها الحروب القاسية والطاحنة والتزام الناس لها. والتفادي في سبيلها والذب عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. قال ابن مشرّف :

وقد أقذع البصري في ذم شيخنا وأنصاره تبّاً لما قاله الوغد [1]

وقد ضبط المحققان كلمة أنصاره بضم الراء والصواب بكسرها للعطف . فتجاهل المحققان أمر ايضاح ذلك . وجل ما قالا : « لعله يدافع عن الأمام محمد بن عبد الوهاب التميمي » اهـ . كما تجاهلا (ابن سند) وتحامله وانحيازه فهو منحرف فأغفلا ذكر (البصري) ، بل أبديا جهلا فاضحاً ومن حق الشاعر أن يدافع ويذم أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب . فلم يشرحا ما هنالك لتعرف الحالة . وهي سياسة من ابن سند لا دينية ، فوافق السلطة في بغداد . والا فلا يتصور أن يذمّ أهل التوحيد بل ذمهم فعلا .

ولم يذكر عن (آل مقرن [2]) مع أنهم (آل سعود) ومضى إلى حوادث أخرى بعد النكبة ، فذكر نهضة تركي العبد الله ، ورجوع ابنه فيصل التركي وتوليه قيادة الجيش وما جرى له من (واقعة آل حميد) في الاحساء ثم سمع باغتيال والده فرجع الى الرياض وقتل قاتله ، وأعلن امامته . وكل هذا يحتاج الى البسط والايضاح ليعرف التاريخ الأدبي الغامض . وان الاستاذ الألوسي لم يعاود النظر أو لم تتيسر له المصادر لمرضه ، والآن الضرورة داعية ان نعرف أدب مجاورينا ، لا سيما وانه أدب عربي وما يهمّ من وقائعهم الحربية والسياسية لا سيما منها ما يتعلق بالادب العربي بالعراق من جهة وكيف أن الأمير تركي أنقذ البلاد واستعاد لها سلطتها وقام ابنه مقامه بالواجب بعده . وان الشاعر ابدى ما عنده ، وان واقعة قتل الأب تركي العبدالله تحتاج الى اسهاب ، وكيف انتقم الابن لأبيه ،

---

(١) الدر المنتشر ص ٩٧ .

(٢) الدر المنتشر ص : ٩٧ .

وأخذ ثأره ، وأعلن امامته . ومدحه ابن مشرف بأبيات عامرة وهي خير تاريـــخ لحياة هؤلاء الامراء واجمالها يحتاج الى شرح وافٍ ، والى تصحيح الوقائع لئلا يرسخ الغلط في الأذهان .

دامت امامــة فيصل الى أن توفي ٢١ شهر رجب سنة ١٢٨٢ هـ — في ٢ كانون الأول سنة ١٨٦٥ م ، وفي خلال حكمه جرت وقائع مهمة تستحق الذكر ، لم يوضح التحقيق عنها . والتاريخ الأدبي ذو صلة مكينة بمثل هــذه الحوادث ، ويتطلع اليها المرء . ويريد أن يعرف المصادر فأغفل أمر ذلك . وهذا نقص كبير مخل في مهمة التاريخ الأدبي لمعرفة ما قاله الشاعر ابن مشرف. ومن الاخطاء في هذه القصيدة :

(دلاّك) صوابها (ولاك) . و (هوى) صوابها (حوى) [1] .

وجاء في آخر الشعر سطران منثوران لا يوجدان في نسخـة المؤلف فهما زائدان ويجب ان يشطبا .

٣ — في الشيخ عبد السلام مدرس الحضرة القادرية :

ان الاستاذ الحاج علي علاء الدين الالوسي — عليه الرحمة — لم ينعته بالشواف ، فالتعرض له بنفي أو اثبات لا معنى له . ولعل ذلك تنفيذاً لرغبة الاستـاذ خالد الشواف ، فلا يريد ان يشاركهم الشيخ عبد السلام وأخوه عبد الفتـاح بالشواف في حين ان الاستاذ ابا الثناء الالوسي نعته بـ (الشواف) قبـل قرن وربـع قرن . فثبّت ما كان معروفاً . وكفى دليلا . وان آية « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » برهان على ان النسبة للتفريق لا للفخر . هذا . وان واقعة الموصل غير مشرفة لأقارب من قام بها . والعلماء من الطرفين ، فلا يتمايز واحد على الآخر . وان الاستاذ عبد الفتاح لم يظهر أديب مثله . وان عبـد السلام عالم وكان استاذ الجيل شهد به استاذنا الحاج علي علاء الدين الالوسي. وليفخر الحاضرون بأنفسهم . لنقول : الاصل عون .

---

(١) الدر المنتثر ص ١٠١ .

وله من المؤلفات أيضاً « مختصر حديقة الورود » غفل عنها التحقيق .

٤ – الشاعر عبد الغفار الأخرس :

اختار الاستاذ المؤلف ما اختار من شعر عبد الغفار الأخرس ، ونقل بعض ما قاله فيه الاستاذ أحمد عزت الفاروقي . ثم ذكر المحققان ترجمته نقلاً عن« المسلك الأذفر » وهو متداول والاولى بيان انه مصدر . وذكرا ان له مخطوطة شعر الاخرس للدكتور يوسف عز الدين في حين أنها للاستاذ ابراهيم الوائلي . وأصلها من كتب يعقوب سركيس . وكل هذه لا تصلح للطبع وفي خزانتي الاصل بخط الاستاذ السيد محمود شكري الالوسي عليه الرحمة . وهي نسخة صحيحة بخلاف النسخة المطبوعة فانها مغلوطة ومسخها اكثر الدكتور عز الدين بما ذكر من غلط وغلّط الصواب . كما جاء في مجلة المجمع العلمي العراقي ج ١٠ ص وفي مجلة المكتبة البغدادية في أعداد منها . نقدها الاستاذ ابراهيم الوائلي وقال : هي مخطوطتي ، وذكر تصحيحات عليها نحو ١٢٠ غلطة .

هذا . وكنت ترجمته في « تاريخ الادب العربي [١] » وذكرت مستدركاً عليه ، وأوضحت ترجمته بما يدعو للاطمئنان . وكذا طبعت مجموعة الأخرس في شعر عبد الغني جميل ، وما مدح به الاستاذ عبد الغني وكأنها في غفلة عنها وفيها تصحيحات كثيرة وايضاحات لما في الديوان الاصلي الذي طبعه الاستاذ احمد عزت الفاروقي ، وفي خزانتي « مجموعة لغوية وأدبية » كتبها الأخرس بخطه وقدمها لعبد الباقي العمري ثم عادت الى الأخرس وبعدها وصلت إليّ وان النقص في شعره أدركه الاستاذ احمد عزت الفاروقي ، فجمع ما تمكن من جمعه . وديوانه في دار الكتب الظاهرية بدمشق نبهت عليه ، ومنه ما لم يدخل الديوان حصل عليه بعد الطبع .

وان الاستاذ الحاج علي علاء الدين الالوسي ترجمه ونقل خلاصة حياته عن

---

(١) تاريخ الادب العربي في العراق ج ٢ ص ٣٣٠ وص ٣٤٨ .

الاستاذ الفاروقي فما معنى تكرار ترجمته ؟ ويصح أن تذكر مراجع جديدة لترجمته لا أن تكرر الترجمة .

وان الاستاذ المؤلف ذكر مختارات من (عيون شعره) ، فما معنى ذكر أن أشعاره موجودة كاملة في ديوانه ؟ وقد تكلمت في أن المختارات لها قيمتها في التسهيل على الأخذ بالنفيس من الشعر ، وأكثر الأدباء جرى على هـذا . وان الامم الاخرى كذلك راعت ما يعد من قبيل بيت القصيد وان المجاميع الأدبية في الشعر كثيرة لا تحصى . ولها أهمية خاصة دون حاجة الى قراءة ديوان الشاعر . فاذا قرأنا مختارات لجملة شعراء استكملنا الغرض من عيـون الشعر ، فلا معنى الى ذكر انها موجودة كاملة ديوانه . ولا يذكر هذا الشرح إلا إذا كان من قصيدة خارج الديوان ، فتذكر مراجع وجودها أو محـل ذكرها ، والا فالمطلوب المختار ممن له ديوان أو شعر معروف متـداول . ومنها ذكر بيت القصيد . أو عيون القصيدة .

والمهم ان الشعر المذكور لم ينقل صحيحاً فقد جاء :

لو كنت أدري (عذركم) بحبكم   ما كنت امكنكم على أحشائي
لام النصيح فما سمعت (ملامة)   و(صدرت) عنه لشقوتي وعنائي

ففى الشطر الأول من البيت الاول قوله (عذركم) صوابها (غدركم) وفي البيت الثاني (ملامة) صوابها (ملامه) . وقوله (وصدرت) صوابهـا (وصددت) .

وصواب البيتين :

لو كنت أدري غدركم بحبكم   ما كنت آمنـكم على أحشائي
لام النصيح فما سمعت ملامـه   وصددت عنه لشقوتي وعنائي

فلم يباليا بالغلط . طبع بلا عناية ، وحرم التحقيق .

٥ – وفي ترجمة السيد أحمد النقشبندي :

في هذه الترجمة فات الكثير ممـا يجب تحقيقه . وان الاستاذ (أحمد

القايماقجي) كان تلميذاً للسيد محمود شهاب الدين أبي الثناء الالوسي ، وقرظ تفسيره . ولم (يكن معاصراً له) ، بل هو من عصر تالٍ له .

٦ — في الشيخ صالح التميمي :

طبع ديوانه طبعة سقيمة ومغلوطة وناقصة . ردّ عليه الاستاذ خضر الطائي رداً مسهباً في أعداد كثيرة من جريدة « السجل » ، وكرّر المحققان ترجمته في هامش ص ١٢٢ بلا مبرر .

والمختار يعني صفوة الشعر وعيونه . وقوله وتمامها في الديوان لا يمنع من ذكر المختار والاكتفاء به ، لأنه هو المطلوب .

(وبأسك) . وصوابها (وبأسِك) بالجرّ في البيت الثاني ص ١٢٢ لأنه معطوف على ما قبله .

وان (يتنقل) غلط ، وصوابه (يتنفل) بالفاء ، ويقابل الفرض النفل . وإلا فقدت المقابلات . وهذا غلط صريح ، فلم يفرق بين النفل وغيره .

و (جبل عاملة) هو الصواب كما ذكره الاستاذ الالوسي . لأن قبيلة بني عاملة حلته فسمي باسمها. وما جاء من(جبل عامل) غلط شائع ، والتصحيح غير صحيح .

و (سورته) بالراء في البيت الثاني من ص ١٣٣ صوابها (سودته) .

ومن خير كلامه قوله :

وما الشعر إلا ما أبانت صدوره
قوافيه لا ما السمع فيه تحيّرا

وفيه عبرة لأهل الحيزبونيات . ومع هذا قد غلط فيه المحققان ، فإن (صدوره) بالرفع هو الصحيح ، وبالنصب غلط ويعكس المعنى وهو غير مراد ، بل انه وهم فاضح .

٧ – في السيد حسين الايراني :

وهذا صحاف مشهور في كربلاء . صواب اسمه (السيد هاشم) أتقن التسفير (التحصيف) . وكان فريداً في هذه الصنعة .اشتهر في بلاد كثيرة. وفي خزانتي من تصحيفه بعض الكتب تدل على اتقانه الصنعة . وذكر لي السيد علي السيد باقر أنه كان مستخدماً عنده كخطاط ، فلا يصح أن يتردد في اسمه فهو (هاشم الصحاف) ، وهو بخيل في صنعته ، فاذا جاءه أحد وضع غطاءاً على الطاولة لئلا يستفيد منها من يشاهدها .

٨ – في الشيخ داود بن جرجيس :

ان « الدر اللقيط » مختصر من تفسير « البحر المحيط » والأصل لأبي حيان المتوفي سنة ٧٤٥ هـ – ١٣٤٤ م . والمختصر لتلميذه الشيخ تاج الدين احمد بن عبد القادر بن مكتوم المتوفي سنة ٧٤٧ هـ – ١٣٤٦ م . وان قوله (في حق المترجم) . صوابها في حق أمثال المترجم .

وفي هامش ص ١٧٤ (وافا) صوابها (وافى) ومن (أحفاده) صوابها (اسباطه) والأستاذ اسماعيل الراشد ابن بنته آمنه بنت الشيخ داود ، والأستاذ عبد الستار فوزي بن وفيقة بنت آمنة المذكورة . وان الأستاذ محمد رشيد لم يكن ولده انما هو سبطه .

وفي الصفحة ١٧٥ (عبد الغفار)وصوابها (عبد الغفور) وأعقب الأولاد محمد بهاء الدين، والشيخ أحمد،ومحمد سعيد ، ومن أولاد محمد سعيد هذا نوري، ومحيي الدين (توفي) .

وهذه الترجمة لم أجدها في مجموعتي . وجاءت مؤلفاته في ص ٢٥٢ وعليها ردود .

٩ – في الشيخ علي السويدي :

قال الأستاذ المؤلف : « نال مزيد القرب عند الوزير سليمان باشا الكبير »

صوابه « سليمان باشا الصغير » .

وأقول : كانت له حياة حافلة في أيام الوزير سليمان باشا الصغير في سياسة الدولة والقضاء والضرائب وبعد وفاة الوزير طاردته الحكومة فلم يستقر في بغداد إلى أن توفي رحمه الله تعالى . ومما زاد في النفرة منه مدحه سعيد باشا والي بغداد . والمهم أنه كان (سلفي العقيدة) وهذه ولّدت السخط عليه . وكان أستاذ أبي الثناء الألوسي وهذه لم يكشف عنها التحقيق . والاغلاط كثيرة في القصائد المنقولة في ترجمته .

١٠ — في السيد أحمد شاكر الألوسي :

جاءت أغلاط كثيرة فلم يكشف عنها والمحققان يقولان « لعله يريد به الشيخ محمد سعيد » مع أن الشيخ صالح التميمي والده توفي سنة ١٢٦١ هـ وان بناء الدار سنة ١٣٠٧ هـ . فهذا لا يقبل الاشتباه والشك .

أكتفي الآن بهذا ، وفي الكتاب أغلاط كثيرة جـدا . وفيه نقص في التحقيق واهمال لما يستدعي الايضاح عنه .

ويجب على وزارة الثقافة والاعلام أن لا تقوم بطبع الكتب العلميـة على نماذج الكتب التي طبعت للبيع فقط قصد التجارة ككتـاب ألف ليلة وليلة وسيرة عنترة بن شداد ، وقصة أبي زيد الهلالي وغيرها ونجد اليوم القصصيات المتداولة بين الشباب الصادرة من مطابع بيروت أقل غلطاً من هذا الكتاب وبالاضافة إلى ذلك انه يهدف أغراضاً خاصة لا علاقة لها بموضوع الكتـاب وان الخبير لم يفطن إلى الأغلاط وأظهر بذلك جهلاً فـلا يصلح أن يكون خبيراً والكتاب أصبح دعاية سيئة للعراق ، وأختم مقالي بقول الشاعر :

أوردهـــا سَعْـدٌ ، وسَعْـدٌ مشتملْ !!
ما هكـــذا ُتوردُ ، يا سعـدُ ، الإبل !!

بغداد

عباس العزاوي

شاعران مغموران من «القطيف»

اطلعت في كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للعماد الأصفهاني على ترجمة شاعرين من شعراء القطيف أوردهما في الكلام على شعراء العراق بعنوان « الاحساء والقطيف والبحرين » ولم يذكر تحت هذا العنوان في النسخة التي اطلعت عليها غيرهما ، وقد يكون ذكر في احـــدى النسخ التي لم تصل الينا احداً من شعراء تلك الجهات كما يدل على ذلك العنوان الذي وضعه والنسخة الخطية هي احدى نسختي مكتبة (نور عثمانية) في اصطنبول .

ومع ان شعرهما ليس على درجة من الجودة الا انني رأيت فيه ملامح من شعر ابن المقرّب الاحسائي الذي وجد بعدهما بزمن مما يحمل على الظن أنه تأثر بهما ، وها أنا أورد ترجمتيهما كما جاء في تلك النسخة التي لم أجد في غيرها من النسخ لهما ذكراً .

١ – السكوتي العبدي من القطيف

هو ابو اسحاق ابراهيم ، أحمد بن يوسف العبـــدي الجذمي من بني عبد القيس ، من ربيعة .

وامراء الاحساء والقطيف ينتسبون الى بني عبد القيس .

سمعت الأديب الفاضل علي بن الحسن بن اسماعيل العبدي البصري بها في ذي الحجة في سنة سبع وخمسين وخمسمائة قال : نزلت القطيف في شعبان سنة أربع وخمسين وخمس مائة والأمير بها قوام الدين أبي المنصور عزيز بن المقلد بن علي بن عبدالله العبدي رحمه الله ، وأنزلني في محلة يقال لها العطش فكنت يوماً جالساً في الدار اذ دخل خادم لنا وبيده رقعة فيها مكتوب

يا أيهـــا السيد الكريم ومَنْ فـــاق الورى في العلوم والأدب
انـــك من معشر اولى شرف في الناس زاكي النجار والحسب

أتيت أبغي لديك فـــائدة والعلم قـــد يستفاد بالطلب

قال فكتبت في ظهرها:

اهلاً وسهلاً ومرحباً بأخ الفضل وخدن العلوم والخطب
بَيِّنْ أخي نوعَ ما قصدت له نبذله طوعاً من غير ما صخب
واقدم على خيرة الالهِ وسَلْ نفِدْكَ مـــا تبتغيه من أدب

فدخل رجل حسن السمْت كثير الصمت، عرفته بصفة كان وصفها لي أبو علي بن أبي الهوارس [1] قاضي القطيف قلت له: لعلك الملقب بالسكوتي قال: نعم فرحبت به وسألني املاء شيء من العروض، وتردد اليّ اياما الى ان صار فيه إماما.

وأنشدني لنفسه لثلاث بقين من شعبان من السنة:

اذا ما لئيمٌ ردّ مَدحي، ولم يُثِبْ
عليه بشيء ضاق من فعله صدري
وما أسَفي أنّي حُرِمتُ عطاءَهُ
ولكنْ على ما ضاع فيه من الشعر

قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

خذ الحِذر من أهل هذا الزمان وكنْ مُمعِناً منهمُ في الهربْ
فإني رأيتهمُ في عَمـــى لجَهلهمُ، بكلام العربْ
يرون غبيَّهمُ عالمـــاً ولا يعبأون بأهل الأدبْ
كمثل البهائم، لا يعرفون ما الفرق بين الحصا والذهب
اذا نَظَمَ الشعر في مثلهم فصيحٌ، بكاشعرُهُ وانتَحَبْ

قال: وأنشدني لنفسه

يا نفس لا تفرحي بعيش طال وفي طوله أذاكِ

---

(١) كذا وقد تقرأ، الفوارس

وادّكري الموتَ فهو حتم ما منه مَنجاً اذا أتاكِ
لا خير للمرء في حياة تورده موردَ الهلاكِ

قال : وانشدني لنفسه :

ليتني إذْ خلقتُ كنتُ جماداً فاقد الروح ، ليس يغذوه قوت
لم تزدني الحياةُ شيئا سوى الهمّ وكرب الممات ، حين أموت

قال : وأيضاً لنفسه :

المرءُ واهي القُوى ضعيف يَعنيه نيلُ الذي يُحِب
لا يمسك الروح فيه إلا اكلٌ ، له دائم ، وشُربُ
حياته مِحنَة ، وهمٌّ وموته غصّة وكربُ

وأيضاً لنفسه :

طِلابُ الشّرِ من فعل الجهول وحسْن الذكر بالفعل الجميل
وانّ الظلم شيء ما دَعانا اليهِ غيرُ نقصانِ العقولِ
الا فاقنعَ من الدنيا بقوتٍ فانك هالك عما قليلِ

وأيضاً أنشدني له :

ألا إن دنيانا لدارٌ ذميمة قبيحة فِعلٍ، غيرُ مأمونةِ الغدرِ
يُحاذر فيها ذو الحجى ويخافها وآفاتها تأتيه من حيث لا يَدري

قال وله :

تفكر في أمور الناس وانظر إلى أحوالهم في كل حال
فإنك لن ترى إلا ظلوما شديد الحرص ، في طلب المحال
رأوا أَمداً بعيداً فاستناموا إلى الأيام جهلا والليالي
عجبت من اجتراحهم المعاصي أما يخشون نقمة ذي الجلال ؟!

قال : وله :

الخيرُ كلٌّ الناس عنه محجمُ والشرُّ طبعٌ في الورى ، متقدّمُ

كانوا بغاةً قبل بَعثِ محمّد واشتدّ ذاك البغيُ لما أسلموا
لم ينههم إسلامُهُم عن مأثمٍ فيه العقوبة ، بل عليه أقدموا
عدلوا عن الإحسان وهو مرغّبٌ فيه ، وأمّوا الظلّم وهو محرّمُ
لوعفّ بعضُ الناسِ عن بعضٍ لما أمسى على الدّنيا فقيرٌ مُعْدِمُ

٢ ـ الحسين بن ثابت بن الحسين العبدي الجذمي

من عبد القيس من القطيف :

حدثني الأديب علي بن الحسن بن اسماعيل العبدي البصريّ بالبصرة سنة سبع وخمسين ، وقال : كان الحسين بن ثابت هذا شاعراً نسّابةً كاتباً ، لحق سنة خمسين وخمس مائة ، ثم توفي بعُمان ، ورأيت أخاه بالقطيف . ولما نزلت جزيرة تاروت في ذي الحجة سنة أربع وخمسين ، دخل إليّ من أهلها من ذاكرني وحادثني ، وهو أبو شكر عبد القيس بن علي بن عبد القيس بن مالك بن موسى بن محمد بن مالك الخارجي المالكي ، وأنشدني مذاكرة للحسين ابن ثابت ، وذكر أنه كان نقم عليه أبو سنان محمد بن فضل بن علي بن عبدالله ابن علي العبدي ثم المري ، فحبسه عدة سنين ، وطالت مدته في الحبس ، فكتب بهذه القصيدة إلى عشاير من عبد القيس يستغيث بهم ، ويقبّح لهم إهمالهم إياه ، مع كون الأمير منهم ، ويستنجد [١٧٨ ب] بهم على الأمير ، ويسألهم سؤاله إطلاقه ، والقصيدة طويلة ، وقد ذكر فيها من بطون عبد القيس وأفخاذ القبائل حدود خمسين قبيلة وفخذ وعمارة يدل ذلك على علمه بالنسب ، دقيقه وجليله ، قال أبو علي العبدي : أنشدني أبو شكر المذكور القصيدة جميعها لكنني أوردت ما على ذكري منها وأولها :

صِحْ بالعشيرة من عبد وصق واغد (?) بدارهم واستفت أسْداً بها نُجُبا
واهتف أُبَيْرق واستنجد بخارجة ومن حُصَيْصٍ فكن للأسد منتخبا
والحارث الغرّ فاستنجد بأبطنها فليثها لا يرد الناس إن وثبا ؟

بقيسها وجلنداهـا وعامرها طعّانة الخيل لمّا[1] يعرفوا الهربا ؟
وفي نُعَيمٍ وحجّافٍ وفي قطنٍ وفي سُمَيْري ترى لي صاحباً نسبا
الى خُدَيْرة والبهلول ثم الى أولاد مخلد ، جُـدّ السير والطلبا

ومنها :

والأسمر الغرّ فاستنجد بديسمها ؟ فإن فارسها يَشْفيك إن ركبا
ووُلْد مُرّة من بَدْوٍ وحاضرة ومن بني قُرّةٍ فاستنجد النسبا

ومنها :

وقل لهم : إنّ رَيْبَ الدهر أورثني منه هوانا ، وأولى صَرْفُه حَرَبا
يا ليتني لم أكن منهم فيعرفني الـ ـعدا فتضحك من تهوينهم عجبا ؟
أتغفلون عن ابن العمّ أنْ غدرَتْ بـه الليالي ، وحالَ الدهرُ وانقلبا
والله ما أحدٌ في الناس يَعْذُرُكم وأنتم تفخرُون العُجْمَ والعرَبا
العِزُّ عِزُّكُم ، والجدُ مَجْدُكم والملكُ فيكم، فقد أعطى وقد وهبا
[١٧٩/أ] لِمْ لا تجيرون مكروباً يصيح بكم ألقت عليه ليالي دَهْرِه نُوَبا
ما تفزعون عياذ الناس حيث أنا في سجنكم ، وبَنانِي تملأ الكُتُبا
هل متخون (؟) معلى من حديثكم أو تسألون أميراً منكمُ غَضِبا
عَلَيّ من غير جُرمٍ يا وُجوهَ بني أنـْمار ، فاجتث أصلي عَنْوةً[2]
ياعامراً يالَ عبد القيس هل أحدٌ[3] إذا دعوتُ به ألقاه مُعتَصِبا
إن كنتمُ نمتُمُ عَنْ كلّ مَكرُمَةٍ دعوتُ خِنْيَرَ، أو كَهلان ولُدسَبا
وصِحتُ في مُضَر الحَمرا، وقلت لهم: كان العلا في رجالي ، ثمّ قد هربا
أنا ابن ثابت من نسل الحسين ، أبي كعْبُ بن أحوى بن عوف الكبر إن نسبا

(١) في الأصل ، لم ولا يستقيم بها الوزن .
(٢) لم يذكر القافية .
(٣) في الاصل ، احدا .

● – عبد العزيز في التاريخ

هذا هو اسم الكتاب الذي ألفه صاحب الفضيلة الشيخ حمد بن ابراهيم الحقيل من رجال القضاء في بلادنا ، وهو كتاب تاريخ وأدب ، يتعلق بحياة الملك عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – فيه قصائد كثيرة في مدحه، وفيه نوادر من أخباره بحيث ان مطالعه لا يسأم من تتبع أنباء الحوادث التاريخية بل يتنقل بين خبر موجز الى قصيدة باللغة الفصيحة او العامية او طرفة أدبية والكتاب يقع في ٢٥١ صفحة .

● – ابن مُقَرَّب

وهذه دراسة جيدة قام بها الاستاذ عمران بن محمد بن عمران عن الشاعر ابن مُقرَّب الأحسائي من أهل القرن السابع الهجري ، واصدرها في كتاب بعنوان « ابن مقرب حياته وشعره » وهذه الدراسة تلم بما وصل الينا من احوال هذا الشاعر ، كما تتضمن عرضاً موجزاً لاغراض شعره، في اكثر من ١٨٠ صفحة ، بطباعة حسنة في مطابع الرياض .

● ديوان ابن مقرَّب

يظهر ان هذا الشاعر محظوظ ، فقد طبع ديوانه في خلال بضع سنوات ثلاث مرات آخرها طبعة صدر في هذا العام الجزء الاول منها في ٥١٣ صفحة والطبع على نفقة الشيخ عبدالله آل ثاني والطبعة حسنة ، فالابيات مشروحة والكلمات الصعبة مشكلة ، وقد تولى الطبع المكتب الاسلامي في بيروت .

● – مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا

قام الدكتور يوسف عز الدين الأمين العام للمجمع العلمي العراقي بدراسة المخطوطات العربية الموجودة في المكتبة الوطنية في مدينة صوفيا في بلغاريا ، فكان من أثر هذه الدراسة ان الف كتاباً وصفها فيه وصفاً وافياً ، وقام « المجمع العلمي العراقي » في بغداد بطبعه ، في مجلد لطيف تبلغ صفحاته ١٦٨

وقد نعرض للقارىء – في مناسبة أخرى – اسماء ما نراه جيداً ونادراً من تلك المخطوطات .

سيصدر قريباً:

المغانِمُ المطابة
مِن مَعالِمِ طابة

تأليف: مجد الدين الفيروزآبادي (٧٢٩ ــ ٨١٧ هـ)

مجد الدين الفيروز آبادي صاحب « القاموس المحيط » وغيره من المؤلفات أشهر من ان يُعرّف .

وقد تنقل في الحجاز بين الطائف ومكة والمدينة فألف عنها ، مؤلفات منها : (مُهيج الغرام إلى البلد الحرام) في تاريخ مكة المكرمة .

و « أحاسنُ اللطائف ، في محاسن الطائف » و « فصلُ الدُرّة من الخَرزَة في فضل قرية السلامة على الخبزَة » — عن الطائف .

و « المغانِمُ المطابة ، من معالم طابة » عن المدينة الشريفة .

وكتابه هذا يعتبر من أهم المصادر في دراسة تاريخ المدينة القديم ، وفي خططها ، وفي مساجدها وآثارها الاسلامية .

وتقوم دار اليمامة بنشر هذا الكتاب في أجزاء ، تولى تحقيق كل جزء باحث أو عالمٌ مختص بموضوعه .

وسيصدر القسم المتعلق بالمواضع بتحقيق
حمد الجاسر — إن شاء الله

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة

(تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات "الجراكسة" و"العثمانيين" لذلك القطر)

تأليف

قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي

(٩١٧ - ٩٩٠هـ)

أشرف على طبعه

حمد الجاسر

الحاجة الى اجزاء

من السنة الاولى من المجلة

تحتاج إدارة مجلة « العرب » إلى الأجزاء : ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ (من السنة الأولى) لإكمال مجموعاتها . وهي ترجو من لديه شيء منها أن يتفضل بتقديمه لها ، مع استعدادها لبذل مقابله من الأجزاء الأخرى ، أو ثمنه . أو اهداء المتفضل ما يرغبه من مطبوعات « دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر » مما نشر من تلك المطبوعات .

في الجزء الآتي :

- — الحجاز في القرن السابع الهجري
- — نوادر المخطوطات في مكتبات المدينة المنورة
- — المعجم الحديث للبلاد السعودية
- — الامثال العامية في نجد
- — في تيار الحياة (شعر)
- — مخطوط عن جزيرة العرب
- — صفحة من تاريخ العرب في شرق افريقية

ومن كتّابه :

(على حروف الهجاء)

- — ابو عاصم الطيبي (الرياض)
- — علي احمد النعمي (ابو عريش)
- — علي جعفر الوهط (مكة)
- — محمد بن احمد العقيلي (جازان)
- — محمد العبودي (المدينة)

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

في هذا الجزء

- الحمى في القرن الأول الهجري
- الجزيرة في المصادر اليونانية
- شراع على السراب (قصيدة)
- الأمثال العامية في نجد
- ابن رُشيد الأندلسي يتحدث عن علماء مكة

ومن كتابه

- الدكتور صالح احمد العلي
- الدكتور سامي الأحمد
- محمد العبودي
- محمد العقيلي

تصدر عن : دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

فهرس هذا الجزء

(١) : وقع خطأ : (شراع على الضباب) .

مجلة العرب

الاشتراك السنوي

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف: (٢٤٣ البهو)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

الجزء السابع — السنة الثالثة — محرم ١٣٨٩ — نيسان (ابريل) ١٩٦٩

الحِمى في القرن الأول الهجري

بقلم الدكتور صالح العلي

ذكر اللغويون تعريفات متعددة للحمى ، لعل أدقها تعريف الليث بأنه «موضع فيه كَلاءٌ يُحْمَى من الناس أن يرعى » (لسان العرب ١٨/٢١٧) وقد نقل السمهودي هذا التعريف ، وأضاف اليه تعريفاً فقهياً وهو: «موضع من الموات يمنع التعرُّض له ليتوفر فيه الكلأ ، فترعاه مواشي مخصوصة (وفاء الوفاء ٢/ ٢٢١) . ومن هذه التعريفات يتبين ان للحمى ملكية عامــــة تتصل بالدولة فتستغلها للصالح العام ، أو للشيخ ولرئيس القبيلة ليستغلها لنفسه ، علماً بأن ما يملكه الشيخ أو الرئيس تؤول بعض فوائده للعشيرة أيضاً .

يذكر الشافعي: « كان الرجل العزيز من العرب اذا انتجع بلداً مخصباً أوفى بكلب على جبل إن كان به ، أو نشز إن لم يكن به جبل ، ثم استعواه ووقف له من يسمع منتهى صوته بالعواء فحيث بلغ صوته حماه من كل ناحية فيرعى مع العامة فيما سواه ويمنع هذا من غيره لضعفاء سائمته وما أراد قرنه معها فيرعى معها »(الأم ٣/٢٧٠ وفاء ٢/٢٢٤ ، لسان العرب ١٨/٢١٧). ومن هذا يتبين انه ليست للحمى القدسية التي للحرم ، وانه لا يشترط فيه أن يكـــون مكانا مقدساً ، وانه تنفيذ محاولة لقلب المشاع الى ملكية خاصة عن طريق القوة والسيطرة .

ينقل ياقوت : « قال الأصمعي : الحمى حميان : حمى ضرية وحمى الربذة » قال المؤلف : ووجدت انا حمى فيد وحمى النسير وحمى ذي الشرى وحمى النقيع .. وحمى فيد قال ثعلب : الحمى حمى فيد اذا كان في اشعار أسد وطيء ، فأما في اشعار كلب فهو حمى بلادهم قريب المدينة بينها وبين عرب (ياقوت ٣٤٢/٢) ويضيف السمهودي بعد ايراده هذا النص « قلت وهي ، عد النقيع ، بنجد . وهي متقاربة بل سيأتي ما يؤخذ منه دخول النير في حمى ضرية » (وفاء ٩١/٢) ويشير ياقوت الى حمى جلسد (ياقوت ١٢٣/٣) وحمى ذي شرى (ياقوت ٢٤٦/٤).

وقد ذكرت من احماء الجاهلية عرنة فيروي ياقوت « بئر ألية في حزم بني عوال على نيف وأربعين ميلا من المدينة . وقيل إليه واد بفسح الحيا ، والفسح واد بجانب عرنة ، وعرنـه روضة بواد ما كان يحمى للخيول في الجاهلية والاسلام بأسفلها قلهى (ياقوت ٣٥٥/١ – وفاء ٢٥١/٢) .[1]

ويروي ابن المجاور: « قيل ان جميع ارض زبيد كانت حمى مهلهل وكليب وذلك من حد الحجف الى انف قونص وفيه قصره وبركته واصطبله الذي كان يربط فيه خيله .

وأما حمى كليب ومهلهل فكان من الحجف الى انف قونص الى رأس رمع وجميع جـواز زبيد وأوديتها الى حد النوبتين وقوارير طولاً في عرض مثله (المتبصر ص ٦٣-٦٤) .

وهذه رواية مشكوك في دقتها . (انظر صفة جزيرة العرب ١٧٢)

وقد ذكر ياقوت: « أجام موضع من أحماء المدينة جمع حمى (ياقوت ج ١

---

(١) إن عبارة ياقوت هذه فيها تحريف وتصحيف ، فيحسن الرجوع الى الأصل الذي نقل عنه ، وان لم يصرح به ، وهو كتاب « الأمكنة والمياه والجبال والآثار ، ونحوها المذكورة في الأخبار والأشعار»: تأليف ابي الفتح نصر بن عبد الرحمن الاسكندري المتوفي في حدود ٥٦١ فقد جاء في ذلك الكتاب (الورقة الـ ١٤ من مخطوطة المتحف البريطاني)ما هذا نصه : –(باب ألْيَة ، وأَلِيَّة ،ولَيَّة . أما بفتح الهمزة وسكون اللام : فهو أبرق في بلاد بني أسد ، قرب الأجفُر ، يقال أليَة . وألْيَةُ الشاة ناحية قرب الطرف، وبين الطرف والمدينة نيف وأربعون ميلا . وقيل : وادٍ بفسح الحبابية ، والفسح : واد بجانب عُرُبّة ، فيض واسع ، وعربة : روضة بواد مما كان يحْمى للخيول في الجاهلية والاسلام، بأسفلها قلهَى وهي ماء لبني جذيمة بن مالك)

ص ٣٥٠) دون أن يشير الى موقعه أو يقدم تفاصيل عنه .

تروي بعض الكتب ان الرسول (ص) قال « لا حمى إلا لله ورسوله » (ام ٣/ ٢٧٠ وفاء ٢/٢٢٤ ابن حنبل ٤/٧١ ، ٧٣ البخاري : المساقاة باب ١١) .

غير ان هناك روايات تذكر ان الرسول أقرَّ لبعض الأشخاص حمى ، كما انه حمى حمى ، وقد استمرت هذه الاحماء بعد الرسول ، مما يدل على ان نسبة الحديث المذكور أعلاه ليست بمنجاة من الشك وانها تعبر عن موقف الناس من الاحماء بعد الاسلام .

فيروي الأصفهاني « كان عمرو بن سلمة بن سكن بن قريط بن عبد بن أبي بكر أسلمَ فحسن إسلامه ووفـد الى النبي فاستقطعه حمى بين الشعارى والسعدية ، والسعدية ماء لعمرو بن سلمة ، والشعارى ماء لبني قتادة بن سكن بن قريظ وهي رحبة طولها تسعة أميال في ستة أميال فأقطعه إياها فأحماها ابنه جحوش فاسترعاه نفر من بني جعفر بن كلاب فأرعاهم ، فحملوا نعمهم على خيلهم بغير اذنه فأخبر بذلك فغضب وأراد إخراجهم » (أغاني ٢٠/١٦٥ ، انظر وفاء ٢/٣٣٠ وياقوت: ٣ / ٣٠٦) حيث يسميانها الشقراء بدل الشعارى.

ويروي ابن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر « فخرج وفـد جرش حتى قدموا على رسول الله فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس وللراحلة وللمثيرة تثير الحرث فمن رعاها من الناس سوى ذلك فماله سحت » (طبري ١/١٧٣١) وقد روى نصه بشكل آخر « ان لهم حماهم الذي أسلموا عليه فمن رعاه بغير بساط أهله فماله سحت » حميد الله الوثائق السياسية ٢١٣) .

ويروي ابو داود من طريق عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده « جاء هلال أحد بني متعان الى رسول الله ﷺ بعشور نخل فسأله أن يحمي وادياً يقال له سكبة فحمى له رسول الله ﷺ ذلك الوادي ، فلما ولي عمر بن الخطاب رحمه الله كتب سفيان بن وهب الى عمر يسأله ذلك فكتب اليه عمر: إن أدي اليك ما كان يؤدى الى رسول الله ﷺ من عشور نخله فاحمِ واديه سكبة فإنما هو ذباب غيث يـأكله من شاء » (السنن ١ /٤٥٣ ط القاهرة ١٣٤٨ ، بكري ٧٤٦) حميد الله ٢٤٩ .

ويروي ابن سعد انه اعطى بني قرة حمى بكتاب هذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما اعطى محمد رسول الله بني قرة بن عبدالله بن ابي نجيح النهديين انه اعطاهم المظلة كلها ، ارضها وماءها وسهلها وجبلها حتى يرعون فيه مواشيهم وكتب معاويةبن ابي سفيان (سعد ١ / ٢ / ٢٢ حميدالله رقم٨٩)

تروى عدة مصادر ان الرسول حمى النقيع (انظر البخاري ٣ / ١٣ ابن حنبل ٢ / ١٥٥ / ١٥٧ ابن سلام : الاموال الفقرة ٧٣٩ وفاء ٢ / ٢٢١ — ٣ عن ابن شبة والزبير بن بكار البكري : معجم مـــا استعجم ١٣٢١ . وقد ذكر السمهودي تفاصيل عن هذا الحمى حيث قال : « وروى الزبير بن بكار عن مراوح المزني قال نزل رسول الله (ص) بالنقيع على مقمل وصليب وقال في حمى النقيع :«نعم مرتع لافراس يحمى لهن ويجاهد بهن في سبيل الله» وحماه واستعملني عليه . وعن غير واحد من الثقات عن النبي (ص) انه صلى على مقمل وحماه ما حوله من قاع النقيع لخيول المسلمين ثم زادت بنو امية بعد والأمراء اضعاف ما حمى رسول الله بالنقيع .

وعن محمد بن هيصم المزني عن أبيه عن جده ان رسول الله (ص) اشرف على مقمل طرف وسط النقيع فمسجده هناك. قال ابن هيصم عن أبيه فدعا رسول الله (ص) ابي وقال اني مستعملك في هذا الوادي فما جاء من هاهـــا وها هنا يشير نحو مطلع الشمس ومغربها فامنعه فقال اني رجل ليس لي الا بنات وليس معي احد يعاونني قال رسول الله (ص) «ان الله سير رزقك ولدا ويجعل لك ولياً» وكان له بعد ذلك ولد ، فلم تزل الولاة يولون عليــــه والياً منذ عهد رسول الله ﷺ يستعمله والي المدينة حتى كان داود بن عيسى فنزله سنة ١٩٨ ، وإنما تركه داود لان الناس جلوا عنه للخوف ذلك الزمان فلم يبق فيه أحد يستعمله عليه (وفاء ٢ / ٢٢٣) .

يروي ابن عمر ان النبي ﷺ حمى النقيع للخيل ، ويروى ابن شبّة عن ابن عمر ان النبي ﷺ حمى النقيع للخيل وحمى الربذة للصدقة (وفاء ٢ / ٢٢٢) غير ان حمى الرسول للربذة لا تؤيده المصادر الأخرى .

وما دام للحمى حكم خاص يتميز به عما حوله من الاراضي فلا بد ان تكون له حدود معينة .

وقد حدد الرسول لحمى النقيع حـدوداً ، الا انها لم تظل ثابتة إذ يروي الزبير بن بكار « قال يعقوب المزني ثم تزايد الناس بعد في الحمى فحموا ما بين تراخم الى يلبن واتخذوا المرابد يحبسون فيها مـا رعى الحمى من الإبل حتى رأيت بعضها يأكل دبر بعض قال الزبير وقال لي :لقد رأيت لأبيك اكثر من ثلاثة آلاف شاة بالنقيع وهو إذ ذاك أمير المدينة ما يرعى رعاؤه منها شيئاً في الحمى حتى يكتمل العشب ويبلغ غايته فيرسل عامل الحمى صائحاً يصيح في الناس يؤذنهم باليوم الذي يأذن لهم يرعون الحمى فيسرع فيـه رعاء أبيك والناس يداً واحدة « كفرسي رهان » (وفاء ٢/٢٢٣–٤) .

يقول البكري ان «النقيع موضع تلقاء المدينة، بينها وبين مكة ، على ثلاث مراحل من مكة بقرب قدس» (بكري ١٣٢٣ والصحيح على ثلاث مراحل من المدينة) .

ويروى ايضاً « وروى ايضاً ان النبي ﷺ صلى الصبح في المسجد بأعلى عسيب وهو جبل بأعلى قاع النقيـع، ثم أمر رجلاً صيتاً فصاح بأعلى صوته ، فكان مدى صوته بريدا وهو أربعة فراسخ فجعل ذلك حمى ، طوله بريـد وعرضه الميل ، وفي بعضه اقل ، في قاع ـ مدر طيب ، ينبت أحرار البقل والطرائف ، ويستأجم حتى يغيب فيه الراكب ، وفيه مع ذلك من العضاه والعرفط والسدر والسيّال والسلم والطلـح والسمر والعوسج والعرفج شجراء كثيرة وتحف هذا القاع الحرة ، حرة بني سليم في شرقيه، وفيها قيعان دوافع في بطن النقيـع وفي غربيه الصحرة، واعلام مشهورة منها برام والوتد وضاف، وقد ذكر ان أول اعلامه عسيب فبرام ، جبل كأنه فسطـاط ، والوتد في أسفل النقيـع كأنه قرن منتصب ومقمل جبل أحمر افطح بين برام والوتـــد شارع في غربي النقيــع،وروى ان رسول الله ﷺ اشرف على مقمل وصلى عليه فسجده هناك. وبقاع النقيع غدر تصيف فأعلاها براجم واذكرها يلبن، وغدير سلامة أسفل من يلبن وبشرقي النقيـع في الحرة قلتـــان يبقى ماؤهما ويصيف وهما أثـيث وأثيث « بكرى ١٣٢٣ ـ ٥) عن السكـوني «وفاء ٢/٢٢٢ عن الهجري) .

ويضيف البكري.« وليس بإزاء النقيع مما يلي الصحرة الا ماءة واحدة ، وهي حفيرة لجعفر بن طلحة بن عمرو بن عبيد الله بن معمر ، يقال لها حفيرة السدرة ، وسيل النقيع يفضي الى قرارا ملس ، وهي ارض بيضاء جَهَاد ، لا تنبت شيئاً لها حس تحت الحافر ، هذا لفظ السكوني ، والعرب تسمي هذه الأرض النفخاء والجمع النفاخي ، ويليها أسفل منها حصير ، قاع يفيض عليه سيل النقيع فيه آبار ، ومزارع ومرعى للجمال من عضاه ورمث وأشجار وفيه يقول مصعب وكان يسكنه هو وولده بعده ... ويدفع أيضاً على حصير الآتة اتة ابي الزبير وهي بساط طويلة واسعة تنبت عصماً للمال وهناك بئر تنسب الى ابن الزبير ، وكان الأشعث المزني ينزل الأتة ويلزمها فاستمشى ماشية كثيرة وأفاد مالاً جزلاً حتى اتخذ اصولاً واستغنى ، ثم يفضي من حصير الى غدير يقال له المَزْج لا يفارقه الماء ، وهو في شق بين جبلين يمر به وادي العقيق فيحفره لضيق مسلكه وهذا الجبل المنفلق الذي يمر به السيل يقال له سقف ، ثم يفضي السيل منه الى غدير يقال له رواوة .. ولا يرى قعر هذا الغدير ابداً ولا يفارقه الماء ثم يفضي الى غدير الطفيتين ، وهو من أعذب ماء يشرب . إلا أنه يبيل الدم ثم يفضي الى الاثبة ، وفيه غدير يقال له الاثبة سميت به الارض،وفيه مال لعباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير، كثير النخل وهو وقف ، ثم اسفل من ذلك رابغ وهو فلق من جبل سقف متضايق يجتمع فيه السيل ، سيل العقيق ، ثم يلتقي وادي العقيق ووادي ريم (١٣٢٧-٨) .

احماء ابي بكر :

يروي ابن سعد عن هني مولى عمر « ان أبا بكر الصديق لم يحم شيئاً من الأرض الا النقيع ، وقال رأيت رسول الله ﷺ حماه فكان يحميه للخيل التي يغزى عليها ، وكانت إبل الصدقة إذا أخذت عجافاً أرسل بها الى الربذة وما والاها ترعى هناك ولا يحمي لها شيئاً ويأمر أهل المياه لا يمنعون من ورد عليهم يشرب معهم ويرعى عليهم » سعد ٦/٥ » .

غير أن سيف بن عمر يروى عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد: « فلما غلب أهل الردة ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه وسامح الناس . جاءت بنو ثعلبة وهي كانت منازلهم لينزلوها فمنعوا منها فأتوه في المدينة فقالوا علام نُمنَع من نزول بلادنا؟ فقال. كذبتم ليست لكم ببلاد ولكنها موهبي ونقدي، ولم يعتبهم وحمى الابرق لخيول المسلمين وأرعى سائر بلاد الربذة الناس عدى بني ثعلبة ثم حماها كلها لصدقات المسلمين لقتال كان وقع بين النـــاس واصحاب الصدقات فمنع بذلك بعضهم من بعض (طبري ١/١٨٧٩) ويقول ياقوت ان أبرق الربذة « من منازل بني ذبيان فغلبهم عليه أبو بكر لما ارتدوا وجعله حمى لخيول المسلمين » (ياقوت ١/٧٧) .

يتبين من هذه النصوص ان ابا بكر أبقى حمى النقيع على ما أقره عليه الرسول ﷺ وحمى ابرق الربذة دون ان يحميها .

احماء عمر :

يروى ابن شبة والطبراني عن ابن عمران « حمى النبي ﷺ الربذة لإبل الصدقة » (وفاء ٢/٢٢٢ كذلك ٢٢٧) غير أن المصادر الاخرى لا تؤيـــد ذلك ، والراجح ان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب هو أول من حمى الربذة .

فيروي ابن سعد عن « محمد بن عمر عن عكرمة بن عبدالله بن فروخ عن وجرة عن أبيه كان عمر بن الخطاب يحمي النقيع لخيل المسلمين ويحمي الربذة والشرف لإبل الصدقة » (سعد ٣/١/٢٢٠) .

ويروى عن هنيٍّ مولي عمر « فلما كان عمر بن الخطاب وكثر الناس وبعث البعوث الى الشام والى مصر والى العراق حمى الربـــذة واستعملني على حمى الربذة » (سعد ٥/٦) .

ويذكر زيد بن أسلم عن أبيه « ان عمر بن الخطاب استعمل مولى له يقال له هُنَيٍّ على الحمى » (الأم٣/٢٦٩) ابو يوسف ص ١٠٥ سلام ٧٤٠ وفاء ٢/٢٢٥ .

ويقول البكري « الربذة هي التي جعلهـا عمر (رضي) حمى « لإبل الصدقة وكان الذي أحماه بريداً في بريد ، ثم تزيدت الولاة في الحمى أضعافاً ثم أبيحت الاحماء في أيام المهدي فلم يحمها أحد بعد ذلك (بكري ٦٣٣) .

يقول الاصمعي أن « في أول الشرف الربذة وهي الحمى الايمن ، والشريف الى جنبه يفصل بينهما التسرير فما كان مشرقاً فهو الشريف وما كان مغرباً فهو الشرف » (وفاء ٢/٢٢٧ ياقوت) ويقول السمهودي عند كلامـه عن حمى الربذة ان الربذة « قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاثة أيام منها قاله المجد »

وفي كلام الاسدي ما يقضي انها على أربعة أيام ... وتقدم قول الاصمعي انها من الشرف وانها الحمى الأيمن، وقال نصر هي من منازل الحاج بين السليلة والعقيق أي التي بذات عرق (وفاء ٢/٢٢٧) .

ويقول ايضـاً « وروى ابن شبّة باسناد صحيح عن ابن عمر (رض) ان عمر حمى الربذة لنعم الصدقة ولهذا نقل الهجري عن جماعة أن اول من احمى الحمى بالربذة عمر بن الخطاب لقصاص الصدقة وان سعة حماه الذي أحمى بريد في بريد وان سرة حمى الربذة كانت الحرة ثم زاد الولاة بعد في الحمى وآخر من أحماه أبو بكر الزبيري لنعمه وكان يرعى فيه أهل المدينة وكان جعفر بن سليمان في عمله الاخير على المدينة أحماه لظهره بعدما ابيحت الاحماء في ولاية المهدي ثم لم يحمه أحد منذ عزل بكار الزبيري (وفاء ٢/٢٢٧) .

ويروى عن الاسدي « الربذة لقوم من ولد الزبير وكانت لسعد بن بكر من فزارة » (وفاء ٢/٢٢٧) غير انه لا يذكر متى أخذها آل الزبير وكيف أخذوها .

« وفي تاريخ عبيد الله الاهوازي انها خربت في سنة ٣١٩ لاتصال الحروب بين اهلها وأهل ضرية ثم استأمن أهل ضرية الى القرامطة فاستنجدوهم عليهم فارتحل أهل الربذة عنها فخربت وكان احسن منزل بطريق مكة » (وفاء ٢ / ٢٢٧ ياقوت ٢ / ٧٤٩) .

ويروى الاصمعي عن جعفر بن سليمان « اذا عقد البعير شحما بالربذة وسفر عليه سفرتان لا تنقصان شحمه لانها ارض ليس فيها حمض » بكري ٨٦٠ .

وقد وصف اعلام حمى الربذة السمهودي (وفاء ٢ / ٢٢٧ ولعله اخذها من الهجري) والبكري (٦٣٣ — ٧) كما ذكر ياقوت الربذة واماكنها في مواضع مختلفة من كتابه .

لقد ذكرنا من قبل رواية الواقدي عن عكرمة عن ابي وجرة عن أبيه ان عمر حمى ايضاً الشرف « ابن سعد ٣ — ١ / ٢٢٠ » . ويقول السمهودي الشرف حماه عمر رض ، وليس هو شرف الروحاء بل موضع بكبد نجد ، قال نصر: الشرف كبد نجد وقيل واد عظيم تكتنفه جبال حمى ضرية والظاهر انه مراد من غاير بينه وبين حمى ضرية والربذة . قال الاصمعي: الشرف كبد نجد وكانت منازل بني آكل المرار ، وفيها اليوم حمى ضرية ، وفي أول الشرف الربذة وهي الحمى الأيمن والشريف إلى جنبه يفصل بينهما التسرير فما كان مشرقاً فهو الشريف وما كان مغرباً فهو الشرق « ويحتمل ان المراد بقولهم حمى الشرف والربذة حمى ضرية والربذة لما سيأتي من حمى ضرية انه كان يقال لعامله عامل الشرف ، ولم يفرد الهجري في احماء نجد الشرف ولم يبين له محلاً وإنما ذكر الربذة وضرية معما سيأتي فيهما وقال الأصمعي: كان يقال من تصيف الشرف وتربع الحزن وشتى الصمان فقد اصاب المرعى (وفاء — ٢ / ٢٢٧ ياقوت ٣ / ٥ / ٢) .

يتبين من هذه النصوص ان حمى الشرف هو حمى ضرية نفسه ، ويبدو انه كان يطلق عليه في اوائل العهود الشرف ، ثم صار يطلق عليه حمى ضرية .

يقول السمهودي : « ونقل المجد ان أشهر الاحماء وأسيرها ذكراً حمى ضرية وكان حمى كليب بن وائل فيما يزعم بعض أهل طيء قال وذلك مشهور عندنا بالبادية يرويه كابر عن كابر وفي ناحية منه قبر كليب معروف إلى الآن . قلت وأخبرني بذلك رئيس أهل نجد...أجود بن جبر وقال: ان قبر كليب هناك معروف عند العرب يقصدونه ، قال ودلني عليه بعضهم لاقصده فقلت: هو واحد من الجاهلية .

ونقل الهجري أن أول من أحمى الحمى بضرية عمر بن الخطاب احماه لا بل الصدقة وظهران الغزاة وأن سروح الغنم العادية من ضرية ترعى على وجوهها ثم تؤوب بضرية وذلك ستة أميال من كل ناحية ، وضرية في وسط الحمى ، فكان على ذلك حياة عمر وصدرا من ولاية عثمان ثم كثر النعم حتى بلغ أربعين الف بعير فضاق عنه الحمى ، فأمر عثمان أن يزاد ما يسع ابل الصدقة وظهران الغزاة زيادة لم يحددوها الا أن عثمان (ض) اشترى ماء من مياه بني ضبينة كان أدنى مياه غنى إلى ضرية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون أن البكرة دخلت في حمى عثمان ثم لم تزل الولاة تزيد فيه واتخذوه مأكلـة ، ومن أشهرهم فيه انبساطاً ابراهيم بن هشام المخزومي زاد فيه وصيق على أهله واتخذ فيه من كل لون من الوان الابل الف بعير (وفاء ٢ / ٢٢٩) .

« وكانت ضرية من مياه الضباب في الجاهلية لذي الجوشن الضبابي والدشمر قاتل الحسين بن علي » (وفاء ٢ / ٢٣٢) .

وقد ظلت هذه الأهمية الخاصة لضرية بعد الاسلام فيقول السمهودي وكان شان الحمى عند ولاة المدينة عظيما كانوا يستعملون عاملا وحده وكانت اصابته فيه عظيمة وكان لحواطه سلطان عظيم ، وحواط كل ناحية سادة القوم وأشرافهم ، وكان يقال لعامل الحمى عامل الشرف (وفاء ٢ / ٣٢٣) يظهر أن حمى ضرية قديم يرجى إلى زمن الجاهلية ، فقد كان في الشرف وهو منازل بني آكل المرار من كندة(ياقوت ٣/٢٨٥ وفاء ٢/ ٢٢٧ عن الأصمعي) والراجح أنه كان مقر حكمهم الذي سيطروا منه على قبائل نجد وبلادها ، وكان فيه أيضاً قبر كليب (وفاء ٢ / ٢٢ عن الجد) ولعل كليبا اتخذه مقراً له محاولا بذلك أن يرث ال كندة تقاليدهم وظل يحكم بقوة حتى قتل، فادى مقتله إلى سلسلة الحروب المدعوة بالبسوس والتي كان من هم آثارها عدم تكوين دولة كليبية تحل محل كندة ، والى اضطراب الأمن في الجزيرة، واقصاء تغلب عن هضبة نجد وابتعادها عن موقع ضرية الذي اخذت تحتله قبائل كلاب وغني .

ان هذه الاهمية الكبيرة لضرية لا ترجع الى أهمية موقعها الجغرافي بقدر ما ترجع الى أهمية مواردها ، حيث ان في هذه المنطقة أو قربهـا تقع أكثر مناجم الذهب في الجزيرة ولعل هذا من أهم عوامل نشوء وقوة كل من كندة وحكومة كليب التغلبي أي ان كلاً منهما اختار ضرية لكثرة مناجم الذهب فيها وليكون بمقدوره السيطرة عليها وبعد أن تم له ذلك أخذ يستخدم موارد هذه المناجم لتقوية مركزه وبسط سيطرته .

ثم ان ضرية كانت منطقة تكثر فيهـــا الآبار والينابيع والمياه التي تصلح لاتخاذ الزروع . وقد ذكر السمهودي نقلاً عن الهجري عدداً من الينابيـــع والمزارع التي حدثت في ضرية في العهد الاسلامي وأخبارها ولعل هـــذه المزارع كانت ترجع الى العصر الجاهلي وان المسلمين وسعوها أو أعادوا حفرها أو ان ازدهار الزراعة في ضرية في العصر الجاهلي كان دافعاً للمسلمين للالتفات اليها وإحيائها .

فمما ذكره السمهودي ان « عثمان رضي الله عنه اشترى ماء من مياه بني ضبِينة كان أدنى مياه غَنيّ الى ضرية يقال له البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون ان البكرة دخلت في حمى عثمان .. وكان ناس من الضباب قـــدموا على ولد عثمان فاستسقوهم بالبكرة فاسقوهم فلم تزل بأيديهم .

وحفر عثمان عيناً في ناحية أرض غني خارجة عن الحمى بناحية الماء الذي يقال له نفي على نحو خمسة عشر ميلاً من اضاخ ، وفقرت لها بها فقر كبيرة ، وابتنى عماله عندها قصراً اثرهبين، قرب واردات، مقبل ولم تجر فتركها العمال فلم يحرك ذلك السيح الى اليوم ، ودفنت غني في فتنة ابن الزبير عنصر العين وتلك الفقر فنسيت عيونه .

وأدنى مياه بني تميم الى اضاخ ماء يقال له اضيخ لبني الهجيم وقد دفن منذ دهر فقال ناس من بني عبد الله بن عامر لأصهار لهم من بـــني الهجيم : نحن نستسقى لكم آل عثمان فنسقى ، فرغبوا في ذلك فأجابهم آل عثمان فاستظعن

المجيميون قومهم اليه فلقيهم رعاء غنيٍّ، فسألوهم فقالوا : ان بني عثمان ولونا أمره . وقد أدّت هذه الخصومة الى اهمال هذا الماء فصار مواتاً في سنة مائة وخمس وخمسين .

واحتفر عبد الله بن مطيع حفيرة هي في أيدي الضباب على بريـــد من ضرية على طريق اضاخ للمدينة في ناحية شُعَبى.

وكان الكنديون يسقون وماؤهم يسمى الثريا .

وُقنيع ماء للعباس الكندي على ظهر محجة أهـــل البصرة في دارة من دارات الحمى يقال لها دارة عسعس فلما اجلى الكنديون عن قنيع تنازعت بنو ابي بكر بن كلاب وبنو جعفر فقالت ابو بكر :نحن احق بماء حلفائنا وقال الجعفريون: هو عند بيوتنا فنحن احق به ..« ثم اخذه الجعفريون » .

واحتفر بعض بني حسن بن علي بالحمى واتخذ الى جنب حفرته عينـــاً ساحت ثم خرجت في غربي طحفة بشاطيء الريان على ثلاثة عشر ميلاً من ضرية وهي بيد ناس من بـــني جعفر ثم من بني ملاعب الاسنة من جهة بني اختهم الحسنيين .

وكان لبني الأدرم وهم من بني تيْم بن لوىء ماء قديم على طريق أهل ضرية إلى المدينة على ١٨ ميلا من ضرية يسمى الجفره ومعهم نفر من بني عامر بن لوىء ، فاحتفر سعيد بن سليمان المساحقي العامري (القاري؟) عيناً واساحها وغرس عليها نخلا كثيراً على ميل او نحوه من حفر بني الأدرم بدارة الاسود جبل عظيم أسود ، وهي عامرة كثيرة النخل .

ولما ولى ابراهيم بن هشام المدينة احتفر بالحمى حفيرة بالهضب اليمنى على ستة اميـــال من ضرية على طريق البكرة الى ضرية سماها النامية واخرى بناحية شُعَبَى بين ضرية وحفر بني الأدرم على سبعة اميال من ضرية بواد يقال له فاضحة لأنه انفضاح أي أنفراج واتساع من جبال .

ولما هلك ابن هشام احتفر جعفر بن مصعب بن الزبير حفيرة الى جنب

حفيرة ابن هشام بفاضحة ونزلها بولده حتى مات،فاقام ابنه محمد بمنزلة أبيه حتى خرج محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن حسن فخرج مع محمد فلما قتل هرب الى البصرة ، ثم رجع الى فاضحة وتزوج من بني جعفر ، ثم من بني الطفيل فاولد عبدالله فزوجه ابنة القاسم بن جندب الفزاري وكان علماً من اعلام العرب ينزل باللواء وكان القاسم لا يسير أبداً ولم يكن حج قط،ولا يكاد يقدم ضرية واولاده عبدالله من ابنته في بقية من اموالهم بفاضحة .

واحتفر عبدالله حفيرة إلى جنب حفيرة جده ودفن حفيرة ابن هشـــام وأخفى مكانها، واحتفر جوشن مولى ابن هشام حفيرة على ميلين أو ثلاثة من حفر بني الأردم وحفرة المساحقي سماها الجوشنية ، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خديج من الانصار واحدثوا بقربها حفيرة بقطيعة السلطان فنازعهم محمد بن جعفر بن مصعب بحق بني الأدرم وكان من اشد الرجـــال فقاتلهم وحده .. واستعدى عليها الحسن بن زيد بالمدينة .. واختصموا في الجوشنية والحفيرة ، حتى قضى لبني الأدرم والمساحقي فكلمهم الناس فسبقوهم بها ، وكان الانصاريون أهل عمود وماشيه ، فلما كانت الفتنة اكلتهم الصوص من قيس من كلاب وفزارة فلحقوا بطيء وناسبوهم فامنوا مددر ، ثم أغارت عليهم لصوص فتفرقوا وتركوا البادية ، وكانت بنو الادرم وبنو بجير القريشيون قد كثروا بالجفر ، ثم وقع بينهم شر وكان جيرانهم من قيس يكرمونهم، فلما تفاسدوا جعل بعضهم يهيج اللصوص على بعض فنهبهم بنو كلاب وفزارة وقتلوا بعض رجالهم فلحقوا بالمدينة وتفرقوا (وفاء ٢ / ٢٢٩ – ٢٣٢) .

« وأما عين ضرية وسيحها فيقال انه كان لعثمان بن عنبسة بن أبي سفيان وهو الذي حفرها واغترس النخل وضفر بها ضفيرة بالصخر لينحبس الماء وهو سد يعترض الوادي فيقطع ماءه وينحبس زمانا ليكون أغزر للعين ، فلما قام أبو العباس كان ذلك فيما قبضوا ، ففي آخر ولاية أبي العباس وكانت تحته أم سلمة المخزومية من بني جعفر بن كلاب وفد أخاها معروف بن عبد الله عليه فأكرمه فسأله أن يقطعه عين ضرية فاقطعه وكان بدوياً ذا زرع فلما ارطب نخلها نزلها باهله وكانت نعمه ترد عليه وسأله ناس من ضرية أن يعريهم

من نخله فاعراهم وصار يجني للضيفان من الرطب ويحلب لهم من ابله فمكث نحو شهرين فاتاه ضيفان بعد ما ولى الرطب فارسل فلم يؤت الا بقليل وقال له الرسول: ذهب الرطب الا ما ترى فقال: يسوءني أن أعود على ضيفاني من نخلكم، وكان قيمه على العين زرع قثاءا وبطيخا فأتاه بشيء منه فقال: قبح الله ما جئت به واحذر أن يراه عيالي، وكره النخل وأراد بيعه فاشتراه منه عبد الله الهاشمي عامل اليمامة بالفي دينار ثم ولاه ابا جعفر بن سليمان اذ سأله اياه فاحدث بسوق ضرية حوانت جعلها سماطين داخلين في سماطي ضرية الأولين فيهما نيف وثمانون حانوتاً فربما جمعت غلة الحوانيت والنخل والزروع ثمانية آلاف درهم في السنة (وفاء ٢/٢٣٢ — ٣).

« ولما ولي أبو خليد العبسي خال الوليد عمل ضربة نزلها وحفر في جوف الشاة في حق غني فقيرة، فلما ولي بنو العباس هدمت عنى تلك الحفرة وسووها بالأرض وفاء ٢ / ٢٣٣) ولبنى عبس ماء في شعب يقال له الأسودة ولهم بالحمى ما يقال له ضحح في ابط رميلة الحسى حسى بني حصبة . ولهم الحاء بها نخل كثيرة ولهم مياه أخرى (وفاء ٢ / ٢٣٣).

ولضرية أهمية كبرى كمرعى فيقول الأصمعي «كان يقال من تصيف الشرف وتربع الحزن وشق الصمان فقد أصاب المرعى » (ياقوت ٣ / ٢٨٥ وفاء ٢ / ٢٢٧).

« وحكى ابن جني في «النوادر الممتعة» عن الفضل بن اسحق قال هو أو قال بعض المشيخة. لقيت اعرابياً فقلت ممن الرجل ؟ فقال من بني أسد فقلت فمن أين أقبلت؟ قال من هذه البادية قلت : فأين مسكنك منها ؟ قال مساقط الحمى حمى ضرية بأرض لعمر الله ما نريد بها بدلاً ولا عنها حولاً، قد نصحتها الغدوات وحفتها الفلوات فلا يملولح ترابها ولا يمعر جنابها ليس فيها أذى ولا قذى ولا وعك ولا موم ولا حمى، فنحن فيها بأرفه عيش وأرغد معيشة » (وفاء ٢/٢٣٤).

وتؤكد المصادر ان عمر حمى الحمى من أجل ابل الصدقة فتروي عدة

مصادر ان عمر كان يحمل على ٣٠ الف بعير في سبيل الله كل سنة (ابن سعد ٣ -١\٢٣٠ عن الواقدي)

يذكر مالك انها ٤٠ الفاً (اموال ٧٤٢ وفاء ٢/٢٢٥ ويضيف السمهودي عن مالك « بلغنا ان الخيل التي أعدها عمر (ر ض) ليحمل عليها في الجهاد ومن لا مركوب له عدتها أربعون الفاً».

وقد حمي النقيع لخيل المسلمين ، والربـذة والشرف لا بل الصدقة (ابن سعد ٣-١/٢٢١عن الواقدي) .

ويروي زيد بنأسلم عن أبيه «رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنهاستعمل مولى له على الحمى فقال له ويحـك يا هني اضممجناحك عن الناس واتق دعوة المظلوم فان دعوته مجابة،ادخل لي رب الصريمة ورب الغنيمة ، ودعني من نعم عثمان بن عفان وابن عوف ، فان ابن عفـان وابن عوف ان هلكت ماشيتهما رجعا الى المدينة الى نخل وزرع وان هذا المسكين ان هلكت ماشيته جاءني يصيح:يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين!! والماء والكلأ اهون عليّ من ان أغرم له ذهباً أو ورقاً ، والله ان هذه لبلادهم قاتلوا عليها في الجاهلية واسلموا عليها في الاسلام ،ولولا هذا النعم الذي احمل عليه في سبيل الله ما حميت علىالناس من بلادهم شيئاً (ابو يوسف الخراج ١٠٥ ، وفاء ٢/٢٢٥) . ويذكر القاسم بن سلام بعد ايراده هذا النص « قـال اسلم فسمعت رجلاً ، من بني ثعلبة يقول يا أمير المؤمنين حميت بلادنا قاتلنا عليها فيالجاهلية،وأسلمنا عليها في الاسلام، يرددها عليه – مراراً وعمر رافع رأسه اليه فقال : البلاد بلاد الله ، وتحمى لنعم مال الله يحمل عليها في سبيل الله » (سلام فقرة ٧٤٠/٧٤٠)

يتبين من هذا النص : (١) ان الاحماء للمصلحة العامة . (٢) يقررهـــا الخليفة . (٣) يشمل اراضي كان بعض الناس قد وضعوا أيـــديهم عليها . (٤) انها لأغراض الرعي . (٥) يباح للنـــاس استعمالها فهي ليست ملكية خاصة . (٦) يجوز منع بعض الناس أو كلهم عنها . (٧) ليست لهـــا صبغة قدسية أو دينية أو لأغراض دينية .

يقول الشافعي: « وقول عمر : لولا المال الذي أحمل عليه في سبيل الله ما حميت على المسلمين من بلادهم شبراً . اني لم احمهـــا لنفسي أو لخاصتي واني حميتها لمال الله الذي أحمل عليه في سبيل الله ، وكانت من أكثر ما عندي مما يحتاج الى الحمى فنسب الحمى اليها لكثرتها وقد أدخل الحمى خيل الغزاة في سبيل الله فلم يكن ليحمل عليه اولى بما عنده من الحمى مما تركه أهله ويحملون عليها في سبيل الله لأن كلا لتعزيز الاسلام ، وأدخل فيها الابل الضوال لأنها قليل لعوام من أهل البعد » ... « ان ما دخل ما فضل من سهمان أهل الصدقة من ابل الصدقة وهم عوام من المسلمين يحتاجون الى ما جعل لهم مع إدخاله من ضعف عن النجعة ممن قل ماله وفي تماسك أموالهم عليهم غنى عن أن يدخلوا على أهل الفيء من المسلمين وكل هذا وجه عام النفع للمسلمين » (الأم ج ٣ ص ٢٧١) .

لقد اثارت مسألة الحمى مشكلات كثيرة وكانت من القضايا التي أخذها بعض المسلمين على الخليفة الثالث عثمان فيروى أبو مخنف باسناده :« انكر على عثمان ما أنكر عليه ان حمى الحمى » وهذا كلام غير دقيق ، إذ ان عثمان لم يبدأ باحماء الحمى ، بل سبقه في ذلك الرسول وأبو بكر وعمر ولا يكون هذا التعبير صحيحاً الا إذا افترضنا أن ابا مخنف يشير إلى حمى معين .

وقد نقل الواقدي عن معمر عن الزهري ، ان عثمان حمى النقيع لخيل المسلمين وكان يحمل في كل سنة على خمسمائة فرس والف بعير . وكانت الابل ترعى بناحية الربذة في حمى لها (انساب ج ٥ / ٣٨) غير أن هذه الرواية تناقض الروايات المتعددة الأخرى التي تقول: إن الرسول هو الذي حمى النقيع.

تشير المصادر الى حمى فيد (انظر ياقوت ٢/٣٤٣ وفاء ٢/٢٢١) ويذكر السمهودي: «وفيد منزل في طريق الحاج العراقي مسيرة يوم(؟)من المدينة..

يقول الأسدي: وفيد « لطيء لبني نبهان وبه أخلاط من اسد وهمدان وغيرهم وبه ثلاث عيون ، عين النخـــل احتفرها عثمان بن عفان ، والأخرى تعرف بالحارة في وسط الحصن والسوق احتفرها المنصور ، والثالثـــة تعرف

بالباردة على الطريق خارج المنزل حفرها المهدي وبفيد آبار كثيرة قصيرة الرشا » .

ويقول الهجري : واما حمى فيد وصفته فلم اجد احداً عنده علم ممن كان اول من احماه ولا كم كانت سعته اول ما احمى ، الا ان فيداً كان موضعه الذي هو به اليوم فلاة من الأرض بين بني اسد وطيء . وكانت الى جبل طيء أقرب فذكر أهل العلم ممن لقيت من اهله انه التقطت به ركيتان كانتا جاهليتين التقطهما اناس من بني ابي سلام ومعهم نفر من طيء وهم يرعون هناك في ولاية بني مروان ، وان اول من حفر به حفراً في الاسلام ابو الديلم مولى فزارة فاحتفر العين التي هي اليوم قائمة واساحها وغرس عليها ، وكانت في يده حتى قام بنو العباس فقبضوها فهي اليوم في ايديهم (وفاء ٢/٢٣٥-٦) .

ويعقب السمهودي على كلام الهجري بقوله « وكأنه لم يقف على ما ذكره الاسدي من عين عثمان رضي الله عنه ولعله أول من احماه» (وفاء ٢/٢٣٦).

فاذا صح هذا الاستنتاج يكون مبعث الانتقاد على عثمان هو اتخاذه فيداً حمى ، وهذا عمل لا يثير كافة المسلمين بل لا بد انه أثار بعضهم .

وقد نقل السمهودي ملخص البحث المفصل الذي ذكره الهجري عن حمى فيد .

تذكر روايات أخرى ان عثمان زاد في الحمى فيروي ابو مخنف ان الثائرين على عثمان كان مما عابوه عليه فقالوا : زدت في الحمى لا بل الصدقة على ما حمى عمر فقال انها زادت في ولايتي (انساب ٥/٦٢) فقالوا أرأيت ما حميت من الحمى الله اذن لك ؟ ام على الله تفتري ؟ . فقال : امضه . نزلت في كذا وكذا قال وأما الحمى فان عمر حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة فلما وليت زادت ابل الصدقة فزدت في الحمى لما زادت ابل الصدقة (طبري ١/٢٩٦٣) .

ويروي الطبري ايضاً ان عائشة خطبت من مكة بعد مقتل عثمان ، وكان مما قالته : «اجتمعوا ان عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الأرب واستعمال من حدثت سنه وقد استعمل اسنانهم قبله ، ومواضع من مواضع الحمى حماها لهم وهي امور قد سبق بها لا يصلح غيرها» (طبري ١/٣٠٩٧) .

وروى الطبري ان عثمان قال « وقالوا حميت حمى ، واني والله ما

(٣٨)

حميت، حميَ قبلي،والله ما حموا شيئاً لأحد ، ما حموا إلا ما غلب عليه أهل المدينة ثم لم يمنعوا من رعيه واحداً واقتصروا لصدقات للمسلمين يحمونها لئلا يكون بين منيليها وبين أحد تنازع. ثم ما منعوا ولا نحّوا منها أحدا إلا من ساق درهما ومالي من بعير غير راحلتين ، ومالي ثاغية ولا راغية واني قد وليت واني أكثر العرب بعيراً وشاءاً فمالي اليوم شاة ولا بعير غير بعيرين لحجي » (طبري ٢٩٥٢/١) .

وقد أشارت المصادر الى اضافات عثمان للحمى وتوسيعه إياه فيروي الهجري ان حمى ضرية كان ستة أميال من كل ناحية « حياة عمر وصدراً من ولاية عثمان ثم كثر النعم حتى بلغ أربعين الف بعير فضاق عنه الحمى فأمر عثمان ان يزاد ما يسع ابل الصدقة وظهران الغزاة فزاد زيادة لم يحددوها الا ان عثمان اشترى ماء من مياه بني ضبينة كان أدنى مياه غنى الى ضرية يقال لها البكرة عند هضبات يقال لها البكرات على نحو عشرة أميال من ضرية يذكرون ان البكرة دخلت في حمى عثمان (وفاء ٢٢٧/٢) غير ان هذا العمل لا يكفي لتوضيح سبب الاحتجاج الشديد على عثمان بسبب الحمى .

الامويون والحمى :

لم يذكر من العصر الاموي سوى حمى واحد ، فيروي ابن شبة عن ابي عبيدة « كان زياد قد أرعى مسكيناً الدارمي حمى له بناحية العُذيب في عام قحط حتى اخصب الناس (اغاني ٦٨/١٨) .

ونحن نرجح ان الامويين لم يحاولو إحماء حِمَى جديد تحاشياً من أن تحدث لهم المشاكل التي حدثت لعثمان. واكتفوا بتوسيع الحمى التي كانت مقررة قبل مجيئهم .

ولا شك ان الاحماء كانت تحدث مشاكل فان الروايات تظهر أن الغرض الرئيسي منها هو مراعي للأبل والخيل ، وربما الاغنام . غير أن خصوبة ارضها كان يودي الى تجاوزات عليها مما كان يتطلب حراسة قوية واشتباكات غير قليلة سجلت الكتب بعضها . يضاف الى ذلك ان تطور الحياة الاقتصادية

ومحلولات احياء الاراضي الزراعية امتدّ الى هذه المناطق . وان هذا الإحياء كان يؤدي الى خلق الملكيات الفردية في داخل الحمى والى تقليص مساحة المراعي فيه مما يتطلب اضافة أراض جديدة اليه لتعوض عما تفقده المراعي من مساحات وهكذا كانت الاحياء مناطق معرضة لكثير من المشاكل الاقتصادية والمالية فضلاً عن مشاكل الأمن الذي يحدث نظراً لموقعها النائي نسبياً في الصحراء، وبعدها عن مقرات الجيوش ، وسعة مساحاتها وانكشاف حدودها وكثرة البدو القريبين منها ، الامر الذي يتطلب لها ادارة قوية وحراسة يقظة .

وغير ان إدارة الحمى لم تقتصر على حمايته من التجاوزات ، بل كان عليها ان تنظر أيضاً في حل كثير من المشاكل التي كانت تحدث بين الرعاة والزراع أنفسهم أو مع بعضهم ، هذا فضلا عن الاشراف على ابل الصدقة ومواشيها . وهو أمر غير سهل .

يروي ابن سعد ان عمر بن عبد العزيز « كتب فيما حمى من الأرض الا يمنع احد مواقع القطر فابح الاحياء ثم اباحها » (سعد ٥/٢٨١) .

ويروي ابن عبد الحكم انه كتب « ونرى ان الحمى يباح للمسلمين عامة . وقد كانت تحمي فتجعل فيها نعم الصدقات فيكون في ذلك قوة ونفع لأهل فرائض الصدقات ، وادخل فيها وطعن فيها طاعن من الناس فنرى في ترك حماها والتنزه عنها خيراً إذا كان ذلك من امر وإنما الامام فيها كرجل من المسلمين ، انما هو الغيث ينزله الله لعباده فهم فيه سواء » (سيرة عمر بن عبد العزيز ص ٨١) .

وقد كانت بجانب الاحماء العامة ، أحماء شخصية ، وقد اشار جرير الى ذلك بقوله :

ونرعى حمى الاقوام غير محرم علينا ولا يرعى حمانا الذي نحمي

وقد روى ابن عبد البر ان عمر بلغه عن يعلى بن امية وكان عاملا على اليمن انه حمى لنفسه فأمره ان يمشي على رجليه الى المدينة فمشى اياماً الى صعدة فبلغه موت عمر فركب » (وفاء ٢/٢٢٥) .

الدكتور صالح العلي

نظرة في جغرافية شبه الجزيرة العربية

في المصادر اليونانية القديمة

[مهداة للأخ الدكتور جواد علي مع التقدير] س.س.

قسّم معظم الجغرافيين الرومان الذين كتبوا عن شبه الجزيرة العربية بلاد بلاد العرب إلى ثلاثـــة أقسام : العربية الصحراوية (Arabia Deserta) وقصدوا بها الصحاري العربية التي عرفوها ؛ والعربية الصخرية Arabia Petra) وهي بلاد الأنباط ثم العربية السعيدة Arabia Felix) . وسنقصر كلامنا هنا على القسم الأول من هذا التقسيم . ولكن الجغرافيين والكتاب اليونانيين القدامى حسب ما يظهر لم يكونوا على علم بهذا التقسيم والاصطلاح الذي استعملوه للدلالة على المناطق العربية التي عرفوها كان بلاد العرب الصحراوية (Arabia Eremos) . وقـــد عرف الكتاب اليونانيون بلاد العرب وخاصة الأقسام الشمالية من شبه الجزيرة العربية الحالية والصحراء السورية وهي المنطقة التي سماها جغرافيو الرومان بالعربية الصحراوية وكتبوا عنها فقد ترك سترابون Strabo بعض الملاحظات عنها معتمداً على كتابات كل من ايراتو ستينيس Eratosthenes وارتيميدوروس Artemidoruse وكتب عنها أيضاً كلٌ من ديودوروس الصقلي Diodorus siculus وأريانوس Arian إلى جانب ما تقرأه في كتابات هيردوتس Herodotus وزينفون (Xenophon).

فقد اطلق هيردوتس على التلال الشرقية في مصر والمحاذية لساحل البحر الأحمر اسم جبال بلاد العرب (Mountains of Arabia) وقال عنها (... وقد كانت هذه الجبال مصدر الصخور التي بنى الفراعنة منها أهراماتهم في ممفيس (Memphis) وان امتداد الجبال الشرقية هذه (أي عبر البحر الأحمر المواجه للساحل المصري) على مسافة مقدارها شهرين (طبعاً على خيل أو حمير) كثيرة البخور ...)[1] فعلى حد تعبير هيردوتس فان تلال مصر الشرقية تمتـــد عبر البحر الأحمر إلى جبال السراة التي تسير بموازاة

الساحل الغربي في شبه الجزيرة العربية. وفي مكان آخر حينما يقارن هيردوتس التربة المصرية مع ترب الأقطار المجاورة يقول (... بأن الأراضي السورية والعربية مكونة من صخور وأتربة)[٢]. ووصف هيردوتس هذا للتربة العربية يصدق على تكوينات منطقة الحماد التي يذكر من اخترقها وجاب فيها من الرحالة كونها مؤلفة من الحجر الجيري (Limestone) وهي مناطق ذات احجار وصخور وحصى وأتربة[٣].

وقد ذكر زنفون بلاد العرب لأول مرة عندما ذكر الأمم التي غزاها كورش الأكبر Cyrus حيث قال: (.. ولكن كورش... بدأ حملاته بعصبة صغيرة من الفرس صار بعدها زعيماً للميديين بحكم اختيارهم ثم الهيركانيين (Hyrcanians) بمحض رغبتهم ثم غزى بعد ذلك سوريا وآشور وبلاد العرب ...)[٤]. ولا نريد هنا مناقشة هذه العبارة من الناحية التاريخية حيث وردت فيها بعض الأخطاء الواضحة ولكن يظهر ان المقصود فيها من كلمة بلاد العرب هو القسم الذي يتاخم نهر الفرات من بلاد العرب الصحراوية. ثم يذكر ما يلي: (... وبنفس الوقت غزا الملك الآشوري كل سوريا ... وجعل من ملك بلاد العرب تابعاً له ...[٥]). وبالطبع لا نعرف من هو هذا الملك الذي لم يذكر الكاتب لنا اسمه ولا بد انه كان من شيوخ القبائل العربية التي تاخمت مضاربها البلاد السورية. وفي عبارة أخرى يقول زينفون بأنه عندما كان كورش الأكبر (... في طريقه الى بلاد بابل اخضع فريجيا وكبادوكيا وجلب العرب تحت حكمه) فعرب زينفون دون شك هم الذين يقطنون حوالي نهر الفرات. ولم ينس زينفون ذكر اسم الحاكم الذي عينه هذا الملك الفارسي لحكم بلاد العرب التي أخضعها على حد تقديره وهو ميكابيزوس (Micabyzus)[٧]، ويذكر أريانوس طريقاً كان يربط مصر مع بلاد بابل عبر شبه جزيرة العرب (... وبالنسبة الى رجال جيش قمبيز الذين وصلوا بسلامة وأمان من مصر إلى شوشة والرجال الذين أرسلهم لبابل بطليموس بن لاجوس إلى سلوقس نيكوتار فقد ذهبوا عبر مضيق بلاد العرب (isthmus of Arabia) قاطعين ثمانية أيام في بلاد خالية من الماء صحراوية. فقد ذهبوا بسرعة راكبين الجمال حاملين

على ظهورها الماء الذين يحتاجونه ومسافرين أثناء الليل . ففي النهار لم يكن بمقدورهم البقاء تحت السماء لشدة الحر . فالبلاد ما بعد هذه المنطقة تمتد من الخليج العربي حتى البحر الأحمر بالضرورة خالية من السكان والأقسام التي تمتد الى شمالها صحراوية ورملية)[٨] . ومضيق بلاد العرب هو بالطبع خليج العقبة . فأي طريق قد سلكه هؤلاء الى بابل من مصر ؟ فهل اتبعوا الطريق من العقبة إلى وادي السرحان فالجوف فالوديان — سكاكا — بدنة (عرعر) ثم الى نهر الفرات فبابل ؟ فالزمرتان اللتان قطعتا الطريق في أوقات مختلفة (الأولى حوالي سنة ٥٢٠ ق.م. والثانية حوالي سنة ٣٢٠ ق. م. أي بفارق يقدر بحوالي مئتين من السنين) سارتا دون شك في طريق واحد يظهر أنه كان مطروقاً ومعروفاً طوال هذه المدة . وقد يكونون قد سلكوا طريقاً آخر يبدأ من المضيق العربي إلى تيماء التي نعرف أهميتها في العصور القديمة كأحد مراكز لعبادة الاله القمر والتي اتخذها بنونيذ الملك البابلي حوالي سنة ٥٤٠ ق. م. قاعدة ومركزاً لملكه سكنها بنفسه ، ثم إلى موقع حائل الحالي فبابل . ولكن الطريق الثاني أطول من الطريق الأول . وذكر لنا أريانوس بان الجماعتين قطعتا الطريق في ثمانية أيام ، وربما يكون الكاتب قد أخطأ في عدد الأيام حيث ان قطع المسافة يستلزم وقتاً أطول بقليل من الثمانية أيام التي ذكرها خاصة وان المسافرين كانوا يسيرون أثناء الليل فقط . وعلى أي حال فربما كانت مبالغة اريانوس هنا ضئيلة ان لم يكن كلامه صحيحاً إذا ما كانوا قد أخذوا الطريق الأول. ومن الأمور التي تعرض لهـا أريانوس هي رغبة الاسكندر المقدوني في الذهاب إلى الأرض العربية الذائعة الصيت (بلاد العرب السعيدة) حيث يقول: (.. ولهذا السبب فقد أبحر الاسكندر في نهر پللاكوتاس (Palla cottas) واستمرّ برحلته في ذلك النهر الى الاهوار المؤدية الى بلاد العرب)[٩] . فنهر الپللا كوپاس (البللا كوياس) هو نفسه على الأكثر نهر الأبكللاتوم (Apkallatum) في جنـوب العراق والذي كان يجري من الغرب الى الشرق ويصب في نهر الأراختو الى الجنوب من مدينـة بابل ويشكلان سوية نهراً واحداً يصب فيه بعد ذلك وإلى الجنوب من مدينة

نُفَّر (Nippur) نهر الايتورونكال (Iturungal) [١٠] . ولكن السير في هذا النهر والأهوار المتصلة به لا يؤدي في النهاية الى بلاد العرب السعيدة إلا إذا كانت تلك البـــلاد في نظر الاسكندر أو أريانوس (الذي كتب عن حملات هذا الملـــك في آسيا) عبارة عن الاراضي المطلة على الخليج العربي (البحر العربي) . ولكن أريانوس عند كلامه عن البحر العربي أمثال اشارته الى جزيرة ايكاروس (Icarus) التي تبعد على حـــد تقديره ١٢٠ ستديا عن الساحل الجنوبي لبلاد الرافدين وغاباتها الكثيفة وغزلانها المحببة لدى أرتميس ومعبد أرتميس فيها ثم الى جزيرة تيلوس (Tylus) دلمون قديماً ، والبحرين حالياً) لم يذكر كون هذه المناطق أجزاء من بلاد العرب السعيدة [١١] ،علماً بأن البحر العربي قد ورد ذكره بأسمـــاء مختلفة مثل ساينوس برسيكوس (Sinus Persieus) وبرسيكوس كولوبوس (Periscus Colopos) والبحر الفارسي (Persicy Thelassa) و Perisco Polagos و Persicus Sinos .

وأمدّنا المؤرخ ديودوروس الصقلي ببعض الملاحظات التي نرى ضرورة في التعليق عليها ؛ فبعض الأراضي من بـــلاد العرب الصحراوية قد أدمجها ديودوروس في بلاد العرب الصخرية (... هذه البلاد (أي بلاد العرب) تقع بين سوريا ومصر ومقسمة بين شعوب ذات مزايا وصفات متباينة . والآن نرى الأجزاء الشرقية مسكونة من قبل العرب الذين يسمون بالأنباطويميشون في منطقة جزء منها صحراوي وآخر قاحل لا ماء فيه ولو ان هناك جزءاً صغيراً خصباً مثمراً [١٢]) . ولو ان هذه العبارة صحيحة من الوجهة التاريخية فالدولة النبطية قد اشتملت على أقسام صحراوية واسعة وخاصة في صحاري النقب وسيناء وبعض الاقسام الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية . ولكن يظهر بصورة واضحة بأن ديودوروس لم يكن لديه خط واضح فاصل بين العربية الصحراوية والصخرية كما عند الجغرافيين الرومان .

وبصدد رأيه في موقع بلاد العرب السعيدة يذكر هذا المؤرخ:(... ذلك الجزء من بلاد العرب الذي يتاخم الأرض الصحراوية الخالية من الماء يختلف

عنها في كثرة فواكهه وطيب صفاته الأخرى ولهذا السبب فقد اطلق عليه اسم بلاد العرب السعيدة) [١٣] .

ثم يستمر بالقول: (... ذلك الجزء من بلاد العرب ككل والذي يقع الى الجنوب يسمى بلاد العرب السعيدة ولكن الأقسام الداخلية منه تحوي أعداداً غفيرة من العرب الرحالة الذين اختاروا حياة الخيام ورعي الحيوانات ومضاربهم كثيرة السعة)[١٤] . ويظهر من العبارتين السابقتين بأن ديودوروس قد قصد بالعربية السعيدة المناطق المطلة على الخليج العربي . ويؤكد افتراضنا هذا في اعتقاد ديودوروس العبارة التالية التي يقول فيها: (ان المنطقة التي تقع بين هذا القسم (ويقصد به منطقة الحماد على أكثر احتمال) والعربية السعيدة هي صحراء خالية من الماء والأقسام من البلاد العربية التي تقع الى الغرب نجد فيها الصحاري الرملية الواسعة كالفضاء في سعتها والتي يجد المسافرون فيها أنفسهم كاخري عباب البحر يهتدون في مسيرهم بعلامات ...) [١٥] . والصحراء الغربية هذه التي يذكرها هنا ديودوروس لا تعدو صحراء النفود التي تجثم على الحافة الجنوبية الغربية من الصحراوية العربية . وهذه العبارة الى جانب ذلك تؤكد اقتناع ديودورس بأن العربية السعيدة هي تلك المناطق المطلة على الخليج العربي . ويضيف الى براهيننا حولها قوله: (... فالبلاد العربية التي تقع على طول البحر تكون فوق بلاد العرب السعيدة ولما كانت تقطعها الأنهار العظيمة فان الكثير من مناطقها مغطاة بالمياه الراكدة ومساحات شاسعة من المستنقعات) [١٦]، حيث ان بالزاوية الشمالية الشرقية والشمالية من منطقة الخليج العربي تقع الاهوار الكلدانية (في جنوب العراق) يقطعها بالطبع نهرا دجلة والفرات . ويشارك ديودوروس زينوفون بأن المنطقة المحاذية لنهر الفرات جزء من بلاد العرب أيضاً والصحراوية بالطبع ، حيث يكتب ما نصه: (والجزء المتبقي من بلاد العرب والذي يقع باتجاه سوريا فيه الكثير من الفلاحين وتجار مختلف الأصناف) [١٧] .

وعندما نأتي على المعلومات الجغرافية التي سطرها سترابون نجد فيها الى جانب غزارة المعلومات الشخصية ما نقله من المؤرخين والجغرافيين الآخرين

الذين لم نصل كتاباتهم الينا بعد. فسترابون يذكر لنا ما كتبه كل من ايراتوسثينيس وأريتميدوروس عنها . فيخبرنا سترابون معلقـــاً على كتابات لهوميروس عن جزيرة العرب يقول فيها: (وبالنسبة الى الهند فان هوميروس جاهل بأحوالها فلو كان يعرف عنها لما كان قد أعرض عن ذكرها . ولكن هوميروس يعرف عن بلاد العرب التي تدعى في الوقت الحاضر بالبلاد المباركة Blest . وفي زمنه لم تكن ثرية ولم تكن خالية من الموارد فحسب بل كانت مسكونة من قبـل ساكنى الخيام)[١٨] . فيظهر ان سترابون عنى بلاد العرب السعيدة بينما قصد هوميروس من بلاد العرب المناطق الصحراويـة الشمالية واعتقد سترابون خطأً بأنه وهوميروس يتكلمان عن منطقة واحدة وبلد واحد . وان أول تعليق لسترابون عن بلاد العوب الصحراوية عندما وضع الاقطار في تسلسل جغرافي ، (... وبعد بلاد الرافدين تأتي الأقطار التي تقع على هذا الجانب الآخر من نهر الفرات ، وهذه هي كل بلاد العرب السعيدة والتي يحدها كل سواحل الخليـج العربي والخليـج الفارسي ، وكل البلاد التي يقطنها ساكنو الخيام والقبائل التي تحكمها الشيوخ والتي تصل الى الفرات)[١٩] . ونلاحظ في هذه بأن سترابون قد وضع منطقة على شكل مثلث للصحراء العربية وقاعدة المثلث عند كل من راس الخليـج الفارسي (الخليـج العربي حالياً) والمضيق العربي (خليـج العقبة) ولا نعرف هل ان سترابون قد أدخل في تعبيره المضيق العربي خليـج السويس أم لا . وعن الحدود الشمالية والغربية والجنوبية للعربية الصحراوية فيقدم لنا سترابون عنها تعقيب ايراتو سثينيس:(فقد قال عن الحدود الشمالية او الصحراء والتي هي قسم من بلاد العرب والواقعة بين بلاد العرب السعيدة والسهل السوري الاوسط (المنطقة بين السلسلة الغربية والشرقية من جبال لبنان وامتدادها) (Coele-syria) وهضبة فلسطين الوسطى وممتدة حتى نهايات الخليـج العربي، اي عند مدينة هيرايس (Heraes) والتي عند نهاية المضيق العربي قرب نهر النيل والحافة في اتجاه بطرا الانبـاط حتى بابل هي ٥٦٠٠ ستاديا وان جميـع الرحلة كانت في اتجاه شروق شمس الصيف وخلال اقطار القبائل العربية القريبة واقصد بها قبائل الأنباط والجولايتين(Chaultae ans) والاكريين(Agraeans) . وفوق هذه تقع بلاد العرب السعيدة التي تمتد الى مسافة ١٢ ألف ستاديا جنوباً

باتجاه المحيط الاطلسي[٢٠] . ومن هذه العبارة يتضح بأن كلمة المضيق العربي عند سترابون ربما قصد بها نفس ما قصد ايراتوسثينيس في شمولها لخليج السويس ايضاً . فايراتو سثينيس قد أطال حدود البلاد العربية الصحراوية من الشمال الغربي وجعلها حتى هيرابوليس في نهاية خليج السويس ولكنه وضع الحد الجنوبي لها عند مدينة بابل . ولكن هذا الخط للحدود نفسه يختلف عن تقديرات سترابون الذي يجعل المسافة أقل بـ ٢٠٠ ميل مع العلم بأن الأخير يضع الحد هذا بالخط الذي يصل بين الخليج العربي والخليج الفارسي لا مدينة بابل . واورد سترابون بعض التعليقات عن الحدود الشرقية والجنوبية الشرقية لبلاد العرب الصحراوية منها قوله. (... فالفرات والبلاد التي وراءه تؤلف حدود الامبراطورية الفرثية ولكن الاقسام على هذا الجانب من النهر فهي تحت سيطرة الرومان ورؤساء القبائل العربية حتى بلاد بابل ...)[٢١] . ثم اضاف الى هذا بأن يحد سوريا من الشرق نهر الفرات وسكنة الخيام العرب على جوانب هذا النهر . ومن هذا يظهر بأن سترابون يشعر بأن حدود بلاد العرب الصحراوية الشرقية هو نهر الفرات وذلك عندما يجعل منطقة شيوخ القبائل العربية حتى بلاد بابل والتي تكون بحد ذاتها احد الحدود الجنوبية لهذه المنطقة .

وعن الحدود الجنوبية الشرقية يذكر سترابون (... تبدأ بلاد العرب على جانب بلاد بابل ومايسين Maecene وامام مايسين تقع الصحراء العربية على جوانب واصل والاهوار الكلدانية على الجانب الآخر ..)[٢٢] . فسترابون يضع منطقة مايسين في بلاد العرب ويظهر من فحوى عباراته بأن بلاد مايسين تقع على طول الخليج العربي في بلاد بابل قرب مصبات نهري دجلة والفرات. ويحدها من الشمال الغربي الصحراء العربية ومن الجنوب الغربي الأهوار الكلدانية. ولما كانت هذه الأهوار تبدأ آنذاك بحوالى ٦٠ كيلومتراً الى الجنوب والجنوب الغربي من بابل ، فان بلاد العرب الصحراوية على هذا الأساس لا بد وانها تصل في زعمه الى قرب مدينة الحيرة القديمة (الكوفه – النجف الحاليتين) وهذا قد يعني بأن سترابون قد اعتبر الأهوار الكلدانية التي تنتشر الى الجنوب الشرقي

جزءاً من بلاد العرب السعيدة. وقد ذكر ايراتوسثينيس وارتيميدوروس وسترابون خطاً للمواصلات في المنطقة الجنوبية . ويذهب هذا الخط اما من بابل أو من جيرا Gerra في الاحساء على الخليج العربي الى الشمال نحو بطرا ماراً بمنطقة الجوف . وقد ذكر السيد جرانت Grant بأن الجزء الوسطي من هذا الطريق والذي يمر في صحراء النفود يصل حداً يستحيل معه المرور[٢٣]. ويؤيد موزل صعوبة هذا الطريق مضيفاً بأن تركيبات اللافا للتربة مسؤولة عن هذه الصعوبة[٢٤] .

والفرات يشكل الحد الشرقي لبلاد العرب الصحراوية (.. فالقسم الواقع قرب النهر (الفرات) تسكنه الأعراب من سكنة الخيام الذين ينقسمون الى عدة حكومات صغيرة وتعيش في مساحات قليلة قاحلة لحاجتها إلى الماء ... وبعد هؤلاء الناس تقع صحراء رملية واسعة[٢٥] ..) .

وأدرك سترابون بأن الصحراء العربية هي جزء من الصحاري الممتدة الى شمال افريقية[٢٦] . أما الجولويتين والأكريين اللذان ذكرناهما فلا نعرف عنهما الآن شيئاً والأول ربما كانت عاصمتهم في منطقة الجوف ويسيطرون بذلك على القسم الأوسط من بلاد العرب . أما الأكريين فقد يكونون من سكنة السواحل الشرقية (شواطىء الخليج العربي الحالي) علماً بأن ايراتو سثينيس الذي ذكرهم قد وضعهم في تسلسل جغرافي (الأنباط، الجولويتين والأكريين) وهذا التحديد الجغرافي لهذه الأقوام يطابق هذا التسلسل[٢٧] فالجغرافيون اليونانيون في كتاباتهم عن شبه الجزيرة العربية قد قسموها الى منطقتين رئيستين ، هما بلاد العرب السعيدة ومنطقة ثانية أطلقوا عليها أسماء متعددة مثل (البلاد الصحراوية في الشمال) (الأرض الصحراوية الخالية من الماء بالشمال) (ذلك الجزء من بلاد العرب الواقع باتجاه سوريا) . فالبقاع التي لم يضعوها ضمن بلاد العرب السعيدة قد اشتملت عليها بلاد العرب الشمالية وهي التي وصفت بانها صحراوية (Eremos) . ولم يفرق جغرافيو اليونان كما اسلفنا القول بين بلاد العرب الصخرية والصحراوية حيث يكون الفاصل بينهما صعباً جداً بالنسبة اليهم . فاعتبار اليونانيين القسم الشمالي من شبه الجزيرة

منطقة واحدة يمكن ملاحظتـــه في تعليق أريانوس على سفرتي رسل قمبيز وبطليموس الأول عبر صحراء جرداء .

واعتبر ايراتو سثينيس الخط الفاصل بين بلاد العرب السعيدة والصحراوية هو ذلك الذي يبدأ من هليوبوليس الى بابل ماراً في مدينة بطرا . علماً بأن الجغرافيين اليونانيين وحتى الرومان من بعدهم لم يضعوا صحراء النفود الكبرى ضمن بلاد العرب الصحراوية بل جعلوها جزءاً من بلاد العرب السعيدة.

وفي المسافات فان التقدير الذي أعطاه ايراتو سثينيس للمسافة بين هيروبوليس وبابل بـ ٥٦٠٠ ستاديا (أي ٧٠٠ ميل) هو تقدير صحيح حيث أن المسافة هي أكثر بقليل من هذا الرقم . والتقدير ١٢ ألف ستاديا (أي ١٥٠٠ ميل) للمسافة بين الحد الجنوبي للعربية الصحراوية والمحيط الاطلسي هو رقم لا بأس به أيضاً .

فمعلومات الجغرافيين اليونانيين وأوصافهم تطـابق صفـــات الصحراء السورية التي سموها بالعربية الصحراوية مع فارق واحد هو الحد الغربي . أما الأجزاء الاخرى من الجزيرة فكانت غير معروفة لديهم البتـــة . فلم نقرأ في كتاباتهم عن مدن لها قيمتها وشأنها أمثال مدن تيماء ودومـا (Duma) أو دوماثا ، Domatha كما يطلق عليها ستيفانوس البيزنطي. ولم يذكروا وادي السرحان الكثير الأهمية بالمنطقة والذي ذكره الجغرافيـــون وبعض المؤرخين التالين تحت اسم سيرميون بيديون (Syrmaion - Pedion) . وكل هذه تدل على انه لم يتمكن أحد من الجغرافيين اليونانيين من الوصول الى هـــذه المناطق بل اعتمدوا في الكتابة عنها على معلومات شفهية متداولة . ولكن هذا لا يعني أبداً بأن التغلغل اليوناني بالمناطق الشمالية من شبه جزيرة العرب كان معدوماً فهناك معالم كثيرة يغلب عليها الطراز اليوناني في العمارة الى جانب كثرة ما وجد بها من النقوش اليونانية .

الدكتور سامي سعيد الأحمد

مصادر البحث :

1 - Herodotus, the persian Wars, editd by A. D. godley (London, 1928) II : 8.

2 - Ibid, II: 12

3 - Dovid Goages Hogarth, the penetratin of Arabia, (New york, 1904) , p. 3, 162 : Naval inteiligenee division of great Britain, Geographical Handbook series : Western arabia and the red sea, (London, 1944), p. 197.

4 - Xenophon, cyropaedia, edited by walter miller,(London 1914) 1, I, 4.

5 - ibid, I, v, 2 .

6 - ibid , VII, v, 2 .

7 - ibid, VIII, vi, 7 .

8 - Arrian, anabasis of Alexander the great and indica, edited by edward james chinn ck, (London , 1893) , ch. 43.

9 - ibid, ch 41.

10 - Sami Said Ahmed , Southern Mesopotamia in the time of Ashurbanibal, (Paris - hague, 1968) , pp. 22- 23 .

11 - Arrian, op. cit. VII, 1.

12 - Diodorus Siculus, (London, 1932) , II : 48 .

13 - ibid .

14 - ibid, II : 54.

15 - ibid .

16 - ibid.

17 - ibid.

18 - Strabo, Geography, edited by horace leonard jones,(London, 1917) , I, 2 : 32 .

19 - ibid. II, 5 : 32 .

20 - ibid, XVI , 4 : 2 .

21 - ibid, XVI, 1 : 28 .

22 - ibid, 4 : 1 .

23 - phelps christian grant , the Syrian desert,(London, 1947), p.36

24 - Alois musil, Arabia deserta, (New York, 1927) , p. 265 .

25 - Strabo, op. cit. XVI. 3 : 1 .

26 - ibid, Book 2 , 5 : 33 .

27 - Musil, op. cit . p . 498 .

فدائيون في تاريخنا

البراء بن مالك

يلقي بنفسه على جيش بأكمله

لقد اقتلع الإسلام شجرة العصبية القبلية من جذورها، وألقاها فوق رمال الصحراء ، لتجف أوراقها ، وتيبس أغصانها، وتتفتت جذوعها وجذورها ، ثم تصبح هشيماً تذروه الرياح، فزحفت إليها كل أفعى سامـــة كانت تلدغ ضحاياها في ظلالها ، وجاء اليها كل وحش ضـــار ، كان يخدع الحيوانات الضعيفة بظلها ، ونضارة أوراقها ، ثم يفترسها حولها ، وحام حولها كل باز كان ينقض على العصافير الضعيفة بـين اغصانها ، يحاولون إعادة هذه الشجرة الملعونة إلى مكانها ، ونقل ماء الحياة إليها ، ولما خرج رسول الله ﷺ من هذه الدنيا بعد أن أدى رسالة ربه اشتد طمع هذه الحيوانات المفترسة في العودة إلى سابق عهدها ، وظنوا الفرصة مؤاتية ، والوقت ملائماً ونعق غراب هذه الجماعة قائلاً :

أطعْنا رسولَ الله إذ كان بيننا ... فيَا لَعِبادِ الله ما لأبي بكر؟!
أيورثها بكراً إذا مات بعده ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر؟!

لقد ارتدت العرب وتضرمت الأرض ناراً ، وارتدت كل قبيلة إلا بعض أفرادهـــا الذين ثبتوا على دينهم ، وإلا قبيلتي قريش وثقيف وبعض قبائل أخرى، وكادت الشجرة المباركة شجرة الأخوة الإسلامية التي استظل بها كل ضعيف فقوي ، وكل فقير فاغتنى ، وكل ضال فاهتدى، كادت هذه الشجرة أن تقتلع من رمال الجزيرة، العربية وتجمعت الذئاب والعقبان من كل حدب وصوب ، مطوقة لمدينة المنورة ، وقد خلت من جيوشها التي توجهت بقيادة

أسامة بن زيد إلى قتال الروم ، وثبت ابو بكر رضي الله عنه ثبات الجبال الراسية ، فلم يستمع إلى ما عرضه هؤلاء من أداء الصلاة ومنع الزكاة ، وقال كلمته المأثورة : (والله لو منعوني عقـــالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه) . وما كان عرضهم إلا وسيلة للتحلل من قوانين الإسلام التي قيدت أولئك القادة ، وكفت أيديهم عن الظلم والبغي .

وفطن أبو بكر لمكيدتهم ، ولذلك وقف في وجوههم وقفة ثابتة ، وهاجم أولئك المدينة المنورة ، فثبت لهم من في المدينة من شيوخ كبار ، وفتيان لم يخرجوا مع جيش أسامة وهزموا المهاجمين ، ولكن ما كاد جيش أسامة يعود حتى وَجّه ابو بكر رضي الله عنه عدة جيوش لمهاجمة المرتدين في عقر دارهم. لقد كان أعظم العرب ردة وأشدهم تعصباً بنو حنيفة في (اليمامة) ، فلقد التف هؤلاء حول مسيلمة الذي ادعى أنه نبيٌ مرسل ، وكان عـــدد رجال جيشه يقارب أربعين الف مقاتل ، حتى إن احد أبناء هذه القبيلة وهو (الرجال بن عنفوة) كان قد هاجر الى النبي ﷺ ، وقرأ القرآن ، وفقـــه الدين ، فبعثه الرسول ﷺ معلماً لأهل اليمامة ، وليشغب على مسيلمـــة ، وليشدد من أمر المسلمين ، ولكنه كان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة ، شهد أنه سمع الرسول محمداً ﷺ يقول: إن مسيلمة شريك له في النبوة ، فصدقوه واستجابوا له ، وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره .

توجّه إلى مسيلمة عِكـْرمـة بن أبي جهل بجيش فنكبه بنو حنيفة ، ثم لحق به شرحْبيل بن حَسَنَة فأصابه ما أصاب عكرمة ، وكان خالد بن الوليد قد انتهى من طليحة الأسدي ومن بني تميم فأمره أبو بكر رضي الله عنه أن يتوجه إلى اليمامة ، وأوعب معه المهـــاجرون والأنصار ، فلما سمع مسيلمة بأخبار خالد ودنوه منه خرج الى «عَقـْرَباء[1]» حيث عسكر هناك ، والتقى الفريقان في ذلك المكان ، ولم يلق المسلمون حرباً كتلك الحرب قط ، وانهزم المسلمون ، وانتهى بنو حنيفة إلى فسطاط خالد وفيه زوجته ، ولم يمنعهم منها سوى أحد رجالهم الذي كان اسيراً في ذلـــك الفسطاط ، ولكن المسلمين

(١) تقع هذه بقرب قرية الجبيلة ، في ضفة وادي حنيفة وقد درست القرية سوى اسمها.

تداعوا ، وحرض بعضهم بعضاً وثبت القرّاء حفظة القرآن ثباتاً عظيماً ، وستشهد منهم عدد كبير كسالم وأبي حذيفة وزيد بن الخطاب وغيرهم .

هنا برز خالد بن الوليد رضي الله عنه ، فلم يبرز له أحد إلا قتله ، ودعا مسيلمة الى البراز ، ولكنه ولى منهزماً وتبعه المسلمون ، ودخل بنو حنيفة حصناً لهم ، وأغلقوا ابوابهم ووقف المسلمون أمام الأسوار ، يخشون أولئك القوم الأشداء أن يلموا شعثهم ، ويوحدوا صفوفهم ، ثم يخرجون بعد ذلك ، وإذا لم يجهز المسلمون عليهم الآن وقد انهزموا فقد يعجزونهم بعد ذلك فما العمل ؟ هنا تبرز شجاعة الشجعان ، وفداء الفدائيين ، وإقدام العظماء على الموت لا يخافونه بل يقف خجلاً من جرأتهم .

صاح البراء بن مالك الأنصاري شقيق أنس بن مالك : إليّ إليّ يا معشر المسلمين ، أنا البراء بن مالك ، القوني عليهم من فوق السور !! فقال الناس : لا نفعل ذلك .وكيف يلقون بأحد ابطالهم على جيش كامل بعَدَدَه وعُدَده قَتَلَ الآلاف وقُتِلَ منه الآلاف ؟ كيف يرسلون هذا الصحابيُّ الجليلَ الى الموت الذي يفغر فاه وراء الاسوار على شفار تلك السيوف المرهفة ؟ ولكن البراء بن مالك صاح : والله لتطرحنني عليهم !! فحمله المسلمون ورفعوه فوق الجُحفِ ، ورفعوا الجُحَفَ بالرماح حتى القوه عليهم من فوق السور ، فاقتحم على بني حنيفة حصنهم ، وقاتل على باب الحصن فقتل عشرة ثم فتح الباب للمسلمين ، فدخلوا على بني حنيفة حصنهم ، وصرع مسيلمة ، صرعه وَحشِيٌّ قاتل حمزة رضي الله عنه ، وَرَجُلٌ من الأنصار .

وساح المسلمون بعد ذلك في الأرض ، ينشرون الهدى في كل مكان ، وخرج بعضهم في جيوش الشام ، وآخرون في جيوش العراق ،وكان البراء بن مالك بين جيوش العراق ، وكتب عمر بن الخطاب الى قادته في العراق : لا تستعملوا البراء بن مالك فإنه مهلكة من المهالك !! وذلك شيء لم يكن يَضيره ، فالإمارة لم يطلبها ، ولن يطلبها ، وإنما همه الجهاد والاستشهاد ، فحضر من المعارك ما حضر ، وشهد من المواقع ما شهد ، حتى انتهى به الأمر

الى مدينة (تُسْتُرْ) وكان فيها (الهُرْمُزَان) .

هذه سنة عشرين من الهجرة ، وقد تمزق جيش فارس كما تمزق ملكهم ، وباد عزهم ، وارتفعت راية الاسلام فوق أرضهم ، ولم يبق سوى بعض المدائن تحميها قلاعها ، وسوى بعض الذين يأكل قلوبهم ويحرق أكبادهم عار الهزيمة ، ومن هؤلاء الهرمزان الذي كان بطلا في ساحات القتال ، ومفاوضاً مخادعاً ، ثم خائناً ناقضاً للعهود ، إن أمكنته الفرص ،ورأى لنفسه طريقاً الى النضال. ألقي بيده مستسلماً لما فني جيشه ، وامتشق الحسام لما اجتمع له جيش جديد، ظل يتنقـّل من معركة الى معركة ، ومن مدينة الى مدينة ، حتى تحصّن في في مدينة (تستر) وحاصره فيها المسلمون أشهراً ، وعلى (تستر) قتل البراء بن مالك مائة مبارز ، سوى من قتله في غير براز . وزاحفهم الفرس ثمانين زحفاً ، فلما كان آخر زحف منها قال المسلمون : يا براء أقسم على ربّك ليهزمنهم لنا ، فقال : اللهم اهزمهم لنا واستشهدني !! فهزم المسلمون الفرس حتى أدخلوهم خنادقهم ، ثم اقتحموها عليهم ، ثم تمكنوا من دخول (تستر) من مسيل ماء ،دخلوا المدينة يسبحون كالبَطّ ، فلما صاروا فيها كبّروا ،وكبر من بقي من المسلمين خارجها ، وفتحت الأبواب واحتلت المدينة .

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخلت على البراء وهو يترنـّم بأبيات من الشعر فقلت له : كيف تترنم بالشعر وقد أبْدَلَكَ الله خيراً منه القرآن ؟ ! فقال لي : أتظن يا أخي ،قد قتلتُ مائة مبارز أني أموت على فراشي ؟ !

أنظر الى ذلك الدعاء العجيب ؛ لقد دعا طالباً النصر ، ولكن للنصر ثمناً وهو الموت ، فطلبه مع النصر ، وترنم بالشعر ، وللترنم بالشعر كفارة هو الاستشهاد . رحم الله البراء بن مالك ورضي عنه ، ما أعظم شجاعته وما أصح آثاره ، وما أطهر سريرته !!!

لجأ الهرمزان الى القلعة بعد احتلال المدينة ، وهاجمه البراء في القلعة ، فقتله بسهم كما قتل مَجْزَأةَ بن ثَوْر الذي يقول فيه عمران بن حطان :

وكذاك مجزأة بن ثَوْرٍ كان أشجع من أسامة

وكان الهرمزان رامياً بالنبل لا يخطيء هدفه .

واستسلم الهرمزان على أن يساق لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوصل المدينة ، وعليه ملابس الديباج والتاج المرصع بالجواهر ، فذهبوا به الى عمر وهو نائم في المسجد ، والدرة في يده ، وقد توسد بُرْنسهُ ، فسأل الهرمزان: أين عمر ؟ قالوا له هو هذا ! واستيقظ عمر بجلبة الناس ، فلما شاهد الرجل قال : الهرمزان ؟ قالوا : نعم الهرمزان ! فتأمله ثم قال : الحمدالله الذي أذل هذا وأمثاله ! وأمر بأن تخلع عنه ملابسه ، واستسقى الهرمزان ماءً ، فأتي به في قدح غليظ ، فقال : لو متُّ عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا !! فأتي بإناء يرضاه فأخذت يده ترجف ، وقال : أخاف أن أقتل وأنا أشرب!! فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرب ؟ فأكفأ الإناء ، فقال عمر: أعيدوا عليه ، ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش ، فقال : لا حاجة لي في الماء ، إنما أردت أن استأمن به ، فقال له عمر : إني قاتلك ، قال : قد أمنتني ، فقال : كذبت !! فقال أنس بن مالك أخو البراء بن مالك قتيل هذا الهرمزان : يا أمير المؤمنين قد أمنته . فقال عمر لأنس : ويحك يا أنس أنا أؤمن قاتل البراء بن مالك ومجزأة بن ثور !! والله لتأتيني بمخرج أو لأعاقبنك ، فشرح له أنس رأيه في الأمر ، فقبل ، ولكنه أقسم ألا يخدعه الهرمزان ، ولن ينخدع له إلا إذا أسلم . فأعلن الهرمزان إسلامه .

رضي الله عن البراء بن مالك ، وعن أمثاله من المجاهدين العظام ، الذين افتدوا المسلمين والاسلام بأرواحهم ، فجادوا بها شجعاناً باسلين ، فأذلوا الملوك والقادة ممن كانوا يعتزون بأموالهم ، ويباهون بقصورهم وجواهرهم وثيابهم !!

الكويت محمد علي العبد

شراع على الشباب

[هذه مقاطع من (النشيد الرابع عشر) من الملحمة الشعبية التي تحكي قصة الضياع الذي عاشته أجيال (الخليج العربي) عبر العشرات من القرون ، قبل أن ينبثق الزيت على شواطئه فيغير معالم الحياة فيها ، ويغير فيا يغيره حتى العادات والتقاليد واللهجات .

المقاطع تصور موسماً من المواسم الشعبية التي يحتفل بها سنوياً في اليوم الثامن والعشرين من صفر حيث تعمر الشواطىء بالفتيان والفتيات ، يتلون الأناشيد ، ويطلقون الزغاريد ، ويوقدون الشموع ، ويوزعون الحلوي ، ويلقون للبحر بالنقود. ثم يعودون بعد الغروب الى ساحات المدينة ليشعلوا (نيران صفر(١)) ويدور حولها الصبيان وهم ينشدون الأناشيد المرحة ...] .

وتوالتِ الأيامُ تشبهُ بعضها نوعـاً وجنسا
في موطنٍ ركعتْ به الأحداثُ حتى كاد ينسى

مـا زالَ يجترُّ المواسمَ ، باحثاً عن ذاتِه
ويرى التقاليدَ العريقـةَ منْ صميمِ حيَاتِه

ولعلّ أروعَ موسمٍ أغنى (علياً) بالصُّور(٢)
هوَ موسِمُ الشطِّ المنوَّرِ بالصَّبَايا ، في صفر

(١) ذكر الألوسي في كتابه « بلوغ الارب » نيران العرب السبع ، وعد منها نار صفر .
(٢) أبطال هذه المقاطع هم (علي) البطل الاول في الملحمة ، وعمره في هــذا المقطع خمس عشرة سنة . ثم حبيبته (بيبي) فصديقتها (لولو) ...

كانتْ ظِلالُ النخلِ في الشُّطْئانِ تزدادُ امتِداداً
والشمسُ تغمُرُ ضَفَّةَ الأفقِ احمِراراً واتقادا

وَالموْجُ يَدفَعُ مَدَّهُ مَوجاً رفيقاً لينا
وَيُدَغْدِغُ الشاطِئَ كَما جَسَّ النسيمُ السَّوسنا

وَكأنَّمَا انزاحَتْ عن الفردوْسِ في الشّاطئ سُتورْ
وتَنَاثرَتْ من حَوْلِهِ أسرابُ وِلدانٍ وحُورْ

وتَموَّجَتْ ضحكاتُهُم عبرَ النسيمِ هَوىً مُعَطَّرْ
كَصُداحِ قيثارٍ ونغمةِ أرغنٍ ورنينِ مزهَرْ

وتشابَكَتْ نظراتُهُم وتألقتْ سودُ العُيُونْ
وتوَهَّجَتْ بالسِّحرِ واكتحلتْ محاجِرُها فتونْ

في كل ناحيةٍ (كيُوبيد) يريشُ سِهامَهُ
وجَمَالُ (فينوس) يثيرُ فتونَهُ وغرامَهُ

كان الصَّبَايا ينتقِمْنَ من (التَّخَبّي (١)) بالتبرُّجْ
والزهرُ يَضحكُ للنسائِمِ إذ تُعابثُه ويأرَجْ

وَيُراوِغُ الفِتيانُ أغلالَ التقاليدِ القديمَةْ
والكَبْتُ يصرخُ في محاجِرِهِم وقد أوْرَى جحيمَهْ

– ٣ –

بَيْنا (عليٌّ) يرقُبُ الشّاطِئَ بنظرةِ شاعِرِ

(١) التخبي : عادة قديمة بموجبها تحجب البنت من سن التاسعة الى ليلة زفافها ، حتى عن النساء المتزوجات فضلا عن الرجال. ولا يسمح لها بمغادرة المنزل إلا في يوم الموسم المنوه عنه هنا.

ويُلملمُ الصّور الأنيقة في إطـــارٍ سَاحِرِ

ويَصُوغ كالموْشور مِنْ أطيافها دُنيا جمَيْلة
ليَعيْشَ طُولَ العام يستوحي رَوَائِعها الخضيله

هَبَّت عَليـهِ سَحائِبٌ نشوى - تدَفقُ بالعَبير
وتمزّق الحُلمُ اللذيذُ بواقِـــعٍ خِصب مُثِير

فتَـوَهَّجت في عَيْنيهِ النـّظـرَاتُ واخضَلَّ المدَى
وَغشى مشاعِرَهُ ذُهُولٌ غـــامِرٌ حلْوُ الرؤى

* * *

كانَتْ تُفيضُ السّحْرَ مُقلَتـُها وتَـسْفحُهُ شَعَاعْ
وَيرِفُّ بالتـُّفّاحِ خدّاها مَتى انـْحَسَر القناعْ

حَتّى إذا حاذَتهُ، واختلجَتْ أساوِرُها الأنيقه
هَمَسَتْ لِجارَتِها بِصَوْتٍ كالزّغاريدِ الرّشيقه :

(لُولُو) انـْظُـري !! هَذا الفتى المجْدُولُ مِنْ ألقِ الصّباح
عَبِثَتْ بهِ فتَيَاتُ بابِلَ؟ !أمْ تَرَشّفَ دَنّ راحْ !؟

أمْ غازَلَتهُ عَرائسُ البحرِ المُنَظّرةِ الشّباب !؟
أمْ أنّ جنـّةَ عَبْقَرٍ خطفته مِنْ بينِ الصّحاب؟!

مَالي أراهُ كنـَخْلَةٍ مَغرُوسةٍ في فدْفَدِ ؟!
أوْ نجمَةٍ مَهجورةٍ في جُنحِ ليلٍ مُربْدِ ؟!

يا لـَيتـَني كأساً تُرَشِّفُهُ الرّحيقَ المُعجِبا !!
أو نغمة تنسابُ في أذُنيهِ حتّى يَطـْرَبا !!

أوْ باقــةٍ مِنْ زَنــبَقٍ تُهْدي لَهُ أزْكى الأريجْ
أوْ لَمْحَةٍ مَنْ كَوْكَبٍ فأحيلَ دُنْـياهُ وَهيجْ

وتَلاقَتِ النّظَراتُ فانْقَدَحَتْ لِلحاظِها شَرَرْ
وَتوَهّجَ القلبانِ حُبّاً مثلما انبَثَقَ القمَرْ

- ٣ -

وتعانَقَ الرّوحانِ واسْتَعَرَتْ عيونُهما قُبَلْ
وتَوَشّحا بُرْدَ الخُلودِ وَشَفّ حبُّهما ثَمَلْ

وَشّى الهَوى دُنْياهُما واخْضَلّ حَوْلَهُما الحَجَرْ
وَطَفا الخليجُ لَئآلِئاً وتَفَتّقَ الوادي زَهَرْ

تحْنو الظلالُ عليهما وكأنّها سُجُفُ الحَريرْ
وتُبارِكُ الأنسامُ حُبّهُما وتَنْضَحُهُ عَبيرْ

نَثَرَ الغرامُ كنوزَهُ لهُما فما يَتَخيّرانْ ؟!
وَسَقاهُما (باخوسُ) أصْفى ما تَعَتّقَ في الدِّنانْ

وَطَغى على (لولو) وُجُومٌ بالمشاعرِ مُفْعَمُ
خوفَ الفضيحةِ ، والحنانِ ، وغيْرَةٍ تَتَضَرّمُ

فَدَنتْ تُرَبّتُ تربَها (بيبي) وتوقِظُ رُوحَها
وتَهُزُّ أطيافَ الهوى عَنْ جَفنِها لِتريحَها

وتقول : هَيّا فالغروبُ يَلُمُّ أطرافَ الشّفَقْ !!
والليْلُ ينشُرُ في الضّفافِ الخُضْرِ أجنحةَ الغَسَقْ

فَمشَت تجرُّ وَرَاءها الأطيَاف باهِتة الظّلال
وَترفُّ أجْنِحةُ العَبير على خُطاهـــا في كَلال

تَرَكت على الشُّطئَانِ أحْلاماً تسَاقَطُ كالهَشيم
وَتحامَلت في مَشيها رُوحاً تُمَزّقهُ الكُلُوم

عامَت بعَيْنيْها الدُّنا وتكَدَّرت حتى النُّجُوم
وكأنّما الفِردَوسُ يَلفظُها إلى دَرْكِ الجَحيم

— ٤ —

وَتسَمّرت قدَمَـــا عَليّ بَينَ طاقَاتِ العَبير
كَفرَاشة القزّ الحَبيْسَة في شرَانِقِهـــا الحَرير

وَصَدى اسمِها في سَمْعِه كصُدَاح مزمار بَعيْد
وَحرُوفهُ في ثغْرهِ أنشُودَة تَرْوي الخُـلُود

(بيْني) وَما بيْنِي بِعَيْنَيْه سوَى شلاّل نور
ما زالَ يَغمُرُهُ بأطْيَافِ كألْوَانِ الزُّهُور

حتّىإذا نَفَضَ الذُّهُولُ عَنِ المحَاجِرِ والجفون
ألفَى الفرَاغَ يَلفُّهُ بسَحَائِبٍ رَبْدَاءَ جُون

فَجثا يُنَاجي البَحْرَ في هَمْسٍ يُقَطّعُهُ الزّفير
ويَكادُ يخْنُقُهُ ارْتِطامُ المَوْجِ مِنْ فوقِ الصُّخور

يا بحرُ هلْ لكَ أن تحسّ بما تألّقَ في ضميري؟!
وَطفا على عيْني كما يطفو الشُّعاعُ على البُدُور

يا بحرُ هل في لجِّكَ الفضيِّ دُرٌّ مثلُ حُبّي؟!
إنْ كنتَ قدْ أودعْتَهُ الصَّدَفاتِ فهو هُنا بقلبي

يا بحرُ هلْ للحُبِّ والأشواقِ مثلُكَ شاطئانْ؟!
يا بحرُ هلْ عندَ الأحبَّةِ ما لديْكَ منَ الحَنانْ

يا ليتَني يا بحرُ لؤلؤةٌ تألَّقُ بالضِّياءْ
لأحِسَّ في صدْرِ الحبيبَةِ بالسَّعادةِ والهناءْ

وألفُّ مُغتبطاً بساعِدِي المذهَّبَ جِيدَها
وأداعِبَ النَّهدَيْنِ إنْ هزَّ التَّخطُّرُ عُودَها

يا بحرُ قلْ لي: هلْ سأقطِفُ في غدٍ أزهارَ حُبّي؟!
أمْ تملأُ الأشواكُ بالآلامِ والآهاتِ قلبي؟!

- ٥ -

ومَشَى بلا وَعْيٍ يَقُودُ خُطاهُ حُبٌّ عاصِفُ
ومَشاعِرٌ حسّاسَةٌ وَهواجِسٌ وَعَواطِفُ

كانَ الذُّهولُ يَلُفُّهُ وكأنَّهُ سِرٌّ قديمْ
نسِيَتْ مَلامِحهُ المغانِي وَهْوَ كوكبُها الوَسِيمْ

واللّيلُ يَنشُرُ حولهُ الظُّلُماتِ حالِكَةَ الجوانِبْ
ويُبَعثِرُ الأشباحَ دامِيةَ المناسِرِ والمخالِبْ

حتّى تفتّحَ جفنهُ المغفِيْ.. على شَفَقِ اللّهيبْ
وحضائِرُ النّيرانِ يرسُمُ وهْجُها فجْراً خَضيبْ

وَفَصائِلُ الصِّبْيانِ تُطْبِقُ حَولَها مِثلَ الأطارْ
وَتدُورُ كالدُّولابِ في مَرحِ الغَرانِيقِ الصِّغَارْ

والنَّارُ تقذِفُ بالشَّرارِ عَليهِمُ مِثْلَ النِّثارْ
وتكادُ ألسِنَةُ اللَّهِيبِ تَلفُّهُمْ لَفَّ الإزَارْ

فاضَتْ حَناجِرُهُمْ أناشيداً مُوقَّعَةً نَديَّهْ
وَكأنَّما النّيرانِ يَعزِفُ فَحُّها قِطعاً شَجيَّهْ

وكأنَّما النّيرانُ تأكُلُ ما تَبَقَّى مِنْ صَفَرْ
وَتُزيلُ آثارَ المآسي والتَّشاؤمِ والضَّجَرْ (١)

– ٦ –

كانَ الصَّبايا والشَّبابُ يُرَاقبونَ المَشهَدا
وَالبِشْرُ يَطْفَحُ في النَّواظِرِ والشِّفاهِ مُغَرِّدا

يَجْنُونَ مَوْسِمَهُمْ مَسَرَّاتٍ ، وأفرَاحاً نوَاضِرْ
مِثْلَ العَصافيرِ الرَّشيقَةِ حَوَّمَتْ حَوْلَ البَيادِرْ

وعَليٌّ بَيْنَهُمُ كَنَجْمٍ تائِهٍ بَيْنَ الضَّبابْ
يَتَعاقَبانِ على مَلامِحِهِ ابْتِهاجٌ واكْتِئابْ

وَيَلوحُ في شفتَيْه إذ يفْـتَرُّ زهرُهُما نِداء
وَيَطِلُّ من أهدابِ جفنيْهِ إذا ارتعَشتْ رجَاء

(١) كان العرب يتشاءمون من شهر صفر . وتفاؤلا بالخير يطلقون عليه اسم « صفر الخير» وربما كان ذلك من باب تسمية الشيء باسم ضده ، او بعد ان جاء الاسلام فأبطل تلك العادة.

بَيناهُ في دُنيا يوَشّيها الخَيَال وينسُجُ
وتُنوّرُ الآمالُ من أنحائِها وتُؤرّجُ

إذْ هزّهُ صَوْتٌ رَقيقٌ كالنّسيمِ العَابِرِ
يَهفو بأذنيْهِ كما يَهفُو صدَاحُ الطّائِرِ

فأحَسّ أنّ الصّوْتَ من أعمَاقِه يَتدَفّق
وَصَفاؤه ورُواؤهُ في قلبِه يترَقْرَق

وتَلفّتتْ عَينَاهُ كالزّهَراتِ تلتَقِطُ النّدى
وكأنما افْترّ الصّبَاحُ له أو اخْضَرّ المَدَى

فرَآى يَداً بَيْضاءَ مثلَ الثّلج وشّاها الخِضابْ
وأنامِلاً مثل الشّمُوع تَكادُ تشرقُ بالشّباب

فمَضَى لهَا وكأنّما يَمْضِي إلى فِرْدَوْسِهِ
وكأنّما رِجْلاهُ تحْمِلهُ لجَلوَةِ عِرْسِهِ

وَتلامَسَتْ كفّاهُما عبرَ الظّلالِ العَارِشَه
وتهَدّجَتْ هَمَسَاتُها كالأغنِيَاتِ الرّاعِشه :

مُسّيْتَ دَوْماً بالنّعيم ، وبالمسَرّةِ يا حَبيبي !!
فأجابها : حُيّيْتِ بالأفراح ، مُترَعَة الطّيُوب!!

وتوَاعدا عِنْد (العُيُون) وكان وَعْدُهما يمَين
وتفرّقا يتعجّلْ الإصباح وعْدُهما الأمين !!

القطيف : الجشي

- ٦ -

١٢٦ - أرنب تلاقي العصا ..

أي هو كالأرنب التي تلاقي العصا :

يضرب لمن يتعرض بنفسه للأشياء التي تؤذيه .

وهو من قولهم : إن الأرنب البرية إذا حذفها الصائد بعصاه ، فإنها تهرب منه إلى جهة العصا ، وليس إلى الجهة التي تبعد منها .

أما أصل المثل عند العرب فهو معروف ، فقد كان من عادتهم -في القديم- اصطياد الأرنب بحذفها بالعصا . ففي الأمثال العربية : « حذفه بالقولى ، كما تحذف الأرنب بالعصا » ذكره الجاحظ [١] وحكى عن العتبي قوله عن أعرابي : « وكان إذا خرست الألسن عن الصواب ، حذف بالقول كما تحذف الأرنب بالعصا [٢] » ويقال : « حذفته بالعصا كما تحذف الأرنب [٣] » .

وسئل اعرابي عن راع له فقال : هو السارح الآخر ، والرائح الباكر ، والحالب العاصر ، والحاذف الكاسر ، فقوله الحاذف الكاسر ، أي الذي يحذف الأرنب بالعصا فيكسر رجليها [٤] وقال الأزهري : رأيت رعيان العرب يحذفون الأرانب بعصيهم ، إذا عدت ، ودرمت [٥] بين أيديهم فربما

(١) « البيان والتبيين » ج ٢ ص ٥٦ .
(٢) « البيان والتبيين » ج ٢ ص ٤٧ .
(٣) « الحيوان » ج ٦ ص ٣٥٣ .
(٤) « البيان والتبيين » ج ٢ ص ٧٣ .
(٥) درمت : أي قاربت خطوها .

أصابت العصا قوائمها ، فيصيدونها ، ويذبحونها [١] .

١٢٧ — أرنب ؛ دمّها وفرثها حلال :

أي كالأرنب البريّة دمّها وفرثها حلال .

يضرب لما يؤكل جميعه ولا يرمى منه شيء .

وأصل المثل أن من عادتهم في البرية إذا صادوا الأرنب أن يشووها من غير أن يفتحوا بطنها ، أو يرموا بفرثها ، بل إن بعضهم يعتقد أن فرثها نافع طبيّاً . وأنه دواء لبعض أمراض البطن ويعلل بعضهم ذلك بكون الأرنب لا تأكل الا الأعشاب وهي : أي الأعشاب للأدوية عندهم . أما ما يتعلق بالدم فإن من طبيعة لحم الأرنب إذا صيد صيداً ، أي لم تذبح بآلة حادة أن يبقى في طياته بعض ، الدم ، ولكنه غير الدم المسفوح المحرم أكله ، فلذلك يأكلونه مع وجوده فيه .

١٢٨ — « أروع من الثعلب »

هذا مثل عربي قديم شائع يضرب للماكر ، قال طرفة بن العبد [٢] :

كل خليل كنت خاللته ... لاترك الله له واضحه
كلهم ، أروع من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحة !!

وقال آخر [٣] :

وأكذب أحدوثة من أسير ... وأروغ يوماً من الثعلب

---

(٦) نقله عنه في « اللسان » مادة : (حذف) .

(١) الحيوان ج ١ ص ٢٢٠ وج ٦ ص ٣٠٢ وج ٧ ص ١٠ وعيون الأخبار ج ٢ ص ٧٢ وجمهرة الأمثال ص ١٦ والامتاع والمؤانسة ج ٢ ص ١٠٥ والتمثيل والمحاضرة ص٣٥٨ (الحلبي) وثمار القلوب ص ٣٢٢ ومحاضرات الراغب ج ٢ ص ٣٠٣ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٣٢٩ وحياة الحيوان ج ١ ص١٧٩ وغرر الخصائص ص ٧ و٩٨ والكنز المدفون ص٢٢٧ وزهر الاكم ورقة ١/١٤٦ .

وقال النابغة [1] الجعدي :

وبعض الاخلاء عند البلاء والجهد أروغ من ثعلب [2]

وقال دُريد بن الصِّمَّة [3] :

ومرة قــــد أخرجتهم فتركتهم   يرُوغون بالصلعاء روغ الثعالب

ومن أمثال العرب أيضاً : أروغ من ثعالة [4] : وثعــالة : اسم من أسماء الثعلب [5] : ويقال « أرغ من ذنب الثعلب [6] » قال الشاعر [7] :

الدهــــرُ يلعب بالفتى   والدهر أروغ من ثُعالـَه

١٢٩ – أزْيَنْ مِنْ قِلتِّهِ .

أزْيَنْ : أفعل تفضيل، من الزين : ضد الشين.

والمعنى : هو احسن من عدم وجوده .

يضرب للشيء الذي لا غناء فيه ولكن خير من لا شيء .

وهذا المثل موجود عند العامة في مصر، ولكن بلفظ – أحسن من قلته [1].

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٤٧ وفصل المقــال ص ١٩٠ وجمهرة الأمثال ص ١١٣ . وشرح المضنون به على غير أهله ص ٨٢ وطراز المجالس ١٤٠.والفاخر ص ٣٥٤ ونهاية الارب ج ٣ ص ٦٠ وبعض المصادر التي ذكرت المثل وقوله: لا يتركالله له واضحة : الواضحة السن البيضاء أي : لا يترك الله له سناً .

(٢) المستقصى ورقة ٢١ وديوانه ص وشرح المضنون به ص ٨٢ وفوائــد الخرائد ص ٤٦ / ١ .

(٣) الأصمعيات ص ١١٣ والحيــوان ج ٦ ص ٣٠٣ ومعجم البلدان ج ٥ ص ٣٨١ (القاهرة) .

(٤) جمهرة الأمثال ص ١١٣ والمستقصى ج ١ ص ١٤٥ وفوائد الخرائد ورقة ٤٦ / ١ .

(٥) فرائد الخرائد ورقة ٤٦ / ١ والمستقصى ج ١ ص ١٤٥ .

(٦) البيان والتبيين ج ٣ ص ٣٧ والمستقصى ج ١ ص ١٤٥ .

(٧) المستقصى ج ١ ص ١٤٥ .

(٨) أمثال المتكلمين ص ١٠ .

١٣٠ – « إستراحْ ، وأراح»

أي قد استراح من الألمْ والأذى ، وأراح غيره منه .

يضرب للميِّت الذي كان يؤرقه مرضــه ، فيتعب ذويه معه ، كما يضرب لكل من كفَّ عن أذى كأنه يلحقه بنفسه ، ومن حوله .

وأصله حديث صحيح ، أن النبي ﷺ قال لجنازة مُرّ بها عليه : « مستريحٌ ، ومستراحٌ منه » متفق عليه .

وأخذوا منه المثل التالي :

١٣١ – « إستَرِحْ ، وَأرِحْ »

وهذا بصيغة الأمر لكثير الحركة ، شديد الإيذاء .

ومن شواهده ما ذكره الوطواط : ان يوسف بن خــالد ، قال لعمرو بن عبيد : ما تقول في دجاجة ذبحت من قفائهـا ؟ قال : أحسِنْ ؛ قال ، من قفاءَهَا ، قال : أصلَحْ ، قال : من قفاؤُها ، قال عمرو : ما عناك بهذا ؟! قل : من قفاها ، واسترح وأرح[1] .

ومن الشعر [2] :

إذا قلتَ في شيء (نعم) فأتمَّهُ ... فإن (نَـعَمْ) دَيْنٌ على الحرّ واجب
وإلا فقل : (لا) واسترح وأرح بها ... لئلا يقول النـاس : إنك كاذب

وقول البهاء زهير[3] :

أنا لا أسأل عمَّنْ ... لم يكن يَسْأَلُ عَنّي

(١) غرر الخصائص ص ١٠٧ .
(٢) التمييز في الأدب والحكم ورقة ١٥٧ / ب وغرر الخصائص ص ١٦٢ والكنز المدفون ص ٣٧١ .
(٣) ديوانه ص ١٧٩ .

إنْ تَرِدْني ، فبـــذا الشرط وإلاَّ لا تُرِدْني
فاسترح باللهِ من هـــذا التجـني وأرحنِي

١٣٢ - إسْتَسْمِحْ الوجِيهْ واسْتَرْزِقَ الله :

الوجيه : جمع غير فصيح لوجه .

والمعنى: اذا ابتغيت الرزق– والمراد به قضاء الحاجات على وجه العموم– فأطلبه لدى ذوي الوجوه السَّمْحة ، أي التي يبين عليها السماح والصباحة .

يضرب لطلب الخير عند ذوي الوجوه السمحة . وقد ورد في هذا المعنى حديث عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال : « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه».وهو حديث ضعيف بل عدَّه بعضهم في الموضوعات[1] ومع ذلك فقد نظمه بعضهم فقال : [2] .

قد سمعنا نبيّنا قال قولاً هُوَ لِمَنْ يطلب الحوائج راحَه
اغتدوا ، واطلبوا الحوائج ممن زَيَّنَ الله وجهه بِصَبَاحَهْ

١٣٢ – أسْرَع مِنَ البَرْقْ ..

المعنى ظاهر ، وهو مثل قديم [3] .

ومثله :

١٣٣ – « أسْرَعُ مِنَ الرِّيحْ » .

وهو أيضا مثل قـــديم [4] ، وقد بالغ ابن حَجّاج فقال في وصف فرس [5] :

---

(١) راجع الكلام عليه بإسهاب « في تنزيه الشريعة » ج ٢ ص ١٣٣ .
(٢) « الخلاة » ص ١١١ .
(٣) مجمع الأمثال ج ١ ص ٣٦٨ والمستقصى ج ١ ص ١٦١ .
(٤) المصدرين السابقين .
(٥) الغيث المسجم ، ج ١ ص ٣٢ .

قال له البرق ، وقالت له الريح جميعاً ، وهما ما هما
أأنت تجري معنا ؟ قال : لا إن شئت أضحكتكما منكما
هذا ارتداد الطرف قد فقته إلى المدى ، سَبْقاً ، فمن أنتما ؟!

١٣٥ - « أسْرَع مِنَ الْيَدِ للفمْ »

أصله مثل عربي قديم . اسرع من اليد الى الفم [١] .. ويقولون أيضاً : « أقصر من اليد للفم » [٢] .

١٣٦ - « إسْكِتْ عَنّي ، واسْكِتْ عَنْكْ » .

يضرب للقوم يتبادلون فيما بينهم عدم إنكار المنكر لمصلحة مشتركة لهم، جاؤا به على لسان حالهم ، كأن كل واحد يقول لصاحبه : اسكت عني فلا تنكر عليّ المنكر ، وسوف أفعل معك كذلك . أما إذا كانوا يتعاونون على تحصيل منفعة مشتركة لهم بطريق غير مشروعة قالوا في حقّهم : « شِدّ لي واقْطَعْ لِكْ » ، وقد سبق ذكره في القسم الأول .

١٣٦ - إسكت ، يسكت عنك ..

أي : اسكت عن البحث في عيوب الناس ، حتى يسكتوا عن البحث في عيوبك .

وهو كالمثل العربي القديم : استر عورة أخيك ، لما يعلمه فيك [٣] ويقال من نجَّل الناس نجَّلوه [٤] » وأبلغ من ذلك : المثل المولَّد : من رمى الناس

---

(١) اللسان مادة : ر ، س ، س . ومجمع الأمثال ج ١ ص ٣٦٢ وفرائد الخرائد ورقة ٥٠ / ١ .
(٢) الأمثال ج ١ ص ٣٦٢ .
(٣) غزر الخصائص ص ٦٤ ومجمع الأمثال ج ١ ص ٣٥١ وهو في المعمرين (ص ١٥) من أمثال أكثم بن صيفي بلفظ آخر .
(٤) مجمع الأمثال ج ١ ص ٣٥١ واللسان مادة : ن ، ج ، ل ، وقال ، معناه : شارهم شاروه أي من أصابهم بالشر أصابوه به .

بما فيهم ، رموه بما ليس فيه [1] . ومن الشعر [2] :

توق من الناس فحْشَ الكلام فكلٌ ينال جنى غرسِهِ

١٣٧ – إسِمْ فلاّح ، ولا اسم عامل ..

الفلاح : المزارع الذي يشتغل بفلاحة الأرض ، له غنمها ، وعليه غرمها .

والعامل عندهم : هو من يستأجره الفلاح لسوق النواضح ، وتعهد السواني وكثيراً ما يستأجر مع عائلته وأولاده ويكون أجر الجميع لا يكاد يزيد على أجر العامل الواحد ، لأن سوق البهائم قد يقوم به الأطفال

وإذا عرفنا أن الفلاح نفسه – وهو سيد العامل – يعيش في شظف من العيش ، ونصَب من العمل فكيف تكون حال « العامل » وهو دون الفلاح في المنزلة ؟! فلهذا قالوا هنا : لأن يقال عن الشخص : إنه فلاح خير له ، وأعلى لمقامه من أن يقال عنه : إنه عامل ، ولو كان اسم الفلاح ليس مما يفتخر به .

وغني عن القول أن هذا المثل نشأ في نجد في عهود الإمارات ، وقبل الازدهار الاقتصادي والمدّ الحضاري الموجود الآن في البلاد .

يضرب المثل في أن بعض السُّوء أهون من بعض .

هذا وبعضهم يرويه: اسم كـَدّاد، ولا اسم كالف – والكالف، والكلاف في جنوبي نجد : هو العامل كأنهم أخذن من الكلفة والمشقة والكدّاد وهو الفلاح أيضاً.

١٣٩ – « إسْتمعْ واترِكْ »

أي : استمع الى الحديث ولو كان غير صحيح ، ثم اتركه ولا تتقيد به ، والمراد لا تصدق .

---

(١) محاضرات الراغب ج ١ ص ١٨٩ .
(٢) المخلاة ص ١٢٦ .

يضرب للحديث غير الصحيح .

واصله المثل المولد: «إسمع ، ولا تصدق[1] » ومن الأمثال العامية المصرية: « اسمع من هِنـا ، وسِيب من هنا[2] »

١٤٠ — «إسْلَمْ ، تَسلَمْ»

المراد : إرضَ بالسلامة ، تَسلم مما قد يَجُرُّهُ عليك الطمع من ضرر :

يضرب في النهي عن الطمع في شيء تخشى عواقبه السيئة . وقد يضرب للأمر بمسالمة الناس ، وعدم الدخول في خصام، أو نزاع معهم ، وذلك كما قيل قديماً: « سَالِمْ تَسْلَمْ[3] » .

قال الشاعر[4] :

سالم جميع الناس، تَسلَمْ منهُمُ إن السلامة في مسالمة الورى

وقال ابو الفتح البستي[5]

من سالم الناس يَسْلَمْ من غوائلهم وعاش وهو قرير العين جذلان

١٤١ — الإسم للنُّوره ، والفعل للزرنيخْ .

النورة والزرنيخ : يخلطان ويستعملان في إزالة الشعر ، ويكون الجزء الأكبر منهما حجماً هو النورة ، والأقل هو الزرنيخ فلذلك يظن بعض الناس — خطأ — ان النورة هي التي تزيل الشعر ، مع ان الذي له المفعول الكبير في إزالته هو الزرنيخ .

يضرب المثل للشيئين يشتركان في فعل ، فينسب الفضل لأضعفهما أثراً فيه.

---

(١) مجمع الأمثال ج ١ ص ٣٧١ وفرائد الخرائد ورقة ٥٠ / ب .
(٢) الأمثال العامية ص ٢٤ .
(٣) عين الأدب والسياسة ص ١٢٦ .
(٤) نفس المصدر .
(٥) ديوانه ص «نثر النظم» ص ١٢٨.

المعجم الجغرافي الحديث
للبلاد العربية السعودية
مقاطعة جازان

- ٦ -

حرف الغين

الغابر : بفتح الغين بعدها الف فباء معجمة موحدة مكسورة ، فراء مهملة : من ارباض جبل فيفا .

غابط : بفتح الغين وكسر الباء المعجمه الموحدة ثم طـاء مهملة ، من قرى جبل سَلا .

الغارب : على اسم غارب البعير : ربَضٌ من أرياض جبل فيفاء .

الغاط : بفتح الغين بعدها الف فطاء مهملة: قرية من قرى بني الغازي.

وهو مثل قديم ذكره الإبشيهي والموسوي من أمثال الموحدين بلفظ : العمل للزرنيخ والاسم للنورة [1] » وذكره العـاملي بلفظ : الزرنيـخ له العمل ، والاسم للنورة [2] . ولا يزال مستعملاً عند العامة في مصر[3]

١٤٢ — إسمِه على طَرف لساني .

يقوله الشخص عمن كان يعرفه فنَسيَه قريباً .

وهو مثل للعامة قديم ورد بلفظه في « الكنز المدفون» [4] .

(١) المستطرف ج ١ ص ٢٩ ونزهة الجليس ج ٢ ص ٢٤٥ .

(٢) الكشكول ص ١٥٩ .

(٣) أمثال المتكلمين ص ٥٦ .

(٤) ص ١٤٥ .

الغاوي : على صفة من غوى : قرية من قرى جبل بني مالك .

الغاوية : بفتح الغين بعدها الف ثم واو مكسورة فهاء : قرية جنوب بلدة الخوْبة من بلاد بني الحـُرّث .

الغاوية : على اسم سابقتها : من قرى صامطـة شرق وعـــلان قرب الحدود .

الغاوية : على اسم سابقتها : قرية شمال بلدة الحقو .

الغجَاريـَة : بفتح الغين والجيم المعجمتين ثم الف فياء مثناه تحتيه مفتوحة فهاء مربوطة : قرية قد دثرت كان موقعها شرق مدينة صبيا القديمة في القرن الثاني عشر (راجع ص ٣٣٣ ج ١ كتـــاب المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ) واليها ينسب آل الغجري الساكنين الآن في بلدة أم الخشب في وادي بيش .

الغـَدير : على اسم الغدير من السيل : قرية تابعة للعارضة .

الغـَذ ّة : بفتح أولها وفتح تشديد الذال المعجمة بعد هاء وتسمى أيضاً نيْد أمْغيل قرية من قرى جبل سلا .

الغـَر َاء : بفتح أوله وثانيه ثم ألف ممدودة قريـــة جنوب غرب صبيا ورد ذكرها في حوادث سنة ١١٥٨ ، ألف ومائة وثمانيـــة وخمسين هـ (راجـع ص ٤٣٣ ج ١ كتاب المخلاف السليماني) وورد اسمها أيضاً في قصية للامام محمد الادريسي حيث قال:

ألا َ هَلْ لقلبي سَلوَة ٌ عن معاهدٍ بشرق الغرَا، حيث المرُو ّة ُ والنبْلُ ؟

الغرْبي : نسبة الى الغرب ضد الشرق : من قرى جبل العبادل .

الغـُريـّب : بالتصغير : قرية من قرى وادي جازان شرق قرية الماطري.

غـُريرا : بالتصغير : كثبان رملية في الشاطيء الجنوبي لـ (جـازان) راجع حرف الشين مادة شواطيء .

الغَـرِيف : لغَـة الأجمَة ، ويقـال في التشبيه . كأنه اسد الغريف . موضع قريب من قرية المحلة به آثار قبور يقال انه كان بـه بلدة أو قرية قديمة .

الغَرِيف : على اسم سابقه . حِلة بكسر الحاء المهملة قرب (الحضن) من جهة بيْش مما كان يطلق عليه اسم مخلاف عثر في القرن الثالث – راجع (ع – ث) ويمكن أنه هو الذي ورد في قول عروة بن الورد .

تَبَغَّاني الأعـداءُ إمّا الى دمٍ وإما عراض الساعدين مصدّرا
يظل الإباء ساقطاً فـوق متنه لهالعدوةالقصوىإذا القرن أسحرا
كأن خوات الرعد رزّ زئيره مناللاءِيسكن(الغَرِيف)بـ(عشّرا)

وفيه أوفي الذي قبله يقول الشاعر القاسم بن هُتَيْمل يمدح أحـد عمال الدولة الرسولية على المخلاف :

ونفيت منها الخالعين وقد خلا منها(نمازة)[1]و(الغَرِيف)و (عِتْودُ)

الغزوة : بفتح الغين والزاي المعجمتين ثم واو مفتوحة فهـاء : قرية قرب بَخْشَة السابق ذكرها .

الغَشَامِيَة : نسبة الى رجل يسمى غشوم : حِلبَـة بكسر الحاء : في ضواحي مدينة جازان قريبة من اول مدرج المطار .

الغُصَيْنِيَة : مصغرة : قرية جنوب سوق الأحد من بلاد المسارحة .

الغَفْقِيَة : بفتح الغين وسكون الفاء الموحدة وكسر القـاف المعجمة المثناة التحتية ثم هاء : قرية من قرى المسارحة بين قريتي الشعفولية والرواجحة .

---

(١) نمازة بفتح النون وفتح الميم بعدها الف ثم زاي معجمة فهاء كان اسم لقرية المحلة نسبة الى قبيلة نمازة التي كانت تسكن تلك القرية ولا يزال قسم من تلك القبيلة تسكن المحلة الى تأريخنا هذا .

الغَمر : على اسم الغمر الذي هو الغبار : قرية من قرى هروب.

الغَمْر : على اسم سابقه : قرية شمال بلدة الحَـقو السابقة في حرف الحاء .

الغَمَاط : بفتح أوله وثانيه ثم الف فطاء مهملة : من قرى جبل بـني مالك . وتسمى أيضاً قرية آل غماط وتسمى المَبْدا .

غلاّب : بصيغة المبالغة : راجع مادة شواطىء .

الغَوَادِيه : بفتح الغين والواو بعدها الف فدال مهملة مفتوحة فيـاة مثناة تحتية مفتوحة فهاء : من أرباض جبل فيفاء .

الغِوَرَة : بكسر الغين وفتح الواو والراء ثم هاء : من قرى المُوَسَّم .

الغَوابر : جمع غائر ، موضع بأعلا وادي صبيا ، ورد ذكره في حوادث سنة ٩٢٥ جرت به وقعة بين أمير جازان وأمير حَلي (راجع ص ٢٨١ ج ١ من كتاب المخلاف السليماني) .

غَوّان : بصيغة المبالغة : واد ينحدر من جبال العزيين وينحدر الى شمال الملحا ، ويمره وسطاً بين وادي شهدان وقُرى ويلتقي بوادي قرى شمال قرية الملحا ثم يلتقيـان بمجرى وساع وشهدان شرق قرية العَشّه (راجع الخارطة بآخر الجزء الثاني من كتاب المخلاف السليماني) .

غَوّان : على اسم سابقه : من أودية الشُقيق .

الفيل : على اسم الغيل المعروف : من قرى جبل سَلاَ

حرف الفاء

الفُجا : بضم الفاء وفتح الجيم المعجمة ثم ألف مقصورة : وادٍ معروف ذكره الهمداني في « صفة جزيرة العرب » ولا يزال محتفظاً

باسمه ومصبه في ساحل بلدة المضايا (راجع ص ٣٢ ج ١من كتاب الخلاف السليماني) عن مساقطه وقراه انظر الخارطة الملحقة بآخر الجزء الثاني من المصدر نفسه .

الفاجر : من الفجور ضد التقى قال الشاعر :

وقد زعمت ليلى بأنـّيَ فاجرٌ لنفسي تقاها أو عليها فجورها :

اسم قَرْيةٍ من قُرى جَبَل سَلاَ

الفَـرحةُ : على اسم المرة الواحدة من الفرح ضد الحُزن : من رِحلَسَل جبل فَيْفا .

الفارِس : على صيغة الصفة للرجل المتمرس بالفروسية : مورد مياه بجهة الرَّيْث .

الفَرْشَةُ : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وفتح الشين المثلثة فهاء : قرية صغيرة علىعَدوة وادي صَبيا الجنوبية جنوب قرية جُخَيرةَ السابقة في حرف الخاء .

الفَرْشَةُ : على اسم سابقتها : قرية على عدوة وادي وِسَاع وشَهدان شرق قرية المَلْحا

فُرْضَةُ : على اسم الفرضة التي هي مرسى السفن : قرية بجهة عِتوِد .

الفُرمُ : بضم الفاء وسكون الراء المهملة ثم ميم : من قرى المسارِحَة.

الفُرَيش : مصفرا – راجع حرف الشين مادة شواطيء .

الفَقَرَةُ : بفتح الفاء والقاف والراء ثم هاء : قرية من قرى الطَّمحَة .

الفُقَهاء : جمع فقيه : قرية من قرى وادي جازان قرب قرية بخشة – السابقة في حرف الباء .

الفُليقةُ : مصفرة ، وبعضهم ينطق بها غير مصفرة : من قرى بني الحُرَّث غرب قرية القَرن الآتية في حرف القاف

الفُوَيْدَيَةُ : مصغرة مخففة : من قرى المسارحة بين قريتي الجامة والسِّرِّ.

فَيْفاء : بفتح الفائين ببنهما ياء مثناة ساكنة ، وآخرها الف التأنيث الممدودة : جبل معروف في شرق منطقة (جازان) يعد لبنان المنطقة ، يقدر ارتفاعه عن سطح البحر بستة آلاف قدم ، ويشتمل على عدد من الأرباض والحلل أوردنا اسماء المشهور منها في محلاتها .

القائم : من صفة فاعل القيام الذي هو ضد القعود: قرية شمال المحَلّة.

القائم : أرض صلبة التربة شرق المحلة .

قائم صُلَيْعاء : على اسم الاسم السابق – منكرا – ومضافا الى صليعا بالتصغير : قرية قريبة من قرية اللقيه – الآتية في حرف اللام – في مخلاف صامطة .

قائمُ السّاحةِ : على اسم سابقة مضافاً الى السَّاحة : حِلّة بجهة بني الحُرْث.

القائم : معرفاً: من قرى المسارحة بين قريتي (البيطارية) و(سوق الليل)

قائم زبيد : مضافاً الى زبيد بكسر الباء والياء ثم دال مهملة : من قرى بني الحُرْث .

قائم الكُعُوب: جمع كعب نسبة الى قبيلة من قبائل بنى الحُرْث تسمى الكعوب: قرية من قرى بني الحرث .

قائم الرّوحَة : بفتح الراء المثقلة وفتح الواو والحاء المهملة ثم هاء : من قرى بني الُحرْث .

قائم بن احْمدَيني: واحْمَدَيْني بسكون الحاء وفتح الميم والدال المهملة وسكون الياء المثناة وكسر النون ثم ياء مثناة: من قرى العارضة شرق قرية الَخبْرية السابقة في حرف الخاء .

قائم الَمرْوة : واحدة حجارة الَمرْو الذي يقدح به : قرية في بلاد بني الُحرْث ، غرب قرية الجابري – السابقة في حرف الجيم.

قائم الحِصْياد : بكسر الحاء وسكون الصاد وفتح الياء المثناة بعدها ألف فدال مهملة : من قرى العارضة .

قائم بن ِ شَرْحِين: بفتح الشين وسكون الراء وكسر الحاء المهملة ثم نون موحدة فوقية : من قرى العارضة .

قائم العَقْم : على اسم العَقم بفتح العين وسكون القاف ثم ميم : من قرى العبادل .

قائم الغبراء : من الغُبار : قرية من قرى العَبَادل (بفح العين والباء وكسر الدال المهملة ثم هاء)

قائم بني شَراحِيل: بفتح الشين والراء ثم ألف وكسر الحاء والياء ثم لام: من قرى العبادل .

القائم : ويضاف فيقال قائم صُنْبُع : بضم الصاد وسكون النون وضم الباء ثم عين مهملة : من قرى ضَمَد قرب قرية الجَهْو السابقة في حرف الجيم .

القائم : معرفا : من قرى الشُقَيْق .

القائم : » » » دَرْب بَني شُعبَة .

القبر : على اسم القبر المعروف مرسي: من مراسي جزيرة فرسان — راجع حرف الجيم مادة جزيرة —

قبر الحُرْمَة : على اسم سابقة – منكرا – ومضافا الى الحرمة بضم الحاء المهملة وسكون الراء وفتح الميم : موضع على الساحل شمال (زبارة السواحل) – راجع حرف الشين مادة شواطيء –

قُرَثَة : بضم وفتح القاف المثناة وفتح الراء والتاء المثلثة ثم هاء : قرية ببلاد الحُرَّث قريبة من بلدة الخَوْبَه .

القَحْمة : بلدة ساحلية في شمال المنطقة وهي قاعدة بلاد قبيلة المُنجِحَة .

القحمة : كسابقتها بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وفتح الميم ثم هاء: أراضي شَجْراء وحِلـــل جمع حِلـة بكسر الحاء في جهة المسارحة في الحَزْن .

القِحْلَـة : بكسر القاف وسكون الحاء وفتح اللام ثم هاء : قرية صغيرة بين صبيا الجديدة وصبيا القديمة .

القِحَنة : بفتح وكسر القاف وفتح الحاء المهملة والنون الموحدة ثم هاء: من قرى العارضة .

القُحَيْز : بفتح القاف والحاء وسكون الياء ثم زاي: من حلل جبل فيفاء.

قُحيشَة : بالتصغير : من حلل جبل فيفاء .

قَـرَار : مصدر قر قراراً : قرية شمال شرق بلدة درب بني شُعبة .

قُرى : على اسم جمع قرية : واد ينحدر من شمال جبال العِزّيين وما حولها ، ويلتقي بوادي بَيش قرب السلامة العليا (راجع الفصل الخاص بأودية المخلاف السليماني ص ٣٠ — ٤١ ج ١ من كتاب المخلاف والخارطة الخاصة بذلك الوادي بآخر الجزء الثاني) .

القِري : بكسر القاف والراء وآخره ياء مثنـــاة : مورد من موارد المياه في بَيش .

القِري : على اسم سابقه : مورد مياه بجهة الرّيث .

قَرْعا : بفتح القاف وسكون الراء المهملة وفتح العين ثم الف مقصورة إسم موضع بجهة وادي ضَمَد قال صاحب « العقيق اليماني » في حوادث سنة ٩٨٧ : (وفيها او في التي قبلهـــا حجر القاضي محمد بن علي بن عمر ارض (قرعا) و (نخيلان) ولم يَعِشْ بعد الحجر إلا اياماً يسيرة ، واختلف الناس في سبب الحَجر ، فقيل إنه لكبر سنه وطول عمره يعلم ان لتلك

الارض ملاّك قد التبسوا وتفرقوا في البلدان بسبب القحط ايام سنة أم العِظام ، وموت الناس في ذلك العصر ، وقيل إنما حجرها لتعلق حقوق اهل قرية ضمد الأسفل بالوادي والمحتطب والمرعى وقيل غير ذلك والله اعلم) انتهى ولا تزال تعرف بهذا الاسم .

القـرَعَة : على اسم واحدة القرع ، الدُّبّاء المعروف : من قرى جبل سلا .

القِرْفاعي : بكسر القاف وفتحها وسكون الراء المهملة وفتح القاف الثانية المثناة الفوقية وكسر العين بعد ياء مثناة هي ياء النسبة : قرية من بني الحرّث شرق قرية القائم الآتي ذكرها في حرف القاف .

المِقـرْقـَم : بكسر الميم وفتحها وفتح القاف المثناة الفوقية وسكون الراء المهملة وفتح الداف المثناه الفوقية قرية من قرى المسارحة شرق قرية المنجارة — الآتية في حرف النون .

قـَرْنُ قـَبول : على اسم قرن الحيوان مضافاً الى القـَبول ضِد الدبور : جبل بين جبلي (جحفان) والرميح .

القـَرن : على اسم سابقه — مُعرفاً — من قرى صامطة ، غرب قرية (ماغص) .

القرن : على اسم سابقه : من قرى بني الحـُرّث ، غرب بلدة الخوبة .

القـُرْنة : بضم القاف وسكون الراء : من قرى جبل هروب .

القـُرّة : على اسم قرة العين : قريتان إحداهما تسمى القـُرّة العليا والاخرى القرة السفلى بجهة صامطة شمال قرية مجعر .

القـَريبَة : من القرب ضد البعد : من قرى جبل الحشَر وهذا الجبل يسمى جبل حريص الحشر ويختصر فيقال جبل الحشر .

ويقال للقبيلة التي تسكنه أو بالأصح تسكن نصفه الجنوبي ، بني َحريص ويقال لهم « حريص الحشر » وهم غير بني حريص الذين يسكنون جبلاً جنوب جبل فيفاء ويتبعون – إدارياً – امارة العارضة ويعرف جبلهم بجبل بني حريص .

قرية علي بن موسى : على اسم القرية التي هي البلدة الصغيرة مضافة الى شخص . قرية بين قريتي العَشّة بفتح العين – السابقة في حرف العين – وبين قرية الجمّالة – السابقة في حرف الجيم.

قرية موسى بن عبد الله : على اسم سابقتها مضافة الى اسم شخص آخر . قرية بين قريتي (العالية) – السابقــة في حرف العين – وبين قرية الجمّالة المار ذكرها .

ُقزَعْ : بضم أوله وفتح ثانيه : قرية صغيرة بين قرية (المُعْتَرَض) – الآتي في حرف الجيم – وبين قرية (الظّبْيَة) السابقة – في حرف الظاء – .

ُقزَع : على اسم سابقه : قرية من قرى المسارحة ، شرق قرية سوق الليل – السابقة في حرف السين – .

القَزَعَة : بفتح القاف والزاي المعجمة.والعين المهملة ثم هاء : من قرى بني مالك ، شمال قرية القهبة الآتية في حرف ق – ه .

قَزَعَة : على اسم سابقتها – مُنَكّرَةً – : من حِلَل جبل فيفاء .

القاسِميّة : نسبة الى شخص اسمه (قاسم) : قرية على العدوة الجنوبية لوادي بلاج على بعد أربعة أكيال من بلدة (ضمد) .

القَصَب : على اسم قصب اليراع : شعب من روافد وادي (لِيَة) الآتي في حرف اللام .

القَصَبَة : على اسم مؤنث ما قبله شعب ينحــدر من جبل (دبير)

– السابق في حرف الدال -- ومن الجبال القريبة منـــه ، ويلتقي بوادي مشرف – الآتي في حرف الميم – عند قرية هلابة ـ الآتية في حرف الهاء – ثم يلتقيان بوادي جازان .

القَصَبَة : على اسم سابقتها : من قرى جبل العبادل – السابق في حرف العين .

القُصَادِيّة : نسبة الى رجل اسمه ُقصَادِي بضم القاف وفتح الصاد يليه الف ثم دال مهملة مكسورة ثم بالنسبة : والقصادية بئر من موارد المياه في بيش .

القصار : جمع قصير ضد طويل – راجع حرف الجيم مادة جزيرة باسم فرسان .

قِصِي : بكسر القاف والصاد ثم ياء مثناة تحتية : وادٍ معروف وهو أحد فروع وادي (صَبيا) ومساقطه من جبل حَريص الحَشْر وما قرب منه (راجع ص ٣٧ ج ١من كتاب المخلاف السليماني أو الجنوب في التاريخ) . وقد وقـع سهو منا في كتابنا المخلاف السليماني ص ٣٧ ج ١ اعتماداً على الهمداني بأن مآتي وادي صبيا من بوصان وجبل العر . وقد قمنابتحقيقات ودراسات حديثة سبق ايرادها عنـــد ذكر وادي صبيا في حرف الصاد من هذا المعجم وهنـا نصحح أيضاً ما ورد في نفس تلك الصفحة عن وادي قصي من ان رؤوسه من أعلا جبال « عيبان » ، والصحة ما أوردناه هنا نتيجة لتحريات ودراسة .

القَضَبُ : بفتح القاف والضاد المعجمة ثم باء موحدة تحتية : محراث معروف في غرب مدينة (صبيا) وحلة بكسر الحاء .

القَضَبُ : على اسم سابقه : قرية من قرى سامطة .

القَـضَبُ : على اسم سابقيه (حِلة) بكسر الحـــاء المهملة في خبت الزهبين – السابق في حرف الخاء .

القَطيـع : راجع حرف الشين مادة شواطيء .

قُطيلُ : مصغراً ويسمى أيضاً (آل قطيل) نسبه الى عشيرة من عشائر بني مالك : (حِلةٌ) يسكنها اولئك القوم .

مَقطوف : راجع حرف الشين مادة شواطيء .

القطيعَةُ : على اسم المرة الواحدة من الاقطاع : من حلل جبل فيفاء .

قَطِينة : بفتح أولها وكسر الطاء المهملة وسكون الياء المثناة ثم هاء . من قرى الموسَّم .

القَـعْـرُ : بضم أوله وسكون ثانيه ثم راء مهملة : مورد مياه في جهة القحمة من بلاد المنجحة .

القَـعارِيَة : بفتح القاف والعين بعدهـــا الف فراء مهملة مكسورة فياء مثناة فهاء : قرية شرق مدينة (جازان) .

قَعّاسٌ : بصيغة المبالغة : قريب غرب قرية العيدابي من بلاد بـــني الغازي .

القاع : على اسم القاع الذي هو من مترادفات اسم الأرض : من قري بني الغازي .

القاع : على اسم سابقه : قرية من أعمال بلدة الشُّقيق – السابقة في حرف الشين –

قاع أبو العرة : على اسم ما قبله – منكراً – من قرى وادي(عتـود) (لم تضبط العرة)

القاعة : مونثة : من حلل جبل بني مالك

القاعَين : على صيغة المثنى : من قرى جبل سلا .

القُلَيْبِيَة: بالتصغير (؟) مخففة : من قرى صبيا .

القُفل : على اسم قفل الباب ، ويضاف فيقال قفل ابن حيدر : قرية شرق قرية (اللقيه) الآتية في حرف اللام .

القُلفة : بضم القاف وسكون اللام وفتح الفاء ثم هاء : من قرى بني الغازي .

القُلة : على اسم واحدة القلل : من حلل جبل حريص الحشر .

القُمتين : مُثنى قمّة . بضم القاف : جبلان معروفان ينحدر منهما أكثر وادي الرباح وهو واد صغير في شمال بلاد المسارحه (راجع أودية المخلاف السليماني ص ٣٢ ج ١) .

قَمَر : على اسم قمر السماء قرية شمال قرية (الخُوبة) السابقه فيحرف الخاء ببلاد بني الحرّث

قَمَران : على صيغة المثنى : قرية من قرى جبل العبادل .

قَامِرة : بفتح القاف بعدها الف ثم ميم مكسورة فراء مهملة مفتوحة فهاء : قرية شمال أبي عَرِيش .

القِمْرِيّ : على اسم الطير الفرد المعروف : قرية على عدوة وادي ضَمَد الجنوبية غرب قرية الحرَجة .

قَمْعَةُ : على اسم واحدة القمع بفتح القاف قرية من اعمال صامطة غرب قرية الدريعية — السابقة في حرف الدال .

القَمْلة : على اسم واحدة القمل الحشرة المعروفة : حِلّةٌ بجهة (صبيا)

القُنْبور : على وزن الطُنبور : حِلة بكسر الحاء ، بجهة (المُوَسَّم) الآتي في حرف الميم .

قُنبُورة : على اسم سابقها مؤنثة : من قرى المسارحة قرب قرية (العلولية) .

القَنازِيزُ : بفتح القـــاف والنون ثم ألف فزاي مكسورة فياء مثناة مكسورة ثم زاي ثانية قرية قرب بلدة (الحقو) .

القناة : على القناة المعروفة : من قرى جبل الحشر .

قَـوّا : بفتح القاف المشددة ثم ألف مقصورة قرية غرب قرية الخوبة وهي في ريف رغيب وموقع جميل وهي و(الدّحْن) ـ السابق في حرف الدال و (السلب) وخُميعة) و(السودة) من اجمل البقاع في شرق المنطقة، غيول دافقة، وأشجار باسقة، ورياحين عابقة، وطيور صادحة، وكلها مراعي وغابات وفيها يقول مؤرخ الجنوب وشاعره من قصيدة :

شذا يتعالى بالتجـــلة أوشدوا ... تضوّع من(فيفا عبيرا ومن(عَكوى)
ورنّ بها (جازان) عـــلوية الشذا ... سماوية الأنفـــاس قُدسية النجوى
لها ومضات البرق في كل مطلـــعٍ ... سطوعا، وصوت الرعد مرتجزاً دوّى
وأنسام أزهـــار الفراديس نفحةً ... على الأفق المخضل والمنظر الأحوى
كأنّ نسيم (السّلْب) يسحب ردنه ... زكياً، على الدوح المهدّل من (قَـوّا)
ويذكيه مرج(الدّحْن)من صيمرانه[1] الـ ... معطر في سهلي (خميعة) و(الجوا)[2]

* * *

وأودية غنّـــاء زان ضفافها ... خمائل نافت فوق شطآنهـــا قَنوا
تخاصر أكنـــاف الروابي وتنثني ... تفيض على الآكام والدوح والدّوا
وطلح كأشباح الأساطير في الدجا ... وفي الصبح بحرٌ ماجَ منخضرة رَغوا
يطل على زرق الغيول كأنهـــا ... (مرايا) تُطوّقها الأزاهير والنّوّا

(١) : الصيمران : نبت طيب النفح .
(٢) : الجوا : وبعضهم يسمها الجوة قرية معروفة .

بلابلها صداحة ويمامها | مجنحة الانغام صداحة شدوا
تدير على الاسماع لحن معازف | مشعشعة التغريد رفافة سجوا

* *

مَراءٍ من الحسن الرفيع تراقصت | على السندس المخضر والمنبع الأروى
جلتها يد الابداع أروع مشهداً | من الروضة الغيناء والغادة الجلوا
مواكب للأضواء والظل نسقتْ | باجمل ما تسمو الفنون له صبوا

* * *

بمعتنق (الحوذان[1]) و (الشيح) دوشه | يميس على الوزاب قد ظلل (الفغوا)
ملاعب أفراس الجياد ومنتدى الـ | بطولات ، في عهد الفتوة والسطوى
هناك الهوى الريان يقطر غصنه | ومثوى المنى والجد والحب والسلوى

قوز الشويعر : راجع حرف الشين مادة شواطيء :

القَوْز : بضم القاف والواو ثم زاي : ويضاف فيقال (قوز الجمافر) وهو المرسى الطبيعي لـ (صبيا) وقريباً منه توجد اطلال المدينة التاريخية (عثر) راجع حرف العين مادة ع ـ ث .

القَوْز : على اسم سابقه : قرية شرق بلدة الشُّقيق — السابقة في حرف الشين :

القُوع : بضم القاف والواو ثم عين مهملة ، ويقال لها بلهجة اهله امقوع بأم الحميرية : قرية بجهة الخبراية .

---

(١) الحوذان والدَّوش والوزاب : رياحين برية عطرية للنفح والفغو : زهر شجر الحِنّا أما الشيح فهو معروف .

القُوعية : بضم القاف والواو وكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة ثم هاء : قرية غرب قرية ابي عريش بخمسة أكيال.

القوّامة : بصيغة المبالغة على وزن علاّمة: ثلاث قرى على ضفة وادي الحقو جنوب بلدة الحقو يطلق على الاولى القوامة العليا والثانية القوامة الوسطى ، والثالثة القوامة السفلى .

القَوِيعة : بفتح القاف وضمها وكسر الواو وفتح اليـــاء وكسر العين المهملة : في جبل يسمى طلان من جبال بني مالك .

القَهَبَة : بفتح القاف المثناة الفوقية والهاء المهملة والباء الموحدة ثم تاء مربوطة: قاعدة بلاد قبائل بني مالك الواردة اسماء قراهـــا متفرقة في مواضعها من هذا المعجم ، ويقدر ارتفاع القهبـة عن سطح البحر بـ ٣٥٠٠ قدم .

القهر : جبل القهر أشهر جبال قبيلة الريث وحدود بلاد الريث تحد جنوباً بجبال العزيين ؟ وغرباً بالحقو وشمالا ببلاد قحطان ، وشرقاً ببلاد قحطان وجلة الموت ، والقهر أشهر جبالهـــا وأمنعها ويقدر ارتفاعه بـ ٤٠٠٠ قدم تقريباً وبما اننا لم نعثر في في معجمات الأمكنة على اسمـــه بالذات وان تكن ذكرت اسماء مواقع باسم القهر ، وبما اننا سبق أن أوردنا في كتابنا « المخلاف السليماني » تحقيقات ودراسة عن تلك المواقع وما ورد عنها في المصادر الجغرافية العربية فرأينـــا من الأنسب إستعارة ذلك البحث وإثباتـــه في هذا المعجم مع بعض التصرف وما استجد لدينا من معلومات[1] .

القَيُوس : جمع قيس – الاسم العَلم المعروف : قرية من قرى الموسم .

جازان محمد بن أحمد العقيلي

(١) : سينشر البحث مستقلا في « العرب » .

الحجاز في القرن السابع الهجري

على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي

- ٣ -

[٥٠] قرىءَ وأنا أسمع ، على الشيخين الفقيـــه الامام ، مفتي الحرم ، رضي الدين ، أبي عبدالله محمـــد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني ، المكّي ، وأخيه علم الدين أبي الفضل أحمد بن أبي بكر ، وهو أول حـــديث سمعته عليهما ، بمكة – شرّفها الله – بمنزلهما ، بقراءة رفيقي الوزير الجليل ، الماجد الأصيل ، ابي عبدالله بن الوزير الجليل أبي القاسم [...] أمّله ، ويسّر له ما أمّ له ، قيل لهما : أخبركما الشيخ الإمام المحـدث ابو الحسن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله ، بن عبد الله بن الحسين بن عساكر ، قدم حاجاً وهو أول حديث سمعتماه منه ، فأقرّا به . قـال الشيخ ابو الحسن : حدثني الشيخ والدي مسند الشام ، أبو البركات الحسن بن محمد – رحمه الله – الملقب بالسّجّاد ، في الثامن بعد العشرين من شهر رمضان ، سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، وهو أول حديث سمعته (١) قال : حدثني عمي الحافظ الإمـــام مؤرخ الشام ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله – رحمـــه الله – وهو أول حديث سمعته منه : قال : أنا ابو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي ، وهو أول حديث سمعته منه . قال : انا ابو صالح أحمد بن عبد الملك بن علي النيسابوري المؤذن ، وهو أول حديث سمعته منه قال : انا ابو طاهر محمد بن محمد بن معمش (؟) الزيادي ، وهو اول حديث سمعته منه ، قال : انا ابو حامد احمد بن محمد بن مجد (؟) بن بلال البزاز ، وهو أول حديث سمعته منه ، قال : انا عبد الرحمن بن بشر بن الحـكم العبـدري ، وهو أول حديث سمعته منه ،

(١) : في الهامش : (كذا ، سقط : منه) .

قال : انا سفيان بن عُيينة ، وهو أول حديث سمعته منه ، عن عمرو بن دينار ، عن أبي قابوس مولى عبدالله بن عمرو، عن عبدالله بن عمرو ان رسول الله ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

هذا الحديث هو مخرج في « الأربعين المختارة » في فضل الحج والزيارة » من تأليف ابي بكر محمد بن يوسف بن مسدي[1] سمعه الشيخ رضي الدين عن مؤلفه ، وقد سمعه ، أو قرأه عليه رفيقي الوزير الفاضل أبو عبدالله ، يَسَّر الله مرامه ، وتولّى برّه وإكرامه .

الحمد لله : سمعت شيخنا الإمام الصدر ، مفتي الحرم الشريف، رضي الدين أبا عبدالله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني المكي ، بداره ، بالحرم الشريف في ذي حجة ، موسم عام أربعة وثمانين وستمائة يقول : « سمعت أبا المكارم ابن مُسدِي [2] يقول : سمعت أبا عبدالله محمد بن احمد بن محمد البَلَنسِي بالمريّة من بلاد الأندلس يقول : سمعت أبا طاهر أحمد بن محمد بن ابراهيم الأصبهاني يقول: سمعت ابا الفتح ازديار(؟) ابن مسعود الغزنوي يقول: سمعت أبا الحسن علي بن محمد بن نصر اللبّان يقول : سمعت ابا القاسم حمزة بن يوسف السهمي بجُرجَان يقول : سمعت ابا القاسم عبيد الله بن محمد بن خلف البزاز بمصر يقول : سمعت محمد بن [3] الحسن الإنصاريّ يقول : سمعت أبا بكر محمد بن إدريس المكي يقول : سمعت عبدالله بن الزُّبير الحُميدي يقول : سمعت سفيان بن عيينة يقول : سمعت عمرو بن دينار يقول : سمعت ابن عباس يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الملتزم موضع يستجاب فيه

---

(١) : هو الأندلسي الحافظ المتوفي سنة ٦٦٣ وفي هذا الموضع كلمات غامضة .

(٢) : فوق الكلمة في الأصل : (كذا) ، كأنه يقصد الضمة على الميم . حيث أوردها مراراً مفتوحة .

(٣) في الهامش بخط كاتب الأصل : (حاشية : هو أبو الحسن محمد بن الحسن بن علي بن راشد ابن سعد بن عمر بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عُبادة الأنصاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو معروف بالرواية عن أبي بكر بن إدريس المكي هذا . اهـ

الدعاء ، وما دعا عبد الله تعالى فيه دعوة إلا استجابها » أو نحو ذلك . قال ابن عباس : فوالله ما دعوت الله عز وجل فيه قط ، إلا أجابني ، قال عمرو : وأنا والله ما أَهَمَّني أمرٌ فدعوت الله فيه إلا استجاب لي منذ سمعت هذا الحديث من عبدالله بن عباس . قال سفيان : وأنا والله ما دعوت الله عز وجل قط [1] بشيء إلا استجاب لي، منذ سمعت هذا الحديث من عمرو بن دينار . قال الحميدي : وأنا والله ما دعوت الله عز وجل قطُّ بشيء [2] ، إلا استجاب لي ، منذ سمعت هذا الحديث من سفيان . قال محمد ابن ادريس : وأنا والله ما دعوت الله عز وجل بشيء قط إلا استجاب لي ، منذ سمعت هذا الحديث من الحُمَيدي . قال محمد بن الحسن : وأنا والله ما دعوت الله عز وجل، فيه بشيء قط إلا استجاب لي منذ سمعت هذا الحديث من محمد بن ادريس . قال عبدالله بن محمد : دعوت الله مراراً فاستجاب لي . قال حمزة : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي : قال أبو الحسن اللبّان : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي . قال ابو الفتح الغزنوي : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي . قال أبو طاهر الاصبهاني : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي . قال ابو عبدالله بن البلنسي : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي . قال أبو بكر ابن مُسدى : وأنا دعوت الله عز وجل فاستجاب لي ، قال شيخنا أبو بكر بن خليل رضي الله عنه : وأنا دعوت الله فيه فاستجاب لي ، وما دعوت فيه بأمر مهم مخوف إلا استجاب لي . قال سامِعُه تجاه الكعبة المشرفة — زادها الله تكريما — محمد بن رشيد : وأنا فقد دعوت الله هنالك في أشياء من خير الدنيا والآخرة ، تعجلت الاجابة في بعضها إثر خروجي ، وأنا أرجو الاجابة في الباقي ، بحول الله وفضله .

قلت : ألفيت متصلاً بهذا الحديث ، في بعض ما قيد عن شيخنا رضي الدين ولا أدري أهو فيما سمعته عليه أم لا ؟ فهو إجازة ، إن لم يكن سماعاً

---

(١) في الهامش : (حاشية : يعني في الملتزم ، وكذلك ذكره القاضي عياض في مشيخة أبي علي الصوفي) .

(٢) في الهامش : (يعني في هذا الملتزم ، كهذا ذكره الصفدري) .

ما نصه : قال أبو بكر بن مسدي ـ رحمه الله ـ وهذا حديث حسن غريب من حديث عمرو بن دينار المكي ، عن ابن عباس ، لا نعلمه مسلسلاً هكذا إلا من حديث أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي عن سفيان بن عيينة ، عنه ، تفرد به مسلسلا محمد بن ادريس المكي كاتب الحميدي عنه ، وقد روي من حديث أبي الزبير المكي عن ابن عباس موقوفاً قوله ، ومثله لا يكون رأيا ، رواه سليمان بن بلال بن اسماعيل ، عن أبي الزبير ، عن ابن عباس ، فالله أعلم – انتهت الزيادة .

قلت : حدثنا أبو العباس العذري بحديث الدعاء في الملتزم هذا ، عن أبي أسامة المروزي (؟) عن الحسن بن رشيق ، عن أبي الحسن محمد بن الحسن بن راشد الأنصاري المذكور في هذا الاسناد ، عن أبي بكر محمد بن ادريس ، ووقع في هذا الحديث الذي أوردناه كما ترى ، باسقاط ذكر الملتزم في مواضع منه ، فإما أن يكون ذلك اختصاراً [. . .]

[. . الامام أبو عمرو بن الصلاح ، وهو في روايتنا عن شيوخنا عنه ، رويناه عن عبد الله بن عمر بن العاصي أنه طاف ، فلما فرغ من طوافه إلتزم ما بين الباب والحجر . قال : هذا والله المكان الذي رأيت رسول الله ﷺ يلتزمه . وروينا عنه أيضاً : أنه طاف ثم استلم الحجَرَ ، ثم قام بين الركن والباب فوضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكفّيه ، وبسطهما بسطاً ، وقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل [. . .] من الفوائـــد المسلسلات الأسانيد ، تخريج ابن مسدي سمعها عليه بشرطها من التسلسل، برباط مراغة، من مكة المشرفة ، تجاه الكعبة ، في ذي حجة عام خمسة وستمائة ليلة الثلاثاء البالغة منه .

[٥١] ومما قرىء على الإمام المفتي رضي الدين أبي عبد الله ابن أبي بكر رضي الله عنه بمنزله بمكة – زادها الله شرفاً – بعد قفولنا من الحج ، وأنا أسمع ، في يوم الأحد ، الرابع عشر من ذي حجة ، من عام التاريخ المذكور، كتاب الأربعين من رواية المحمدين ، المخرج من صحيح البخاري – رضي الله

عنه – تخريج الإمـــام الحافظ ، أبي بكر محمد بن علي بن ياسر الأنصاري الجياني ، ومن الجزء المذكور وهـــو الحديث الأول من الأربعين ، أنا رضي الدين ، سماعاً عليه بمنزله بمكة المشرفة ، بقراءة صاحبنا الوزير الجليـــل ، الكاتب البليغ أبي عبد الله ابن أبي القاسم – سلمـه الله وحفظه – قال : أنا الشيخ الصالح بقية السلف أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك المكي الطبري ، بمنزله بمكة المشرفة ، بقراءتي عليه وهو يسمع ، صبيحة يوم الجمعة ، لأحد عشرة ليلة بقيت من صفر سنه تسع وخمسين وستمائة ، قال أنا الإمام العالم أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي يوم الثلاثاء سادس صفر سنة ثلاث وستمائة بالحرم ، قال أنا الامـام الحافظ أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الأنصاري ، ثم الجيّاني قراءة عليه ، في شهر الله تعالى الأصم رجب ، وأنا أسمع ، سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، بالموصل ، قدم علينا ، قـــال : الحمد لله على سوابغ آلائه ، وترادف نعمائه – ثم ذكر تمام الخطبة وصدر الكتاب ، ثم قال – : الحديث الأول منها ما أنا محمد ، ومحمد قالا أنا محمد ، قال أنا محمد ، قال أنا محمد ، قال أنا محمد ، قال أنا محمد ، قال أنا محمد ، قال أنا محمد عن عروة بن الزبير عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ رأى في بيتها جارية ، في وجهها سفعة [١] فقال : « استرْقوا لها ، فإن بها النظرة » . فالأول من المشائخ هو الإمام العالم الزاهد أبو عبدالله محمد بن الفضل ابن أحمد نزيل نيسابور ، والثاني : هو أبو عبد الله محمد بن علي ابن الحسن الخبازي الجرجاني، إمام القرّاء بنسابور ، وشيخ القراء في عصره، وقرينه الشيخ الإمام أبو سهل محمد بن أحمد بن عبيد الله بن حفص الحفصوني المروزي ، قدم نيسابور ، ونزل المدرسة النظامية ، وقُرىءَ عليه الصحيح ثم رجع إلى مولده بمرّو ، ومات هناك – رحمة الله عليه – وشيخه [٢] هو الثقة أبو الهيثم محمـد بن مكي بن زُراع الكشميهني الأديب ، وشيخه هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بشر الفربري .. وشيخه هو محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري – رحمه الله – حكي عنه

---

(١) : السفعة : أثر مرض من إصابة بعينٍ أو غيرها .
(٢) : في الهامش – بخط كاتب الأصل – : (صوابه : وشيخها)

انه قال : صنفت « الجامع » في المسجد الحرام ، فما كتبت فيه حديثاً حتى استيقن بصحته [٥٢] واستخرت الله تعالى لكل حديث ، وصليت خلف المقام ركعتين ، ثم كتبته .

وشيخه هو محمد بن خالد الزهري ، وشيخه هو محمد بن وهب بن عطية الدمشقي ، وشيخه هو محمد بن حرب الخولاني ، يعرف بالأبرش ، وشيخه هو أبو الهذيل بن الوليد بن عامر الزبيدي الحمصي ، وشيخه هو محمد بن مسلم بن شهاب [1] بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب الزّهري .

وبالاسناد إلى الحافظ أبي بكر الجياني – رحمه الله – قال : وأخبرني به أيضاً محمد أنا محمد ، أنا محمد ، أنا محمد ، أنا محمد ، أنا محمد ، أنا محمد ، أنا محمد ، أنا محمد ، أنا محمد ، عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة ، عن أم سلمة أن النبيّ ﷺ تسليما ، رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال : « استرقوا لها فإن بها النظرة » فالأول من المشائخ الامام الزاهد . المذكر ، شيخ الصوفية في وقته ، محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الخطيب الكشميهني – رحمه الله – والثاني شيخ الزمان في وقته زهدا وعلما وورعا أبو الخير محمد ابن موسى بن عبد الله الصفّار ، والثالث هو الامام أبو الهيثم محمد بن مكي ابن ذراع (؟) الكشميهني ، والرابع هو محمد بن يوسف بن مطر ، والخامس هو الامام المقدم محمد بن اسماعيل ، والسادس هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد ، والسابع هو محمد بن وهب بن عطية ، والثامن هو محمد بن حرب ، والتاسع هو محمد بن الوليد ، والعاشر هو محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري .

هذا الحديث أول حديث في الجزء ، اكتتبت الجزء بكامله ، وعارضته ، والحمد لله ، وهو جزء حسن ، ترجى بركة تكرار هذا الاسم الكريم في سلسلة أسانيده بفضل الله ونعمته ، وقد أودع المصنف هذا الجزء أحاديث

---

(١) : في الهامش – بخط كاتب الأصل – (طرّة : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب) .

في فضل من تسمى بهذا الاسم، وأسندها، وفي أسانيدها ضعف، فلذلك لم نخرّجها .

ولابن علوان المذكور في هذا الاسناد كناه أبو بكر بن مسدي بأبي عبدالله، وذكره في شيوخه، وقال فيه : رجلٌ صالح، مجاور في الحرم الشريف . وقال : سمع من ابن ياسر، وأبي الفضل الطوسي خطيب الموصل، وغيره وشيخه أبو عبد الله الطبري هو محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن أبي نصر الطبري الأصل، المدني الجدّ، المكّي الأب والمولد، النخلي الدار، شيخ حسن، سمع على رأس الستمائة، من شيوخ مكة، ثم لزم نخلةَ من بادية مكة، ذكره أبو بكر بن مسدي في شيوخه بما ذكرناه .

[٥٣] قُرِيء على الإمام رضي الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن خليل العسقلاني بالحرم الشريف، وأنا أسمع – أخبرك ابو بكر بن مَسْدِي(١) سماعا عليه فأقرّ به، قال : سمعت ابا القاسم محمد بن عبد الواحد التاريخي – رحمه الله يقول :

سمعت أبا الحسين محمد بن سراج التغلبي يقول : سمعت ابا بكر ابن العربي يقول : سمعت محمد بن عبدالملك بن الصوفي يقول : خرجت مع أبي الفضل ابن الجوهري – رحمه الله – مشيّعين لقافلة الحجاج، وموّدعين لها، فبتنا معها، فلما أصبحنا أثيرت الجمال، وزمّت الرحال، فذهبنا معهم إلى موضع يُعرف بجُبّ عَمِيرة(٢)، فأخذنا في التوديع، والتفتُّ إلى فتى حسن الوجه، شاحب اللون، وهو يتتبع الرواحل، راحلة بعد راحلة، ويتردد، حتى مشى الحاج عن آخرهم، وكان يقول في أثناء تردده :

أحجّاج بيت الله في أيّ هودجٍ وفي أيّ خدرٍ من خدوركم قلبي ؟!
أألقي رهينَ الشوق في أرض غربة وحاديكمُ يحدو، فقلبي مع الركب

---

(١) : في الأصل : (كذا) بين الكلمتين .
(٢) : موضع قريب من القاهرة، منسوب إلى عَمِيرة بن تيم بن جذد التُّجيبي « معجم البلدان » .

فوا أسفي ، لم أقضِ منكم لُبانتي ولم أتمتع بالجوار ، وبالقربِ
وفُرِّق بيني بالرحيل وبينكم فها أنا ذا أقضي – على الرغم – نحبي
يقولون : هذا آخر العهد منكمُ فقلت : وهذا آخر العهد من قلبي

فلما لم يبق من الحاج أثر ، وانقطع رجاؤه ، جعل يخطر هائماً ، وينشد، ورمى بنفسه الى الأرض :

خلّ دمعَ العين ينهملُ بَانَ من تهواهُ ، وارتحلوا
أيُّ دمع صانه كَلِفٌ فهو يوم البينِ مبتذل

قال : ثم سقط إلى الأرض ، فبادرنا إليه ، فوجدناه ميّتاً ، فحفرنا له ، وغسلناه ، وكفناه في ردائه ، وصلينا عليه ، ودفناه ، رحمة الله عليه .

أورده ابن مَسدي في «الأربعين حديثاً من رواية المحمدين» من تأليفه الذي قسمه أربعة فصول ، في كل فصل عشرة أحاديث وحكاية ، سمعت بعضها على رضي الدين .

وأجاز لي ما فيه بالجملة ، إن لم يكن بالخصوص ، وسمعه كاملاً على ابن مَسْدِي ـ رحمه الله –

كان أبو بكر ابن مَسْدي هذا يلقب جمال الدين ، وله رواية واسعة ، وصنّف ، وفهرس قال أبو اسحاق الـ ..... وقرأته بخطه :

سألت جمال الدين – يعني ابن مسدي – عن مولده فقال : سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

ووقع عند ابن مسدي : سمعت أبا الحسين محمد بن جابر الثعلبي – بالثاء المثلثة ، والعين المهملة – وهو الصواب ، إلا أن كنيتـه أبا الحسن ، لا أبو الحسين ، وهو المعروف بابن السرماليه (؟)، وما وقع في روايتنا من (سراج) [.....] جابر ، والتغلبي – بالتاء المثناة – وَهْمٌ من شيخنا ، أو ناسخ

الكتاب والله أعلم [١] .

[٥٤] ومن ذلك كتاب « تحفة عيد الأضحى » [٢] تأليف الشيخ المزكي أبي القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي ، رواية الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله عنه ، رواية ابن اخيه أبي البركات الحسن بن محمد بن الحسن عنه ، رواية حفيده أبي اليُمْن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن عنه ، سمعته عليه بمنزله بمِنَى ، يوم النحر سنة أربع وثمانين ، بقراءة صاحبناالوزير الكاتب الجليل ، الماجد الأصيل، أبي عبد الله ابن الوزير الجليل الفقيه أبي القاسم . قال له : أخبركم زين الأمناء ابو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي – رحمه الله – سماعاً عليه ، يوم التَّرْوية ، سنة ثمان عشرة وستمائة ، فأقرّ به ، قال : أنا عمي الشيخ الحافظ ، محدث الشام ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله في يوم الأضحى ،عام تسعة وستين وخمسمائة،قال : أنا الامام أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي ، قراءة في يوم الأضحى تسع وعشرين وخمسمائة [٣] . وأخبركم الشيخ أبو احمد مشهور بن منصور بن محمد القيسي ، سماعاً ، فأقرّ به ، قال : أنا أبو رَوْح عبد العزيز بن محمد بن أبي الفضل بن احمد البزاز ، سماعاً وقد أجازكموه ابو روح ، قال : أنا أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي ، سماعاً ، قال : أنا الشيخ أبو سعد محمد بن عبد الرحمن الكنجروذي ، انا ابو حامد احمد بن سهل بن ابراهيم الانصاري ، نا ابو قُرَيش محمد بن جمعة الحافظ، نا ابو يحيى محمد بنعبدالرحيم البزاز ، وابراهيم بن أحمد ، قالا : نا يزيد بن هارون ، انا سفيان بن سعيد الثوري ، عن الأعمش ، عن مسلم البصير ، عن سعيد بن جُبير ، عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال : « ما مِنْ أيّامٍ أحب اليه العمل فيها ،أو أفضل،

---

(١) هنا تنتهي الصفحة الـ ٥٣ والكلام هنا يتعلق بالرواية عن ابن خليل المكي ، وتبدأ الصفحة الـ ٥٤ بالرواية عن أبي اليُمن ابن عساكر ، بدون رابط بين الموضوعين ، مما يدل على وجود نقص في المخطوطة في هذا الموضع .

(٢) : ذكر صاحب « كشف الظنون » ص ٣٧٠ ج ١ : (تحفة عيد الفطر ، لزاهر بن طاهر بن محمد النيسابوري الشحامي المحدث المتوفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة) اهـ وهو غير هذا.

(٣) هكذا ورد هذا السند وليس فيه ذكر أبي اليمن عبد الصمد .

من أيام العشر » قيل : يا رسول الله و ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : « ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل جاهد في سبيل الله بماله ونفسه ثم لم يرجع ».

ومنه بالاسناد إلى أبي القاسم زاهر الشحامي مصنفه : أنشدنا أبو الحسن البحيري ، قال : أنشدني محمد بن الحسن البغدادي قال : انشدني المتنبي لنفسه :

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده وعيد لمن سمّى ، وضحّى ، وعيّدا
فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى ـ كما أنت فيهم أوْحدٌ ـ كان أوحدا

[٥٥] لما قرىء [١] البيتان على شيخنا أبي اليمن – رضي الله عنه – قال لنا : هنيئاً لكم إذناً منه – رضي الله عنه – ودعاء مرجوُّ القبول ، بفضل الله.

قلت : وهذان البيتان بينهما بيت في شعر المتنبي :

ولا زالت الأعياد لبسكَ بعده تسلّمُ مخروقاً ، وتعطى مجدّداً

وبعدهما :

هو الجد حتى تفضل العين اختها وحتى تكون سيداً

وقد حلّ هذه الأبيات في نثر في تهنئة بعيد ، الكاتب المجيد ، ابن أبي الحديد المدائني [٢] ، كاتب « الفلك الدائر ، على المثل السائر » [٣] فقال : لا زالت المواسم تغشاك وأغصانها وريقة ، وحدائقها أنيقة ، والأعياد تلقاك فأنت عيدها على الحقيقة ، ولا برحت تهتصر الشباب لدناً رطيباً ، وتنضو من الأعياد سملاً ، وتلبس قشيباً ، فهذا اليوم الشريف مثلك في الأيام والشهور ، لكنه أوحد [. . .] محصور ، وأنت أوحد الازمان والدهور [. . .]

---

(١) : فوق الكلمة : (أنشد : صح).

(٢) هو شارح « نهج البلاغة » المعروف المتوفي سنة ٦٥٥ هـ ، و « الفلك الدائر » رد على « المثل السائر » لضياء الدين ابن الأثير الجزري المتوفي سنة ٦٣٧ . وهو في فن الكتابة ، وقد صنف حوله الكتاب مؤلفات كثيرة .

(٣) : ما نقل عن ابن أبي الحديد من الاضافات في الهامش فخفي كثير من ذلك .

ولا أحيل ذلك على محض الجدّ الذي ميّز بين اليومين ، وفضل الله [- - -]
ومنه بالاسناد إلى زاهر الشحامي مصنفه : أنا الامام أبو بكر أحمد بن الحسين
البيهقي ، أنا أبو الحسن أحمد بن علي بن عمر المقريء ببغداد ، أنا أحمد بن
سلمان ، نا عبد الملك بن محمد ، نا يحي بن كثير نا شعبة ، عن مالك بن
أنس عن عمر ، أو عمرو بن مسلم عن سعيد بن المسيب ، عن أم سلمة أن
النبي ﷺ قال : « إذا دخل العشر وأراد أحدكم أن يضحي فليمسك عن
شعره واظفاره » . وبه إلى الشحامي قال : وأنا الامام أبو بكر ، انا أبو
عبد الله الحافظ ، أنا عبد الله بن محمد بن موسى ، نا محمد بن أيوب ، انا
عبيد الله بن معاذ بن معاذ العنبري ، انا ابي ، انا محمد بن عمرو علقمة الليثي
نا عمر بن مسلم بن اكيمة الليثي ، قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول :
سمعت أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول : قال رسول الله ﷺ « من كان له
ذبح يذبحه ، فإذا أهل هلال ذي الحجة فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره
شيئاً حتى يضحي » .

قلت : هذان الحديثان اخرجهما مسلم في « صحيحه » ووقع الأول بدلا
والثاني موافقة ، أما الأول فاخرجه عن حجاج [. . .] عن يحي بن
معاذ ، فوقع موافقة في شيخه ، وعبد الله هذا روى عنه مسلم في غير موضع
من كتابه ، وروى البخاري عن محمد بن النضر ، وحماد بن حميد ، وأحمد
غير منسوب ، عنه في ثلاثة مواضع من كتابه : في تفسير سورة الانفال ،
موضعان . وفي آخر الاعتصام ، موضع ، ووقع في بعض نسخ الجامع — في
الاعتصام ، بالقرب من آخره — قال البخاري : حماد بن حميد صاحب لنا
حدثنا هذا الحديث ، وكان عبيدالله بن معاذ في الأحياء حينئذ ، وهو حديث
واحد هـ . واختلف في اسم ابن مسلم فقيل عمر ، وقيل : عمرو ، وهو
الأصح .

وقال القاضي أبو عبد الله محمد بن يحي بن الحذّا رحمه الله في كتابه الذي
صنفه في «رجال موطأ مالك» رحمه الله ما نصه : عمرو بن مسلم : روى مالك
عن زياد بن سعد عن عمر بن مسلم عن طاوس اليماني أنه قال : أدركت ناساً

من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كلُّ شيء بقدرٍ ، حتى العجز والكَيْس

[٥٦] قال القاضي أبو عبدالله : هكذا روى جُـلُّ أصحاب مالك عمر بن مسلم ، وقد تابعهم على ذلك محمد بن عمرو الليثي عن عمر بن مسلم ، ورواه شعبة عن مالك، واختلف فيه على شعبة،فقال يحي بن كثير العنبري عن شعبة عن مالك : عمرو بن مسلم ، وقال غندر عن شعبة عن مالك : عُمَر ، أو عَمْرو ، وقد اختلف فيه أيضاً عن محمد بن عمرو الليثي . وقال البخاري: عمرو بن مسلم الجندعي ، الليثي ، المدني ، ابن عمار بن أكيمة ، عن سعيد بن المسيب ، روى عنه سعيد بن أبي هلال ، ومالك بن أنس وقال بعضهم : الُخناعي ، وهو خطأ ، ويقال : عمر . قال القاضي ابو عبدالله : هكذا قال محمد بن يحي الذهلي :عمر بن مسلم وقال : إن جده عمار بن أُكيمة هو الذي يروي عنه ابن شهاب ، وإلى هذا أشار البخاري ان عماراً هو جدُّ عمر بن مسلم . وقال الذهلي : إن جُندعاً من ليثٍ . انتهى كلام القاضي ابي عبدالله.

والذي رويناه عن مالك من طريق يحيى بن يحي الليثي إنما هو عن عمرو.

أنا عبدالله بن محمد الطائي قراءة عليه، انا القاضي أحمد بن يزيد ، أنا أبو عبدالله محمد بن عبد الحق، انا ابو عبدالله محمد بن فرج ، انا القاضي يونس بن عبدالله ، أنا يحيى بن عبدالله بن عيسى ، انا عبدالله بن يحيى بن يحيى ، أنا أبي يحيي ، انا مالك عن زياد بن سعد ، عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني أنه قال : أدركت أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : كل شيء بقدر. قال طاوس : وسمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ : « كل شيءٍ بقدرٍ ، حتى العجز والكيس» أو «الكيس والعجز» .

قال الحافظ ابو عبدالله بن خلفون : هكذا روى يحي بن يحي الأندلسي هذا الحديث عن مالك على الشكّ في تقديم أحد اللفظتين ، وتابعه يحي بن بكير وغيره ، وروته طائفة عن مالك على القطع بلا شك .

ومن جزء الشُّحامي بالإسناد إليه : أنا الشيخ أبو عثمان سعيد بن محمد

النجيرمي أنا زاهر بن أحمد الفقيه (ح) [1] ، وانا ابو سعيد الكنجروذي ، أنا الحاكم ابو أحمد محمد بن محمد الحافظ ، قالا أنا ابو القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، نا مصعب بن عبد الله الزبيري حدثني مالك عن أبي بكر الزبيري المكي ، عن جابر بن عبدالله قال : نحرنا مع رسول الله ﷺ عامَ الحديبة البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة .

قلت : زاهر الشحامي هذا ذكره الحافظ ابو بكر بن نقطة في كتابه فقال فيه ما نصّه : أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي النيسابوري ، سمع من ابي سعد محمد بن عبد الرحمن الكنجروذي ، وأبي يعلى الصابوني ، وأبي عثمان سعيد بن محمد النجيرمي (؟) ، وأبي القاسم القشيري ، حدث عنه الحافظ ابو القاسم بن عساكر الدمشقي ، وأبو سعد ابن السمعاني ، وجماعة من المتأخرين ، ادركنا من اصحابه جماعة فوق العشرة ، مولده في ذي الحجة من سنة ست وأربعين ، وتوفي في الرابع عشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، بنيسابور .

ومما سمعته عليه رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ، قراءة عليه بمنى ، وقد نلنا بها أقصى المُنى [٥٧] بقراءة رفيقنا الوزير الجليل الماجد الأصيل ، الكاتب البارع ابي عبد الله ابن الحكيم ـ حرس الله معاليه ، وشكر الكريمة مساعيه ـ يوم النحر ، سنة اربع وثمانين ، جزءٌ فيه مسلسل يوم العيد ، تخريج الشيخ الامام العالم الحافظ ، صدر الحفاظ ، ناصر السنة ، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي ـ رحمه الله عن شيوخه . قال : انا جدي ابو البركات الحسن بن الامير ابي عبدالله محمد بن الحسن بن هبة الله الشافعي سماعاً عليه ، في يوم الأضحى ، سنة عشرين وستمائة ، قال : انا عمي الامام الحافظ محدث الشام ، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين سماعاً عليه ، في عيد الفطر ، بعد الصلاة من سنة احدى وستين وخمسمائة ، ومرّةً اخرى في يوم فطر بين الصلاة

---

(١) : يرمزون بحرف (ح) لتحويل السند من طريق إلى طريق آخر .

والخطبة من سنة خمس وستين وخمسمائة بالمصلّى بدمشق، قال: نا الشيخ الفقيه الامام ابو الحسن علي بن المسلم بن محمد بن علي بن الفتح بن علي السلمي الشافعي، من لفظه في المسجد الجامع بدمشق، في يومي عيدي فطر واضحى بعد الصلاة، قال: نا الشيخ الحافظ ابو محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد الكنفاني من لفظه في يوم عيد فطر، وعيد اضحى، قال: أنا ابو الحسين عبد الوهاب بن جعفر بن أحمد بن زياد الميداني، في يوم عيد فطر واضحى، بين الصلاة والخطبة، قال: حدثني ابو بكر احمد بن علي بن الفرج الحلبي، الصوفي المعروف بالحبّال، في يوم عيد فطر، قال: حدثني أبو الحسين أحمد الورّاق بحلب، يوم عيد اضحى، قال: حدثني أبو جعفر القصير، يوم عيد فطر، بين الصلاة والخطبة، قال: حدثني ابن اخي سليمان بن حرب، في يوم عيد فطر، أو اضحى، بين الصلاة والخطبة، قال: حدثني بشر بن عبد الوهاب الكوفي، يوم عيد فطر، أو اضحى، بين الصلاة والخطبة، قال: نا وكيع، يوم عيد فطر، أو اضحى، بين الصلاة والخطبة، قال: حدثني سفيان الثوري، في يوم عيد فطر، أو اضحى، بين الصلاة والخطبة، قال: حدثني ابن جُرَيج، في يوم عيد فطر، أو اضحى، بين الصلاة والخطبة، قال: حدثني عطاء بن أبي رباح، في يوم عيد فطر، او اضحى، بين الصلاة والخطبة، قال: حدثني ابن عباس، يوم عيد فطر، أو اضحى، بين الصلاة والخطبة، قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ فطراً أو اضحى، فلما صلى قال: «قد أصبتم خيراً، فمن أحبّ أن يقعد فليقعد، ومن أحب أن ينصرف فلينصرف».

قال الامام أبو القاسم مصنفه. هكذا في هذه الرواية، وفيها خلل عند أهل الدراية، وأبو الحسين الميداني من المحدثين الأيقاظ، وعبد العزيز الكتاني يُعَدُّ في جملة الحفاظ، وشيخنا من أعيان علماء الاسلام، وأعلم من لقيتُ بالشام، فكيف استمر خفاء الوهم على ثلاثة من اهل العلم، فلم يوضحوه [٥٨] للناقلين عنهم، ولا نبّه على الصواب واحد منهم ؟!

وفي الحديث وَهْمٌ شنيع، وغلطٌ ظاهرٌ فظيع، لا يخفى على الحفّاظ

النقـاد، والذين لهم بصر بعلم الاسناد ، وهو ان شيخ ابي جعفر القصير الراوي عن بشر بن عبد الوهاب بن بشير الذي ذكر في هذه الرواية بالتباس ، هو أحمد بن محمد بن فِراس ، ابن اخت سليمان بن حرب ، لا ابن اخيه ، يعلم ذلك كل من يقرأ حديثه ويدريه ، وسأورده من طرقـــه - كما ذكرت - ليظهر مصداق ما أخبرت .

حدثنا الشيخ الحافظ أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمـــد بن الحسين بن البندار الأنماطي ، قراءة عليـــه وأنا أسمع ، في جامع المنصور ، غربى بغداد يوم عيد الاضحى بين الصلاة والخطبة ، قال : أبو الحسين المبارك ابن عبد الجبار بن أحمـــد بن الطيوري الصيرفي ، في يومي عيد الفطر والضحى ، بين الصلاة والخطبة ، قال أبو طالب محمد بن علي بن الفتح الحربي ، في يومي عيدي فطر واضحى ، بين الصلاة والخطبة قال : أنا أبو الحسن علي ابن عمر بن علي التمار ، يومي عيدي فطر واضحى ، بين الصلاة والخطبة قال: نا أبو جعفر بن محمد بن أحمد الواسطي ، يوم عيدين ، فطر واضحى ، بين الصلاة والخطبة ، قال : انا علي بن أحمد القرشي القزويني ، يوم عيدي فطر واضحى ، بين الصلاة والخطبة . قال : أنا أحمد بن محمد بن فِرَاس بن الهيثم ، يوم عيدين ، فطر واضحى ، بين الصلاة والخطبـــة ، قال : نا بشر بن عبد الوهاب الآمدي ، يوم عيدين ، فطر واضحى ، بين الصلاة والخطبة ، قال : نا وكيـع ، يوم عيدين ، فطر واضحى ، بين الصلاة والخطبة . قال نا سفيان يوم عيدين ، فطر وأضحى ، بين الصلاة والخطبة قال : نا ابن جريج يوم عيدين ، فطر واضحى ، بين الصلاة ، قال : نا عطاء يوم عيدين ، فطر واضحى ، بين الصلاة والخطبة قال : نا ابن عباس يوم عيدين ، فطر واضحى بين الصلاة والخطبة . قـــال شهدنا مع رسول الله ﷺ يوم عيدين فطر واضحى ، فلما فرغ من الصلاة أقبل علينا بوجهه فقال « يا أيها الناس ، قد أصبتم خيراً ، فمن أحبَّ أن ينصرف فلينصرف ، ومن أحب أن يقيم حتى يسمع الخطبة فليقم » . اهـ .

هذا الذي أوردته هو صدر الجزء ثم استمر في إير د طرق الحديث أحسن إيراد ، وبيّن ما وقع له فيه من أعالي إسناد ، والجزء عندنا بكماله، معارض مسموع ، والحمد الله حقّ حمده .

ومما سمعته عليه أيضاً - رضي الله عنه وأرضاه - جميع « ثلاثيات جامع الإمام أبي عبدالله البخاري » رضي الله عنه ، وذلك بباب [٥٨] منزله في الحرم الشريف - زاده الله شرفا - في الخامس عشر لذي حجة ، أربعة وثمانين وستمائة قال : أنا جدي أبو البركات ، زين الأمناء، المعروف بالسجاد، وأبو عبدالله الحسين بن المبارك بن محمد الزبيدي ، سماعاً عليها ، قالا : أنا ابو الوقت ، اجازة لأبي البركات ، وسماعاً لابن الزبيدي ، قال : أنا الداودي ، قال : أنا الحموي ، أنا الفربري ، انا البخاري نا مكي بن ابراهيم ، نا يزيد بن ابي عبيد عن سلمة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار » .

هذا أول حديث منها ، ولنا منها نسخة (؟) وهي عشرون حديثا .

وألفيت في ثبت سماع « صحيح البخاري » عليه - رضي الله عنه - ما نصه : قال أبو اليمن ابن عساكر : أخبرني الشيوخ أبو الفتح فضل الله بن عبد الرحمن بن طاهر بن سعيد الميهني ؟ وجدي أبو البركات الحسن ، وأبو عبدالله الحسين بن المبارك بن محمد بن يحيى ، قراءة عليهما [٢] ، واجازة لي

---

(١) : كذا في الأصل ، وتقدم .

(٢) : فوقها كلمة (صح) وفي الهامش : (صوابه : عليهم الفيت في موضع آخر ، في أسماعه (؟) للبخاري : وأنبأنا أبو علي الحسن بن المبارك الزبيدي ، أخو الحسين المذكور ، وأبو الفتوح الحصري (؟) وأبو الفضل الداهري (؟) وأبو الفتح فضل الله بن عبد الرحمن بن طاهر ابن سعيد الميهني (؟) واخرون، قالوا كلهم : أنا أبو الوقت . وهذا يقتضي أن الميهني (؟) لم يسمع عليه البخاري ، فيكون قوله : قراءة عليهما صحيحاً ، أي على حدة ، وعلى الميهني (؟) [...] وسماعه عليهما معلوم (؟) في غير موضع [.....] .

غير واحد ، منهم أبو علي الحسن أخو شيخنا أبي عبـــدالله الحسين ، وأبو الفضل عبد السلام بن عبدالله بن أحمد بن بكران الداهــري ؟ وابو الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحصري ، ومن لا يحصى كثرة ، قالوا كلهم : أنا أبو الوقت عبد الأول بن أبي عبدالله عيسى بن شعيب بن ابراهيم بن اسحاق السجزي ، الصوفي المروزي المولد والمنشأ، قراءة عليه، إلا الشيخ أبا البركات الحسن ، فإنه قال : أنا ابو الوقت اجازة ، قال أبو الوقت : أنا ابو الحسن عبد الرحمن بن أبي طلحة محمد بن المظفر البوشنجي ، قال أنا أبو محمد بن عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي ، قال : أنا أبو عبدالله محمد بن يوسف ابن مطر الفرْبرِي ، قال : أنا الامام ، أبو عبـــدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن الأحنف برْدِزْبة ، البخاري الجعفي ـ رحمه الله .

قال أبو اليُمْن ـ رضي الله عنه ـ واخبرني به الامام الحافظ ، فقيـه أهل الشام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الفقيه الحافظ المصنف ـ رحمه الله ـ قراءة عليه ، قال : أنا أبو الفتح منصور الفراوي ؟ قــال : أنا محمد بن اسماعيل بن محمد الفارسي ، قال : أنا أبو عثمان العبّار [١] ؟ قــال : أنا محمد بن عمرو [٢] بن شبويه الشبوى ، أنا الفرْبرِي قال: انا البخاري. كان هذا السماع الذي نقلته هنا على شيخنـا أبي اليمن ـ رضي الله عنه ـ لجميع « صحيح البخاري » في مسجد رسول الله ﷺ ، تجاه الحجرة الشريفـــة ، صلوات الله على الحال بها ، في مجالس ، آخرها يوم الاثنين ، لأربع ليال خلون [٣]...

---

(١) : في الهامش : (اسمه سعيد بن أبي سعيد العيار ، يروي البخاري عن أبي عـــلي محمد ابن عمر بن محمد بن شبْويه الشبوي ، عن الفربري) .

(٢) : في الهامش : (صوابه : عمَر) .

(٣) : هنا ينقطع الكلام ، وتبدأ الصفحة التي بعد هذه بكلام لا صلة له ، والظاهر أنـــه فقد من الأصل هنا ورقة أو ورقات وقـــد نقل الفاسي في كتابه « العقد » ج ٥ ص ٤٣٣ في ترجمة أبي اليمن ابن عساكر هذا عن هذه الرحلة ما هذا نصه :

(وذكره ابن رشيد في رحلته وذكر شيئاً من حاله ، فقال بعد أن ذكر نسبه ومولده :ـــ

مَعَ ٱلقُرَّاءِ.. فِي أَسْئِلَتِهِمْ وَتَعْلِيقَاتِهِمْ

قبيلة بني هِزّان

كتب الأخ الأديب (عثمان بن محمد بن عثمان) من بلدة (نعام) من اقليم الحَرِيق في نجد يقول : من قائل هذا البيت :

اتتك هزّانك من نعامها ومن علاتها ومن آكامها

وهل تتفضلون أن تقدموا لنا بحثاً عن قبيلة بني هزان ومواطنها ؟

العــــــرب : حباً وكرامة .

البيت نقله ياقوت عن محمد بن ادريس بن أبي حفصة اليامي ، وهذا من أهل القرن الثالث الهجري تـكلمت عنه مجلة «العرب» في حديثها عن كتابه عن اليمامة ، وهو من أهل القرن الثالث الهجري ، وهو أول من ألف كتاباً عـن مواضع اليمامة ، كان من مصادر ياقوت ، وقد أكثر عنه النقل والبيت ليس

←ورحل به أبوه إلى العراق سنة أربع وثلاثين ، فسمع بها مع أبية تاج الدين ثم حج من بغداد سنة خمس وثلاثين ، ورجع إلى الشام ونال بها وبمصر الرتبة العليا والجاه العظيم عند السلطان . ولم يزل كذلك إلى عام سبعة وأربعين وستمائة ، حتى وصل الفرنسيس إلى الديار المصرية في العام المعروف بعام دمياط ، عام هياط ومِياط ، فأقام بها في المنصورة مع المحلة ، إلى أن اشتد أمر العدو في تلك الأيام ، فاتفق هو وأحد أصحابه على أن يُهَيّآ أنفسهما لله تعالى . ويجاهدا حتى يستشهدا ، فخرجا وقاتلا ، ففاز صاحبه بالشهادة ، واخر هو لـــا أراد الله تعالى من أنواع السعادة ، فعاد إلى العسكر جريحاً ، حسبما ذكر في كتابه الذي صنفه في غزوة دمياط ، وحين انقضى أمر العدو ، رأى أن لا يرجع في هيئته ، فتوجه إلى حرم الله تعالى واستوطنه . ولم يزل مستوطناً على كثرة ترغيب الملوك ، ورغبتهم في وفوده عليهم شاماً ويمناً ، لم يخرج منه ، إلا لزيارة النبي (ص) ، نفعه الله ونفع به ، وإلى ذلك أشار بقوله :

إذا ما عَنّ لي شجن فمن حرَمٍ إلى حرَم

انتهى كلام الفاسي ، وقد ذكر أنه ولد سنة ٦١٤ وتوفي سنة ٦٨٦ في المدينة وأطـــال في ترجمته ، ونقل شيئاً من شعره .

له ، ولكنه استشهد به ولم يبين اسم قائله ، استشهد به على ان نعام والعلاة ، المعروفة الآن باسم ُعليّة من مواطن بني هزان في ذلك العهد .

أما بنو هزان فالحديث عنهم طويل ، ولكننا نوجزه فيما يلي :

١ — يطلق اسم هزان — بكسر الهاء — على قبيلتين : قبيلة من العرب العاربة الأولى البائدة ، فيقول الهمداني : ومن ولد دان بن فهلوج بن امراز ابن أشوذ بن سام بن نوح : جاسم امة كانت بعُمان والبحرين ، فدرجت وبنو هف وسعد وهزان الاولى ، وبنو مطر وبنو الأزرق ، أمم كانت بالحجاز ، وكل هذه من العرب البائدة [١] .

ونقل ابن خلدون عن ابن اسحاق : ومن العماليق أمة جاسم ، فمنهم بنو لف وبنو هزان وبنو مطر وبنو الأزرق [٢] .

وقال القلقشندي : بنو هزّان بطن من جاسم من العماليـــق العرب البائدة [٣] .

ويظهر أن هزان هؤلاء كانوا يسكنون اليمامة أيضاً مثل طسم وجديس ، وانهم انماعوا واندمجوا في قبائل التي أتت بعدهم وهي أقوى منهم ، فاختلطت بهم كعادة القبائل الضعيفة حينما تستولي على بلادهم قبائـــل أقوى منهم ، فتختلط بهم ، ويدل على هذا ما جاء في كتاب « مختصر الجمهرة » ونصه يقال عن هزان من عنزة انهم من بقايا جديس [٤] — وقال الهمداني :

وبقي في اليمامة بقيـــة تعرف ببني ِهزان من طسم ، وهؤلاء هم الذين يُسَمَّون ِهزّان الأولى من العرب العاربة البائدة .اهـ. وبعض المؤرخين لا ينسبهم إلى طسم ، بل يجعلهم أقدم منهم [٥] ثم ذكر الهمداني قبيلة أخرى تدعى ِهزّان ،

---

(١) « الاكليل » ج ١ ص ٧٣ و ٧٥ .
(٢) « تاريخ ابن خلدون » ج ١ ص ١٣ طبعة بيروت .
(٣) « نهاية الأرب » ص ٤٣٦ .
(٤) الورقة ١٧٣ نسخة مكتبة راغب باشا في استنبول .
(٥) : « مدينة الرياض » : ٣٥ وما بعدها .

ونسبها في مالك بن حِمْيَر ، من قحطان ، وقال عنها : إنها حيّ عظيم ، ولهم كانت اليمامة ، وإليهم انضافت طسم وجديس. اهـ .

قال ابن خلدون : كانت اليمامة والطائف بيد بـــني هزّان ابن يعفر بن السكسك .

إلى أن غلبهم عليها طسم ، ثم غلبهم عليها جديس ، ومنهم زرقـــاء اليمامـة .

ثم استولى عليها بنو حنيفة .

أما قبيلة هزان الباقية فهي صريحة النسب ، عريقة المجد ، هي تنتسب إلى هزان ابن صباح – بضم الصاد – بن عتيك بن اسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، وهزان على وزن فعلان – بكسر الفاء من الهز – هززت السيف ، أهزه هزا ، وكذلك كل شيء هززته [1] .

وكان بنو هزان هؤلاء يسكنون اليمامة الجبل المعروف، من وادي العِرْض (الباطن) عرض بني حنيفة إلى نهـــاية الجبل من الجنوب قبل سكنى بني حنيفة مما يدل على تحضرهم وقدم استيطانهم .

وعرف من بني هزان فروع، لأن هزان انجب وائلا ، ووائل انجب معاوية ومالكاً وسعدا [2] .

ومن بطونهم بنو ضور بن رزاح بن وائل ، وبنو شكس بن الأسود بن الأعسر بن معاوية بن وائل .

ويظهر أن بني هزان كانوا على جانب القوة ، ولعل لسكناهم في جبلهم العلاة وفي أوديته المنيعة ، ما كان سبباً لأن تلتجىء اليهم بعض الأسر من

---

(١) « الاشتقاق » لابن دريد ٣٢١ .
(٢) جمهرة النسب لابن الكلبي مخطوطة المتحف البريطاني .

القبائل الأخرى ، فقد جاورهم وحالفهم واختلط بهم بنو الحارث بن لؤي ابن غالب بن فهر من قريش [1] .

وعرف من رجال هزان في العهد القديم مشاهير منهم :

١ – سعدانة بن العاتك بن المخارق بن حمار بن سعد بن وائل بن هزّان .

وهو الذي أدركه عبيد بن يربوع بن ثعلبة الحنفي ، وهو جالس تحت نخلة سحوق ، يخرف رطبها ، وهو قاعدٌ ، يقول :

تقاصري آخذ جناك قاعدا إني أرى حملك ينمي صاعدا

فأهوى له بالرّمح ليقتله ، فقال : لا تقتلني، ولكنّي أحالفك ، وأكون معك فدلهم على ما أرادوا ، وصار فيهم إلى اليوم [2] .

٢ – عبادة بن شكس بن الأسود بن الأعسر بن معاوية بن وائل هزّان[3] كان فارساً ، شاعرا .

٣ – عبد الله بن ديسم بن بكير بن زيد بن رباب بن سلمة بن مكروه بن آزر بن معاوية بن سعد بن الحارث بن رزاح ، بن مالك بن سعد بن وائل ابن هزان [4] .

٤ – السوا بنت الأعسر بن معاوية بن وائل بن هزان كانت من النسوة اللاتي كان طلاقهن اليهن، هي وأم خارجة البجلية ، وماويّة بنت الجعيد ، من عبد القيس [5] .

---

(١) « جمهرة نسب قريش » الزبير بن بكار الورقة ٢٠٠ و « نسب قريش » لمصعب الزبيري الا أن هزان جاء مصحفاً وهمدان وهو غلط ص ١٣ .
(٢) « جمهرة النسب » لابن الكلبي ٤٧١ .
(٣) « جمهرة ابن الكلبي » ٤٧١ .
(٤) « جمهرة ابن الكلبي » ٤٧٢ .
(٥) مخ : ١٧٣ .

وعرف منهم في الاسلام رجال منهم أحد المحدثين ، وهو أبو روق : أحمد بن محمد بن بكر الهزّاني البصري، حدث عن محمد ابن النعمان مولى باهلة، وزياد بن يحي الحساني ، والعباس بن الفرج الرياشي ، وحدث عنه أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني الحافظ وأبو الحسن أحمد بن محمد بن عمران بن الجندى، وعلي بن القاسم بن الحسن الشاهد البصري [1] .

وقد يشتبه هذا مع راو آخر هو :

أبو روق : عطية بن الحارت الهمداني. وقد ترجم في «تهذيب التهذيب[2]» بأنه من علماء الحديث ، روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه . وروى أنس وعكرمة والشعبي وغيرهم ، وروى عنه ابناه يحي وعمارة ، وسفيان الثوري ، وغيرهم وثقه أبو حاتم وابن حبان . وذكره ابن سعد في الطبقة الخامسة وقال : هو صاحب التفسير اهـ. ولكن هذا الراوي الأخير متقدم عليه في الزمن .

أما الهزّاني فقد ترجم في « لسان الميزان [3] » وجاء فيه : قال مسلمة ابن قاسم : كان فقيهاً على مذهب مالـــك ، لأن كتبه احترقت فحدث من فروع ، فتكلم الناس فيه لذالك ، ولم أرَ أحداً من أصحاب الحديث ترك الكتابة عنه ، فلذلك كتبت عنه ، وأحسب أن موته كان في سنة أ.بــ ـم أو خمس وعشرين وثلاثمائة . وسألت ابن الأعرابي عنه فقال :
قلت : وهو أحمـــد بن محمد بن بكر بن زياد ، بن العلاء ، ب
بكر ، بن إياس ، بن روق ، بصري الأصل، حدث هو ، وأبو
روى عن علي بن حرب ، ويزيد بن سنان ، ـــد بن الـ
ونحوهم ، وروى عنه الدارقطني ، وابن جيـــع ولا يـ
المجال لذكر ما عرف من مشاهيرهم . انتهى ،

(١) حاشية « الاكمال » : ٤ / ٦٣ .
(٢) ج ٧ / ٢٢٤ و ج ١٢ / ٩٧ .
(٣) ١ / ٢٥٦ .

ويظهر ان القبيلة حافظت على عزتها ومنعتها لما جاء الإسلام، فقد اختلطت بها وحالفتها بعض الاسر اليمنية مثل قبيلة جرم من قُضاعة ، فاختلطت معها في منزلها ، وساكنتها ، فقد أورد الهجري في « النوادر » أرجوزة طويلة يصف فيها المختار بن وهب العَبيدي (العين مفتوحة) القشيري ، وقصة بين عبيدة من قشير أهل الريب المعروف الآن باسم الرينة قال فيها :

سارت لنا هزان من أمصارها محشدة جرماً على أوتارها
وخيّمت بالخرج في عسكارها [1]

كما اختلط بها وجاورها في القرن الخامس الهجري وما بعده ، آل حسين وهم يمتون بأصلهم الى الامام علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ولا يزالون في جوارهم ، وهم من بقايا بني الأخيضر العلويين حكام اليمامة في القرن الثالث الهجري ، الى آخر القرن الرابع .

٢ – ومن أخبار بني هزان في الجاهلية ان الاعشى الشاعر تزوج منهم ، فقد روى صاحب الاغاني انه تزوج امرأة من بني هزان من عنزة ، ولكن قومها ، أرغموه على طلاقها ، حين ضربوه ، فطلقها وقال :

أيا جارتا بيني ، فإنك طالِقَهْ كذاك أمور الناس ، غادٍ وطارقَهْ
وبِيني حَصَانَ الفَرْجِ غَيْرَ ذميمةٍ وموموقةٍ فينا ، كذاك ووامقه
لقد كانَ في فتيان قومك منكح وشبّان هِزّان الطوال الغرانقه

ويظهر من شعر الاعشى أنها اختارت الزواج من بني قومها الذين يصفهم الأعشى بكمال الأجسام وجمال الوجوه (الطوال الغرانقة) أي الصباح الوجوه .

ومن أخبارهم أيضاً اسرهم للحارث بن ظالم المرّي الذي نلخص خبره مما أورده صاحب « الأغاني » قال :

(كان الحارث بن ظالم المري هرب بعد قتله خالد بن جعفر بن كلاب ، هرب من النعمان حتى لحق بعروض اليمامة [2] ، فمر به نفر من بني قيس بن

---

(١) « أبو علي الهجري » ص ٣٠٥ .
(٢) « الأغاني » : ١٠ / و ٤٥ .

ثعلبة ومعهم قوم من هزان من عنزة ، وهو نائم ، فاخذوا سلاحه وفرسه ، ثم أوثقوه فانتبه وقد شدّوه ، فلا يملك من نفسه شيئاً ، فسألوه : من أنت ؟ فلم يخبرهم ، فضربوه ليحملوه على أن يخبرهم من هو ، فلم يفعل ، فاشتراه القيسيون من الهزّانين ، بزق خمر ، وشاة ، وقيل اشتراه رجل من بني سعد باغلاق بكرة ، وعشرين من الشاة) .

ويظهر أن سبب أسرهم للحارث نشأ من اخفاء نفسه عنهم ، خشية من أن يسلموه للملك الذي اخفر جواره .

واللذان أسرا الحارث بن ظالم هما ابنا حلاكة وقال الحارث فيهما :

ابنا حلاكة باعاني بلا ثمنٍ وباع ذو آل هزّانٍ بما باعا

وذلك أنهم باعوه من بني عجل [1] .

ومن أخبارهم أنهم قتلوا حيان بن عتبة بن جعفر بن كلاب قتله بنو هزّان من عنزة ، فقبره باليمامة ، ويعرف حيّان بصاحب الرداع ، اسم موضع باليمامة ، وفيه يقول لبيد :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرّداع بيت آخر ، كوثر [2]

ومن أخبارهم في العهد الاسلامي أن أحد شعرائهم ويدعى جفنة بن شكس اتصل بجرير الشاعر فطلب منه أن يكسوه حلة ، كان الخليفة الوليد بن عبد الملك كساه اياها ، فبخل بها جرير ، فهجاه شاعرهم بقصيدة قال فيها :

لعمرك لا المـــرار يوم لقيته على الشحط خير من جرير وأكرم

فسل جرير لسانه في هجاء بني هزان (وما زالت الأشراف تهجى وتمدح) فقال قصيدة يرد فيها على شاعرهم ويقول :

لقد بعثت هزان جفنة مائراً فآب ، وأجدى قومه شرّ مغنم

---

(١) « الاشتقاق » : ٣٢١ .

(٢) « معجم ما استعجم » : ١٠٣١ .

والقذع في الهجاء .

ثم أراد أن يفكك مجتمعهم ، وان يؤلب القوم الذين حالفوهم على تركهم ، فقال يخاطب بني جشم الذين من فهر من قريش :

بني جشم لستم لهزان فانتموا لفرع الروابي من لؤي بن غالب
ولا تنكحوا في آل ضور بناتكم ولا في شكيس ،بئس حي العرائب

وذكرهم في شعره ذكراً اعتاد الشعراء أن يطلقوا السنتهم فيه بالحق وبالباطل كما قال الشاعر :

ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

ومع ذلك فقد اتصفت نساؤهم بالعفة والجمال ، كما قال أحد الرجاز في امرأة منهم ، من بني ضَوْر :

ضَوْرِيَّةٌ ، أولِعَتْ باشتهارها تاحِلَة الحَقْوين ، من إزارها
يُطْرِقُ كلبُ الحَيِّ من حِذارها أُعْطِيَتْ فيها ، طائعاً ، أو كارها
حديقةً غَلْباءَ ، في جِدَارها وفَرَساً أُنثى ، وعَبْداً فارها [1]

وعرف منهم شعراء نكتفي بإيراد مقطوعة لشاعرة منهم تدعى أم ثواب الهزانية في ابن لها عقّها :

رَبَّيْتُهُ ، وهْوَ مِثْلُ الفَرْخِ ، أعْظُمُهُ
أُمُّ الطَّعامِ ، ترى في جلدِهِ زَغَبَا
حتّى إذا آضَ ، كالفحّالِ ، شذَّبَهُ
أبّارُهُ ، ونَفَى عنْ مَتْنِهِ الكَرَبا
أنشا يمزّقُ أثوابي ، يُؤَدِّبُني
أبَعْدَ شَيْبي ، عِنْدي ، يبتغي الأدَبا ؟
إني لأبْصِرُ – في ترجيل لِمَّتِه
وَخَطِّ لِحْيَتِهِ في خَدِّهِ – عَجَبا

---

(١) « اللسان » و تاج العروس » مادة : ضور .

قالتْ له عِرْسُهُ – يَوْماً لِتُسْمِعَني – :

مَهْلاً ، فإنَّ لَنَا في أُمِّنا أرَبا

وَلَــوْ رأتْنِيَ في نارٍ مُسَعَّرَةٍ

ثمَّ استطاعتْ ، لزادت فوْقَهَا لَهَبَـا[1]

أما مواطنهم في العهد الجاهلي فلا تزال هي هي لم تتغير وان حصل تغيير في أسماء بعض الأمكنة ، ونكتفي باشارات موجزة ننقلها مما بين أيدينا من الكتب التي حددت المواضع القديمة .

١ – برك ونعام : واديان ، وهما البركان ، أهلها هزّان وجرم .

٢ – شهوان : جبل قرب الجازة ، وهي قرية لبني هزّان .

٣ – وقال الحفصي العلاة والعليّة : لبني هزّان ، وبني جشم ، والحارث ابني لؤيّ قال :

أتتك هزّانك من نعامها ومن علاتها ، ومن آكامها

٤ – ماوان : قرية في أودية العلاة ، من أرض اليمامة ، بها قوم من بني هزّان ، وربيعة وهم ناس من اليمن [2] .

٥ – الجازة : واد وقرية من أرض اليمامة ، ساكنه بنو هزّان من عنزة ابن أسد بن ربيعة بن نزار ، وبها أخلاط من الناس من موالي قريش وغيرهم، سكنوها بعد قتل مسيلمة الكذاب ، لأنها لم تدخل في صلح خالد بن الوليد ، لما صالح أهل اليامة ، وبها جبل يقال له شهوان، يصبُّ فيه نعام وبرك، ووراء الجازة فلج والأفلاج .

وقال الهمداني :

الجازة : قال الجرميُّ : إجلة لجرم أسفل بُريك ، والجازة لبني هزان...

---

(١) انظر شرح القصيدة في « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي القسم الثاني ص ٧٥٦ .

(٢) ياقوت .

وأعلى بريك لبني نفيع من بني شيبان ولآل المغرب وآل أبي قرة .. ونعام يعرف لآل راشد من بادية بني عبيد [1] .

وقال ابن الفقيه : وبالجازة نَهرَانِ ، وبأسفلها نَهرٌ يقال له سَيحُ الفم ، وبأعلاها قرية يقال لها نعام ، بها نهرٌ يقال لها سَيحُ نعَام . وأول ديار ربيعة باليمامة مبدأها من أعلاها : أولاً : دار هِزّان ، وهو وادٍ يقال له برك ووادٍ يقال له الجازة ، وأعلاه وادي نعام ، واسم الوادي نفسه نَعَامة [2] .

— نَعَامُ : وادٍ باليمامة لبني هِزّان ، في أعلى الجازة ، من أرض اليمامة ، كثير النخل والزرع — وأورد قول الحفصي ، وفيه الشعر الذي سأل عنه الكاتب الكريم [3] .

هذه لمحات عابرة عن هذه القبيلة في العهود القديمة جديرة بالدراسة والاستزادة مما لا يتسع له الوقت ، ومما نرجوه أن يتصدّى له احد أبنائها بحيث يقدّم للقراء تفصيلا أوفى مما لم نفعله .

٣ — أما عن تاريخها في الزمن الاخير ، فيؤسفنا انه ليس بين يدينا من المصادر ما نستطيع أن نضيفه الى ما تقدّم ، ولا نعرف من أحوال القبيلة ، ولا من بلادها شيئاً لعدم الصلة ، مما قد يكون أبناء القبيلة أدرى به منا ، وقديماً قيل : (أهل مكة أدرى بشعابها) غير أنه لا يفوتنا أن نشير الى ان ما وقع في تواريخ نجد الأخيرة من ان الهزازنة استولوا على نعام والحريق في أول القرن الحادي عشر غير صحيح من كل وجه ، وان الصواب في رأينا انهم استعادوه فهو بلادهم منذ القدم ، كما تؤيد النصوص التي ذكرها المتقدمون والتي أوردنا طائفة منها ، وها هو ما ذكره متأخرو المؤرخين .

وفي عَشر الاربعين بعد الالف استولى الهزازنة على الحَرِيق ونَعام ،

(١) صفة جزيرة العرب » ١٦١ .
(٢) ابن الفقيه الهمذاني مختصر البلدان ، ومعجم البلدان .
(٣) ياقوت .

أخذوه من القواودة من سبيع ، والذي أظهر الحريق وغرسه : رُشَيْد بن مسعود بن سعد بن سعيد بن فاضل ، الهِزّاني ، الجلاسي ، الوائلي ، وتداوله من بعده ذريته ، وهم آل حمد بن رُشَيد المذكور [1] .

ولآل هزان موقف رائع من مواقف البطولة في الحفـــاظ على كرامتهم والدفاع عن بلادهم ، حينما قام الجيش المصري بغزو بلاد نجد بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى، وقامت الدولة السعودية في دورها الثاني في عهد الامام فيصل بن تركي – رحمه الله – مما سنورد مجمله .

ففي سنة ١٢٥٣ بعد أن استولى العسكر المصري على الرياض ، بقيـادة خالد بن سعود واسماعيل آغا أمير اللواء ، سارت العساكر بقيادتها لإخضاع بقية بلاد نجد ، ولكن أهل بلدة الحريق ، بقيادة الأمير تركي الهزاني وأهل حوطة بني تميم بقيادة ابراهيم بن عبـد الله آل سعود التميمي وفوزان بن محمد آل مرشد وزيد بن هلال رئيس بلدة نعـــام ، ومحمد بن خريّف رئيس بلدة الحلوة ، تصدّوا لتلك العساكر العظيمة ، فهزموهم شرّ هزيمة ، واستولوا على جميع ما معهم من الأسلحة والأمتعة ، وقتلوا منهم رجالا كثيرين،وهرب خالد واسماعيل وأكثر من معهما من الأعراب . وقد فصّل مـؤرخ نجد الشيخ عثمان بن بشر في كتابه « عنوان المجد » حوادث سنة ١٢٥٣ .

وإلى بطولة آل هزان ، يشير عُبيد بن رشيد في قصيدته المعروفة الـتي يذكر فيها وقعة بقعاء فيقول :

اللي وفا حقّ الديار الهزازين وحنـّا ، إذا عدّت علوم القبائل

يقوله عبيد بن رشيد ، مشيراً إلى وقعة عسكر اسماعيل بك .

---

(١) « عنوان المجد » لابن بشر و « تاريخ الفاخري » مخطوط ص ٤ و « تاريـــخ بعض الحوادث في نجد » لابن عيسى ص ٥١ : وفيها (وفي سنة أربعين) وفي « الفـــاخري » : (القوادرة) ، مع أن في مخطوطة ابن بشر بخط يده : (القورادة) ، وفي مطبوعـــة وزارة المعارف منه : (القواورة)تصحيف.

الذين قتلهم الهزّاني وأهل الحوطة ، وأخذوا مدافعهم فكانت عند آل سعود ، فلما استولى محمد بن رشيد على نجد نقلها إلى حايل .

حول الشعر في وصف منازل الحج

وقفت على مبحثكم الرائع « الشعر في وصف منازل الحج » المنشور في « العرب » الغراء ، الجزء الرابع ، وقد أحببت أن أضيف الى فصل « بعض من وصفوا طريق مصر والشام الى الحجاز » . — المسائل التالية الموجزة — أعود الى الموضوع نفسه بفصل خاص ..

فأقول : ان ممن وصف طريق العراق الى الحجاز ، هم :

١ — الفتوحات الكوازية في السياحة الى الاراضي الحجازية .

للشيخ عبد الله بن عبد الواحد بن اللطيف آل عبد السلام العباسي الكوازي الشافعي البصري ، المتوفى ١٩٢١ م — ١٣٤٠ هـ . وقد سلك طريق البحر ، بدءاً من شط العرب حتى بندر جدة ، وذلك في سنة تسعين ومايتين وألف للهجرة .

وطبعت هذه الرحلة في مطبعة البصرة ، سنة ١٣٠٨ هـ ، وتقع في أربع وأربعين صفحة ، وفيها وصف جميل للأماكن التي مرّ بها المؤلف وللعلماء الذين التقى بهم .

٢ — السويدي : عبد الله بن الحسين ، السويدي العباسي ، المتوفى سنة ١١٧٤ هـ .

---

(١) « نبذة تاريخية عن نجد » : ٨٤ .

ورحلته تسمى بـ « النفحة المسكية في الرحلة المكية » وصف فيها رحلته التي سلك فيها طريق : بغداد ـ الموصل ـ حلب ـ الحجاز ، وقد حج في العام الذي كتب فيه رحلته ، شكراً لله على ما أتم على يده من إقناع « نادر شاه » وجماهير الشيعة بمنع سبّ الصحابة المكرمين ، وبإقامة صلاة الجمعة .

والرحلة مخطوطة ، ولم تطبع بعد ، ومنها نسخ في : مكتبة جامعة الحكمة ببغداد ، وأخرى في المكتبة العباسية في البصرة ، وأخرى في طهران ، وأخرى عند الاستاذ « عباس العزاوي » ونسخة المؤلف .

٣ ـ الخياري : وقد ذكرتموه في مبحثكم ، ونضيف هنا :

ان رحلته المسماة « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء » قد تمّ طبعها في بغداد ، وقد عني بتحقيقها السيد رجاء السامرائي البغدادي ، ونشرتها وزارة الثقافة والإعلام في بغداد.

وذكرتم في ترجمة شهاب الدين احمد بن يحيى ابن ابي حجلة ، المتوفى سنة ست وسبعين وسبعمائة (٧٧٦ هـ) ، واشرتم الى مؤلفاته فذكرتم « منطق الطير . وهذا يشعر بأنه انفرد بهذا المؤلف ، وان له جملة آثار ، أظهرها : ديوان الصبابة ، وهو مطبوع مشهور ، وكذلك : سكردان السلطان ، مطبوع ، وأدب الغصن ، وغيرها .

وختاماً تقبّلوا عاطر التحيات ..

بغداد　　　　عبد الله الجبوري

أمين مكتبة الأوقاف العامة

اعتذار : ضاق هذا الجزء عن مواد « مكتبة العرب » فمعذرة وإلى الأجزاء الأخرى .

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

بلاد العرب

تأليف

الحسن بن عبد الله الأصفهاني

تحقيق

حمد الجاسر و الدكتور صالح العلي

ساعد المجمع العلمي العراقي على نشر هذا الكتاب

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة

(تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري، مع توسع في أخبار غزوات "الجراكسة" و"العثمانيين" لذلك القطر)

تأليف

قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي

(٩١٧ – ٩٩٠هـ)

أشرف على طبعه
حمد الجاسر

سيصدر قريباً :

المغانم المطابة
من معالم طابة

تأليف: مجد الدين الفيروز آبادي (٧٢٩ ـ ٨١٧ هـ)

مجد الدين الفيروز آبادي صاحب « القاموس المحيط » وغيره من المؤلفات أشهر من ان يُعرّف..

وقد تنقل في الحجاز بين الطائف ومكة والمدينة فألف عنها ، مؤلفات منها :(مُهيج الغرام إلى البلد الحرام) في تاريخ مكة المكرمة .

و « أحاسنُ اللطائف ، في محاسن الطائف » و « فصلُ الدُّرّة من الخَرَزَة في فضل قرية السلامة على الخبزَة » ـ عن الطائف .

و « المغانمُ المطابة ، من معالم طابة » عن المدينة الشريفة .

وكتابه هذا يعتبر من أهم المصادر في دراسة تاريخ المدينة القديم ، وفي خططها ، وفي مساجدها وآثارها الاسلامية .

وتقوم دار اليمامة بنشر هذا الكتاب في أجزاء ، تولى تحقيق كل جزء باحث أو عالمٌ مختص بموضوعه .

وسيصدر القسم المتعلق بالمواضع بتحقيق
حمد الجاسر ـ إن شاء الله

منشورات دار اليمامة

بلادُ ينبُع

لمحاتٌ تاريخيّة جغرافيّة، وانطباعاتٌ خاصة

بقلم : حمد الجاسر

الثمن
٥ ريالات (للورق الابيض الصقيل)
٤ » (» » العـادي)

وللكمية : تخفيض خاص

دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية

من أهدافها :

- انشئت هذه الدار لنشر - ما تستطيع نشره - مما يتعلق ببلاد العرب (لاسيما المملكة العربية السعودية) من مؤلفات، مما قد يكشف عن بعض النواحي الخفية، من تاريخ تلك البلاد، أو جغرافيتها، أو أدبها، أو تراثها الفكري.
- ترجمة بعض المؤلفات التي لها صلة بالجزيرة، مما قد يلقي ضوءاً على جانب مجهول يتعلق بها، من رحلات، أو دراسات.
- الإسهام - بقدر الإمكان - بنشر مؤلفات أبناء البلاد، مما يضيف إلى أدبنا أو ثقافتنا العربية جديداً.

وبالاضافة إلى ما تقدم : تقوم الدار :

- بالإشراف على طبع ما يُراد طبعه، والقيام بتصحيحه، وفق رغبة صاحبه، مما يتفق مع أهداف الدار - من كافة المطبوعات.

الحاجة الى اجزاء

من السنة الاولى من المجلة

تحتاج إدارة مجلة « العرب » إلى الأجزاء : ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ (من السنة الأولى) لإكمال مجموعاتها . وهي ترجو من لديه شيء منها أن يتفضل بتقديمه لها ، مع استعدادها لبذل مقابله من الأجزاء الأخرى ، أو ثمنه . أو اهداء المتفضل ما يرغبه من مطبوعات « دار اليمامة للبحث والترجمـــة والنشر » مما نشر من تلك المطبوعات .

الإمام أبو إسحاق الحربي

الإمام أبو إسحاق الحربي

وكتابه في "المناسك" وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة

بقلم: حمد الجاسر

- – نصوص تتعلق بتاريخ المدينتين الكريمتين مكة والمدينة الشريفتين
- – تحديد لأماكن الحج المقدسة .
- – معلومات قديمة عن جغرافية أمكنة في الجزيرة لا توجد فيما وصل الينا من المطبوعات
- – أوفى ترجمة لامام من أئمة الحديث .
- – تحقيقات عن تحديد أمكنة في الجزيرة لا تزال مجهولة .
- – وصف كامل لأعمال الحج على طريقة المصطفى ﷺ .

كل ذلك تجده في هذا الكتاب

منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض . المملكة العربية السعودية

العنوان: مجلة العرب
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل. هاتف: (٢٤٢ بهو)
الرياض: المملكة العربية السعودية

العرب

الإشتراك السنوي
١٨ ريالا للأفراد، ٢٥ ريالا للهيئات.
الرسمية والشركات عدا أجرة البريد
الإعلانات: يتفق بشأنها مع الإدارة
ثمن الجزء: ريالان عربيان

مجلة شهرية جامعة

صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الجزء الحادي عشر – السنة الثالثة – جمادى الاولى ١٣٨٩ – آب (أغسطس) ١٩٦٩

مِلكيات الأراضي في الحجاز
في القرن الأول الهجري

إن دراسة ملكيات الأراضي ذات علاقة وُثقى بالتطورات الاجتماعية والإقتصادية التي حدثت على أثر نشوء الدولة الاسلامية ، ولا تتضح معالم هذه الدراسة ما لم تدرس كافة النواحي الأخرى النقدية والمالية والاقتصادية والسكانية والفنية والادارية ، غير أنها في نفس الوقت لم تلقَ اهتماماً كافياً ، رغم أهميتها في فهم الأحوال والتطورات التي حدثت على أثر ظهور الإسلام.

ولا ريب أن الشرق الأوسط – وخاصة جزيرة العرب – كانت تقيم فيها عدة مجتمعات لكل منها ظروفها الجغرافية ، وتقاليدها الاجتماعية والقانونية ، ورغم ان الدين في الدوله الاسلامية عمل على توحيد الدولة إلا ان الأحوال والظروف المحلية لم يَزُلْ اثرها تماماً ، وبقيت ذات مفعول أمداً من الزمن .

وللحجاز أهمية خاصة ، ففيه ظهر النبي ﷺ وعاش ومارس سلطاته وادارته في معظم سني الدعوة ، ولما تكونت الدولة الاسلامية كان الحجاز العماد الأكبر في الفتوح، وظل مركز الخلافة في عهد الخلفاء الثلاثة الأول ، فكانت تجبى اليه خمس واردات الأقاليم فضلاً عن ان رجاله كان منهم معظم القواد والاداريين والمستثمرين ، الأمر الذي أدى الى انصباب الثروة اليه ، ومجيء عدد هائل من الأيدي العاملة اليه، وقد ظلت للحجاز مكانته حتى في

أوائل العهد الأموي نظراً لأهميته القديمة في نشوء الاسلام ولاعتماد الأمويين على كثير من الأسر الحجازية في إدارتهم خاصة وانهم ذاتهم حجازيون ، والواقع أنهم طالما كانوا يغدقون العطايا على أهل الحجاز بمختلف الوسائل . هذا فضلاً عن ان التطورات الاقتصادية التي حدثت في الحجاز كانت اوسع منها في الأماكن الأخرى فهي لذلك تكوّن ميداناً اوضح لهذا التطورات .

غير انه لا بد من الاعتراف بأن الحجاز غير واضح الحدود ، وقد اختلف الأقدمون في تعريفه وتحديده أما انا فسأقصر بحثي هذا على المناخ الممتد من اطراف خليج العقبة شمالاً إلى منطقة الطائف جنوباً والى البحر الأحمر غرباً، أما شرقاً فسأدخل اطراف المدينة وسأخرج منطقة ضَريّة والرّبذة ، والواقع ان هذين الحمائين كانا من نجد ويفصلها عن الحجاز صحراء غير زراعية .

لقد بحث كثير من العلماء والمستشرقين الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الاسلام ، ولكن معظم هذه الأبحاث كانت عامة أو مقصورة على الأقاليم المفتوحة كالعراق ومصر اما الحجاز فلا اعلم من تطرق لبحثه غير (لامنس) الذي أشار في دراسته للطائف الى الحياة الاقتصادية وفي كتابه «مهد الاسلام» الى احوال الحجاز وتطوراته غير ان بحوثه رغم غزارة مادتها تمثل نتفا غير متماسكة ، ولعل ذلك لأسلوب تفكيره أو لأن المشاكل التي درسها هي غير هذه المشكلة .

إن إهمال هذا الموضوع رغم اهميته يرجع فيما اعتقد الى ان معظم الباحثين يميلون الى استخدام بعض مصادر تقليدية ، تقدم مادة معينة وتعالج مشاكل معينة ، مما يجعل بحوثهم مختلفة في مدى نقدها أو تحليلها لهذه المادة ، بينما كانوا إذا ارادوا معالجة هذه النواحي لا يجدون عنها مادة في المصادر التقليدية بل يجب ان يفتشوا عنها في مصادر اخرى ، وخاصة في كتب الجغرافية والفقه ، وهي التي أهملت رغم ما فيها من مادة قيمة او ان يتصيدوا الاخبار الاقتصادية والاجتماعية المبعثرة في كتب التاريخ والتراجم وهو عمل مضن فيه كثير من المصايد .

ثم إن لغة ذلك العصر تختلف الى حد ما عن غيرها فكل مجتمع كان يستعمل في فترة معينة تعابير فنية خاصة به قد يزول استعمالها فيما بعد او تختلط بغيرها ويتطور معناها بحيث تصعب معرفة معناها الاصلي الا للمتمرس فتعبير الحائط والمخابرة والمزابنة والعثري والبعل كلها أصبحت عتيقة لا يعرفها من يدرس لغة القرن الرابع . كما ان كثيراً من التعابير غير دقيقة .

ولا ننسى أن المؤسسات الأقتصادية كانت آنذاك في دور تطور ولم تتخذ قالبها الذي نعرفه في العصور المتأخرة .

فعند ما يقال مثلاً : ان علياً كان يمتلك (يَنْبُعَ) فنحن نفترض انه كان يمتلك الأراضي الزراعية فيها غير ان هذا لا يبين بالضبط الأراضي الزراعية او اهميتها الزراعية او الملكيات الأخرى بجانبها أو مدى سعة ما كان يزرع ، لا شك انه كانت في الحجاز عند ظهور الاسلام مناطق زراعية وإن كان اوضح معلوماتنا عن الواحات التي يقطنها اليهود في خَيْبَرَ وفَدَك ووادي القرى وكذلك عن المدينة ، أما بقية المناطق فمعلوماتنا عنها تأتي مما بعد الاسلام ولا تمكننا المصادر من ان نحدد بالضبط مدى العلاقة بين أحوال هذه المناطق قبل الاسلام ، وبعده . لذلك سنركز بحثنا على الأحوال منذ ظهور الاسلام فما بعد ، مع ملاحظة أن معظم الأخبار التي تقدمها المصادر تتعلق بالملكيات التي حدثت بعد الاسلام ، اما الملكيات التي كانت قائمة قبله فإن المصادر تبقى شحيحة بها ، وجدير بالملاحظة ان فكرة الملكية في المناطق الصحراوية غير واضحة ولا دقيقة كما هي في المناطق الزراعية والمناجم . كما أن مصادرنا ايضاً تقدم مادة وافية عن أحوال القرن الأول والثاني فقط . أما التطورات التي حدثت في القرون التالية فالمعلومات عنها نزرة قليلة .

غير ان أحوال المدينة كانت تختلف عن هذا ، فان هجرة الرسول (ص) اليها واتخاذه لها مقراً طوال حياته بعد الهجرة واعتماده على أهلها الذين كان لهم اتصال وثيق بالاسلام ، وادارة الرسول ، ساعد على تقديم مادة غير قليلة عن أحوالها .

ومن المعروف ان المدينة منطقة زراعية مأهولة ، وقد ذكر لنا عـدد من مزارعهم واغلبها على الوديان الكبرى وخاصة مهزور ومُذَينِب وقناة ، أي في جنوبها الغربي عند قُباء ، وحَرَّة زهرة ، وفي شمالها الشرقي عنـد تَمَغ ويَثرِب . اما العقيق فلم يبدأ إعماره الا منذ عهد عمر . ولما كانت هـذه الأراضي زراعية فلا بدّ أن تكون مؤسسة الملكية فيهـا أقوى واكثر تثبتاً للأفراد .

ولا تذكر المصادر تفاصيل شاملة عن هذه الملكيات بل تقتصر على ما له علاقة ببعض الحوادث المعينة إلا أن هذه المادة القليلة كافية لإقناعنا بأن الملكية كانت فردية ، وانها لم تكن متساوية وان حق الوراثة مثبت ، امـا العمال فالراجح ان صاحب الأرض كان يعمل أرضه إن كانت صغيرة ، أما إن كانت ملكيته كبيرة فهو يستخدم فلاحين، وان كانت العلاقة بينهما غير واضحـة ، وربما كانت معقدة منوعة انعكست في الأحكام الفقهية .

ومع هذا فلم تكن المدينة تامة الاستثمار بـل كان فيها كثير من الأراضي غير المزروعة فضلاً عن قلة السكان .

ولما هاجر الرسول (ص) الى المدينة لم يحـاول قلب المؤسسات الاقتصادية والمالية التي كانت قائمة فيها أو ان يمس أمـلاك العرب والمسلمين فيها ، خاصة وانه قد نشأ ونما في المجتمع التجاري المكي القائم على الملكية الفردية، ثم ان مجيئه لم يحدث في بداية الأمر أزمة في الأراضي نظراً لقلة عدد المهاجرين الذين جاؤوا معه ولكثرة الاراضي غير المزروعة .

غير ان مجيئه الى المدينة أدى الى خلق احوال وظروف كان شأنها أن تؤثر في أحوال الملكيات الكبيرة فمن ذلك اقصاؤه بني النَّضير ، ومحقـه قرَيظة واخضاعه خَيبَر ووادي القُرى وفدَك، وقد اوردت في مقال نشرته مجلة « كلية الآداب والعلوم» ببغداد سنة ١٦٥٨ تفاصيل ما فعـله في أراضي هذه العشائر والمناطق لذا أكتفي بأن الخص ما قام به .

لقد اعتُبرَت اراضي بني النضير «فيئاً» – وهو تعبير غير محدد في أصـله

ومعناه ولكنه حتماً – يستلزم ان تكون هذه الغنيمة بيد الرسول (ص) يتصرف بها كما يشاء دون اتباع الطرق التقليدية ، والواقع انه خص المهاجرين دون غيرهم بتوزيعها ما عدا سَهل بن حُنيف وسماك الأنصاريين. وقد ذكرت عرضاً اسماء من نال من المهاجرين اراضي منهـا وهم ابو بكر ، وقد اعطـاه الرسول بئر حجر، وعمر بن الخطاب وقد اعطى بئر جرم ، وصُهيب بن سنان وقد اعطى الضراطة ، وعبد الرحمن بن عوف وقد اعطى سواله وكيدمة التي باعها فيما بعد لعثمان بأربعين ألف دينار ، وابو سلمة بن عبد الأسد وقد أعطى البُوَيرة .

ويبدو من هذه النصوص ان الرسول (ص) وزع عليهم اراضي لا محاصيل، غير اننا لا نعلم فيما اذا كان قد وزع على آخرين لم تذكر لنا المصادر اسماءهم ، ولا فيما اذا كان التوزيع بالتساوي، اي ان كل فرد نال نفس المقدار الذي ناله غيره، كما اننا لا نعلم لماذا اختار هؤلاء بالذات، ان كانوا وحدهم الذين خصوا بالتوزيع. ولعل تخصيصهم دون غيرهم يرجع اما الى تلبية طلباتهم أو رغباتهم الشخصية أو إلى ظروف خاصة بهم أو الى اعمالهم وخدماتهم في هذه الفترة المبكرة . ولا شك أن اراضي بني النضير خصبة واسعة ، ولكننا لا نعلم فيما اذا كانت الأراضي الموزعـة تشمل كافة اراضي بني النضير أم انها جزء منها وان كانت الاخيرة فماذا حل ببقية الأراضي ؟ ولا من كان يزرعها ويعمل فيها . ولا حصة الرسول (ص) منها ؟ وان كنا نرجح ان صدقات الرسول السبع هي منها لأن هذه الصدقات تقع في طرف بني النضير .

اما أراضي بني قريظة فانها عندما وزعت كانت أحكام الخمس والتوزيـع قد فرضت فالمفروض ان الرسول (ص) اخذ خمسها ووزع الباقي على المسلمين بالتساوي، شأن غنائم الأموال المنقولة، غير ان حصة الرسول (ص) لم تذكر، كما اننا لا نعلم عدد من قسمت عليهم غنيمة بني قريظة ، وهـــل كان التقسيم للأراضي ام المحصول ، وعلى كل حـــال فلم تذكر المصادر التي بين يدى اي شخص امتلك من اراضي بني قريظة او اية ملكية او اية مشكلة او اية مزرعة ولا العمال الذين اخذوا يعملون في هذه الأراضي مكان السبعمائة يهودي وكيفية

ادارتهم واحكام عملهم . وان السكوت التام للمصادر يحملني على الاعتقاد بان الرسول (ص) كان يوزع المحاصيل دون الأراضي فكان نصيب المسلمين من الحاصل واما امر الملكية فلم يمس فضلا عن انه فيما يبدو كانت اهميته آنذاك غير كبيرة .

أما خَيبَر فلنا عن أحوالها معلومات أوفى ، فلدينا روايتان إحداهما تنص ان الرسول (ص) استصفى نصفها وخمس النصف الثاني، ثم وزع الباقي على المسلمين ، وتقول الرواية الثانية انه خمسها ووزع الباقي . ومهما يكن فالملاحظ أن أسماء من روي لهم نصيب من خيبر نجد أن نصيبهم غير متساوٍ ، بل هو متباين ، والمهم ان المصادر تروي النصيب بالحصول وتصفه بأنه طعمة أي انها تذكر أن الرسول (ص) أطعم فلاناً كذا وسقاً من شعير أو تمر من خيبر، فهي لا تذكر الأرض بل تذكر المحصول ، كما انها تعتبر ذلك طعمة ، غير اننا لا نعلم هل استمرت هذه الطعمة إلى الأبد ثابتة ، وهل كانت تورث ؟ أم انها لم تتبع قاعدة مضطردة ؟ ان لدينا خبراً واحداً عن أرض لعمر في خيبر أوقفها، وما عدا ذلك لم يرد في المصادر أي ذكر لمسلم امتلك من أرض خيبر ، كما ان المصادر لم تشر الى أية مشكلة أو قضية أثارتها هذه الاراضي الغنية بين المسلمين، والتي كانت تنتج أربعين الف وسق . ان هذا يحملنا على الاعتقاد بأن أراضي خيبر كَقُرَيْظَةَ لم توزع على المسلمين بل كان الحاصل هو الذي يوزع ، وانها لذلك لم تكن عاملاً في نشوء الملكيات الفردية بين المسلمين ، شأن أراضي النضير .

لقد روت المصادر عدداً غير قليل من الإقطاعات التي أقطعها الرسول (ص) في داخل المدينة وفي الحجاز وبقية أنحاء الجزيرة ، ولا شك أنه أقطع في المدينة كثيراً من الأراضي لاتخاذها بيوتاً للسكنى أو لزراعتها ، وأغلبها من الاراضي البُور ، التي لم يكن لها مالك أو لم تكن لها أهمية ، فلم تثر هذه الاقطاعات مشاكل كثيرة نظراً لعدم أهمية الاراضي آنذاك ، ولأن معظم الاراضي الممنوحة كانت بوراً ، وأكثرها إما من أراضي اليهود أو في المناطق الغربية التي كانت بوراً آنذاك . ونرجح ان هذه الاقطاعات أقطعت بناءً على طلب

المُقْطَعِين ، وان الرسول لم يردّ طلبهم ، ولم يُعِرْ قضية الملكية أهمية كبرى ولم يقدّر نتائج هذه المِنَح ، خاصة وأن الاراضي التي أقطعها كانت بوراً .

اما في خارج المدينة فلدينا قائمة طويلة من الاقطاعات التي منحها الرسول لعدد غير قليل من الأفراد جمعها الاستاذ حميد الله خان في كتابه عن «الوثائق السياسية» ومن سوء الحظ ان المصادر لا تقدم لنا اخباراً عن الأراضي المقطعة وأهميتها وملكيتها السابقة وعلاقة المقطع بالملاكين او المتصرفين السابقين ، بل واحياناً لا تذكر مساحتها ومع اعترافنا باحتمال تزوير بعض هذه الوثائق المتعلقة بالاقطاعات إلا أنها ليست كلها مزورة ، والراجح أن اغلب هذه الأراضي اقطعها الرسول بناء على طلب المُقطَع دون ان يعير شكل الملكية القانوني أهمية كبرى ، او يجري دراسة دقيقة لكل منها ، والراجح انها لم تكن من الاراضي الزراعية لذا لم تثر كبير اهتمام ، اللهم إلا يَنبُع التي باعها مُقطَعها بثلاثين الف درهم ، والعقيق الذي بدأت اهميته تظهر منذ عهد عمر مما حمله على اشتراط الاستثمار في الإقطاع .

لا شك ان اقطاع الرسول قائم على فكرة الملكية الفردية وهو من عوامل تكوين الملكيات الفردية حتى بعد عهد عمر الذي اشترط الاستثمار في الإقطاع .

ولا شك ان تطورات خطيرة حدثت في الحجاز إبّان القرن الأول الهجري فقد رافق الفتح الإسلامي وتبعه هجرة عدد كبير من افراد بعض العشائر الى البلاد التي فتحها المسلمون كما قدم عدد غير قليل من الأعاجم كأسرى حرب وإن كان عدد القادمين لا يساوي عدد المهاجرين ، كما ان ازدياد عدد المهاجرين من الحجاز لا يكفي للتعويض عن خسارة هجرة السكان لأن هؤلاء لم يكونوا ليقيموا أمداً طويلاً .

غير أنه يقابل نقص السكان ارتفاع مستوى المعيشة وازدياد الثروة بمقدار هائل ، وخاصة في المدن ، وهذا يؤدي الى زيادة الطلب على بعض المواد شبه الكمالية كالخُضرِ والفواكه والألبسة والعطور المعتمدة على المُنتَجات الزراعية .

ولا ريب ان المستوردات الأجنبية زادت فالدولة كانت تستورد القمح من مصر خاصة وتضعه في ميناء (الجَار) لتوزعه على المسجلين في ديوان العطاء، وأغلبيتهم المطلقة من أهل المدينة . والراجح ان بعض هذه الأرزاق كان أصحابها لا يستهلكوها بل يبيعوها لمن ليسوا في الرزق، ومن المحتمل ان الحجاز كان يستورد القمح أيضاً من الشام واليمامة وسنعرض لذلك في مقال مستقبل .

وازدياد الطلب على المُنتَجات الزراعية كان دافعاً لتحسين الزراعة القديمة وأساليبها أو ادخال مزروعات جديدة، ففي اخبار القرن الرابع مثلاً نجد ذكراً لعدد غير قليل من مزارع الموز والرمان والخوخ في مناطق من الحجاز كما ان في « مدَوّنةِ مالك » قائمة طويلة من المنتجات الزراعية من أنواع الحبوب والخضر والدهنيات والزيوت والعطور والفواكه، ولا شك أن أغلبها كان في الحجاز حيث عاش هذا الفقيه، ومن الراجح، أن كثيراً من هذه المنتجات الكمالية ادخلت في الحجاز في هذا القرن الذي وصل فيه أوج الرخاء .

ومن المحتمل أن بعض التحسين في أساليب الزراعة ومنتجاتها قد جاء عن طريق الأسرى الذين تقاطروا إلى الحجاز، واستخدم عدد غير قليل منهم في الزراعة، ولدينا عن ذلك بعض الإشارات منها عين يحنّس انبطها لعلي أعجمي اسمه يُحنّس، ولعله تحريف من جوهانيس وعين أبي نيْزَر حفرها أعجمي يقال إنه من الاحباش وخليج بنات نائلة استخدم فيه ثلاثة آلاف من سبي الأعاجم، ولا ننسى أن وكيل معاوية علي الصوافي بالمدينة هو ابن مينا، وواضح من اسمه انه أعجمي، وربما من سورية، ولعل هذه الأسماء بعض العدد الذي كان يستخدم في الري والزراعة من الأعاجم، واستخدامهم يرافقه إدخال خبراتهم وأساليبهم الزراعية التي تختلف عن أساليب أهل الحجاز، وهي بالتأكيد أرقى منها . إننا لا نزعم أن العمال الأعاجم الذين نقلوا خبراتهم ومهارتهم لم يكونوا الوحيدين بل لا بد انه استخدم معهم بعض العرب من أهل الحجاز، وان كنا لا نعرفهم، أما تنظيم العمل والعلاقة بين

العمال وأصحاب الأرض فهو موضوع سنعالجه في بحث خاص ، وفي كتب الفقه والحديث واللغة مادة غير قليلة عنه تحتاج إلى معالجة ودراسة ، وان كنا نرجح أن الملاكين الصغار كانوا يعملون في أرضهم بانفسهم ، أما إذا كانت الملكية كبيرة فلا بد أن يستخدم الملاك فلاحين ، إما يعملون بالأجرة أو الأرجح بالمؤاجرة والمزارعة والمزابنة والمساقاة، أي بأخذ حصة من المحصول، يختلف مقدارها بين الخمس والنصف ، ولا بد أن يخصص للفلاحين بعض الأرض لرعي المواشي وللاحتطاب ، غير أن فريقاً منهم كان من القنّ أي أنه يبقى العامل مرتبطاً بالأرض وتنتقل علاقته إلى كل من يشتري هذه الأرض وإنّ كثرة اشارات « المدونة » و « الموطا » وهما مؤلفا أهل المدينة لدليل على مدى أهميتها .

ولا ريب أن العوامل الطبيعية لا تمنع الحجاز من تكوين المزارع ، صحيح أن أمطاره الشتوية أقل من أن تكفي للزراعة غير أنه تتوفر فيه المياه الباطنية التي إذا عولجت تكفي لزراعة مناطق غير قليلة . ولا شك ان هذه المياه تتوفر بجوانب الوديان وفيها وعلى أطراف الحرّات والجبال ، هذا فضلاً عن بعض الوديان التي فيها مياه دائمة بشكل مجاري أو غدران. والواقع ان معظم مزارع المدينة كانت تعتمد في البداية على الوديان والآبار ، ثم صارت تعتمد منذ عهد عثمان تدريجياً على العيون ، وخاصة في شماليها وشرقيها . أما في خارج المدينة فأغلب ما روي لنا من المزارع انها كانت قائمة على العيون . وإذا كانت تعابير الرواة دقيقة فيبدو ان المقصود بالعين هي البئر (الارتوازية) وهي بدورها تعتمد فيما يبدو على المياه الباطنية . غير ان الري لا يتطلب لا حفر الآبار والعيون فحسب ،بل عمل السدود والفقائر والكهاريز والقنوات أيضاً . ولدينا أخبار عن السد الذي أنشأه عثمان على مُذَيْنيب ليقي المسجد الجامع من الغرق ، وأدّى بدوره الى إحياء أراضي زراعية في طريق قُبَاء ، وسدّ أنشأه عبد الله بن الزبير في جنوب المدينة ، هذا عدا عدد غير قليل من الضفائر التي أنشئت على المزارع التي تُرْوَى من العقيق . أمـا القُنِيُّ فهي كثيرة ، وأما الكهاريز فلدينا عنها ذكر ما عمله معاوية في شمال المدينة في عينين عند أُحُدٍ .

غير انه لا بد أن نذكر أن من عوامل تحديد الزراعة الأمراض المتوطنة وخاصة (الملاريا) و (البلهارزيا) التي لدينا عنها ، وخــاصة (الملاريا) اشارات غير قليلة لها ، بل إن ... ... لامه الناس لإحيائه أرضـاً موبوءة بالملاريا لأن هذا أدى إلى إرهاق صحته .

إن إمكانية إحياء الأراضي واستثمارها أدّى الى زيادة إقبال الناس على شرائها والمضاربة فيها ، وهذا أدّى الى ارتفاع أسعارها . ولدينا معلومات غير قليلة عن أسعار البيوت في المدينة التي كان بعضها تبلغ قيمته آلاف الدنانـير ، وخـاصة تلك التي كانت قرب مسجد رسول الله ﷺ حيث كان يستوطن الأغنياء من المهاجرين . وقد امتد هذا الارتفاع الى الأراضي الزراعيـة التي وصلت أسعار بعضها إلى مبالغ هائلة .

توجد عن الملكيات وأحوالها إشارات مبعثرة في كتب الفقه والتراجم والأدب ، غير ان ابرز المؤرخين الذين اهتموا في هذا الباب هم ابن زبالة والزبير ابن بكّار وابن شبّة ، وأبي عبد الله الأسدي ، وعَرّام بن الاصبغ . أما كتاب عَرّام فكنا نعتمد فيه على ما رواه ياقوت والسمهودي الى أن طبـع حديثاً ثلاث طبعات ، وهو يقدّم وَصْفاً جغرافياً مفصلاً للمنطقة التي نحن بصدد دراستها مهتماً بالتضاريس الأرضيـة والمياه والحـاصلات والسكان والملكيات ، ويكاد يكون هو وابن زبالة الوحيدين اللذين يبينان أملاك العامة والناس ، رغم انه مؤلف في القرن الثالث الهجري .

أما محمد بن الحسن بن زبالة فهو أقدم مؤرخي خطط المدينة ، وقد وصلتنا مقتطفات من كتابه نقلها ابن النجار والسمهودي (١) الذي يقتطف منه بكثرة، وهو يصف طوبوغرافية محلاة الانصار واليهود من أهل المدينـة مع كثير من الاشارات الى الآبار والمزارع والملكيات .

اما ابن شبّة فهو من أواخر القرن الثاني وقـد ألّف كتاباً عن أخبار

---

(١) والفيروز آبادي في «المعالم» .

المدينة يبدو مما نقله السمهودي عنه انـــه يهتم بالمهـاجرين والحجازيين الذين استوطنوا المدينة مع اشارات غير قليلة الى أسعار هذه الأراضي والبيوت وقد ألـّف ابن شبّة أيضاً كتاباً في الصدقات ذكر فيه كثيراً من أملاك علي وأسرته مع تفاصيل عن هذه الأملاك وتطوراتها .

اما ابو عبدالله محمد بن احمد الاسدي فقد ألـّف في وصف الطريق بـين مكة والمدينة وهو يقدم فيه معلومات قيّمـــة عن الأملاك الواقعة على تلك الطريق[1] .

إن هذه المؤلفات لم يبق منها إلا ما نقله عنها المتأخرون وخاصة السمهودي الذي رغم كثرة نقله لا يمكن الجزم بأنه قد استوعب في كتابه كافة معلوماتهم.

أما الزبير بن بكار فان كتابه في نسب قريش طبع مؤخراً بعضه وفيــه معلومات غير قليلة عن املاك الزبيريين .

لا يمكن القول بأن المعلومات التي لدينا عن الملكيات الكبيرة شامـــلة، فأغلبها تتركز حول ملكيات المقيمين في المدينة، وخاصة بعض الأسر المعينة، ومن سوء الحظ ليست لدينا معلومات غيرها، بل الغريب اننا لا نجد اشارات الى هذه الملكيات بعد القرن الثاني ولا نعلم فيما اذا كان ذلك راجعاً الى اغفال المؤرخين لذكرها أم لتبدل الاحوال الاقتصادية التي أدت الى زوال الملكيات الاقتصادية . والواقع ان الأزمات الاقتصادية يرد ذكرها منذ أوائل القرن الثاني ففي زمن هشام بن عبد الملك حدثت أزمة اقتصـــادية عنيفة أدت الى تدهور الحياة الاقتصادية والى هجرة بعض السكان .

واكبر الاسر التي اهتم افرادها بامتلاك الأراضي الزراعية واحياءهـــا كما تقدمه المصادر التي اعتمدت عليهـــا هم علي والزبير وأولادهما ، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف .

---

(١) نجد تلك المعلومات كلها في كتاب طبع حديثاً.باسم «كتاب المناسك ومنازل طرق الحج»

املاك علي بن أبي طالب :

فأما علي بن أبي طالب فأهم أملاكه ينبع حتى أن البكري يقول : ينبع وادي علي بن أبي طالب (بكري ١٣١٠) ويقول الشافعي: «لم يزل علي بن أبي طالب (رض) يلي صدقته بينبع حتى لقى الله عزّ وجل (الأم ٣/٢٧٦) .

ويظهر أن علياً كان يقيم كثيراً في بنبع فقد روى « أحمد بن الضحاك أن أبا فضالة خرج عائداً لعلي بينبع وكان مريضاً فقال له : ما يسكنك هذا المنزل لو هلكت لم يَلِكَ إلا الاعرابُ أعراب جُهَيْنَة ، فاحتمِل إلى المدينة فإن أصابك قدرٌ وليك أصحابك فقال علي : اني لست بميت من وجعي هذا إن رسول الله ﷺ عهد إلي أن لا أموت حتى اضرب ثم تخضب هذه – يعني لحيته – من هذه – يعني هامته – (وفاء الوفا ٢ / ٣٩٣) .

ويروى يحي بن آدم عن الحسن عن عبد الله بن الحسن « ان علياً (رض) سأل عمر بن الخطاب فأقطعه ينبع » .

ويقول جعفر بن محمد إن علياً : اقطعه عمر ينبع وأضاف اليها غيرها (ياقوت ٣ / ٩٠٣ وفاء ٢ / ٣٥٦) ويروى عمار بن ياسر : اقطع النبي ﷺ علياً بذي العُشَيرَة من ينبع ثم اقطعه عمر بعد ما استخلف قطيعة، واشترى علي اليها قطيعة وكانت أموال علي بينبع عيوناً متفرقة تصدق بها . (وفاء ٢ / ٣٩٣) وهذا نص غامض قد يفهم المرء منه أن كل هذه الأموال بينبع.
ويروي ابن شبّة عن كشد بن مالك الجهني قال : نزل طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بن علي بالمنجار (البكري : التجار) وهو موضع بين حورة (حوزة) السفلى وبين منحوين (البكري : منحوس) على طريق التجار، برقبان عِير أبي سفيان فأجازهما كشد فلما أخذ رسول الله ﷺ ينبع اقطعها لكشد فقال : اني كبير ولكن اقطعها لابن اخي فاقطعها له فابتاعها منه عبد الرحمن بن سعد الأنصاري بثلاثين الف درهم فخرج عبد الرحمن اليها أو أصاب صافيها وربحها فقدرها وأقبل راجعاً (البكري : فاستوبأها ورمد بها وكر راجعاً) فلحق علي بن أبي طالب (رض) دون ينبع فقال : من

أين جئت ؟ فقال : من ينبع سنمتها (البكري : شنفتها) فهل لك أن تبتاعها ؟ قال علي : قد أخذتها بالثمن ، قال : هي لك . فكان أول شيء عمله فيها البُغَيْبغَة (وفاء ٢ / ٣٩٢ — البكري ٦٥٧) .

ان هذا النص يشير الى أن عليا اشتراها جملة ، ولا يشير من أين حصل عليّ على الثلاثين الف درهم كما لا يشير الى الاقطاعات التي ظفر بها من النبي (ص) وهل سبقت هذا الشراء وهو ما نرجحه كما لا يذكر موقع اقطاع عمر .

واذا اخذنا بما قال ابن شَبّة فيمكن القول ان النبي أقطع عليًا بعض ينبع ثم وسعها شراءاً أو اقطاعاً فأصبحت مقاطعة واسعة وان كنا لا نعرف مساحتها .

ويقول ابن شَبّة فيما نقل في صدقته : وكانت أمواله متفرقة بينبع ومنها عَين يقال لها عين البُحَير ، وعين يقال لها عين أبي نَيْزر ، وعين يقال لها نولا ، وهي التي يقال ان عليًا (ع) عمل فيها بيده ، وفيها مسجد النبي وهو متوجه الى ذي العُشَيرة ، وعمل عليّ أيضاً بينبع البغيبغات » (وفاء ٢ / ٣٤٨) .

ليست لدينا معلومات عن عين البُحَير وعين نولا ، ويبدو انهما من أقدم عيون ينبع لأن عليًا عمل فيها بيده ، وفيها مسجد النبي ﷺ في العُشَيرة . أما البغيبغة وعين أبي نيزر فلدينا عنها معلومات واسعة نسبيًا .

أما البغيبغة فقد روى ابن شَبّة ان ينبع لما صارت لعلي كان أول شيء عمله فيها البُغَيْبِغَة ، وأنه لما بُشّر بها حين صارت له قال : تَسُرُّ الوارث ، ثم قال : هي صدقة على المساكين وابن السبيل وذوي الحاجة الأقرب .

وفي رواية للواقدي ان جذاذها بلغ في زمن علي ألف وسق . وقال محمد ابن يحيى : عمل علي بينبع البغيبغات ، وهي عيون منها عين يقال لها خيف الاراك ، ومنها عين يقال لها خيف ليلى ، ومنها عين يقال لها خيف نسطاس .

قال : وكانت البغيبغات مما عمل علي وتصدّق به ، فلم يزل في صدقاته

حتى أعطاها حسينُ بن علي عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب يأكل ثمرها : ويستعين بها على دينه ومؤونته ، على أن لا يزوج ابنته من يزيد بن معاوية ، فباع عبد الله تلك العيون من معاوية . ثم قبضت حين ملك بنوها ثم الصوافي فكلم فيها عبد الله بن حسن بن حسن أبا العباس وهو خليفة فردّها في صدقة علي ، فأقامت في صدقته حتى قبضها أبو جعفر في خلافته وكلم فيها الحسن بن زيد المهديَّ حين استخلف وأخبره خبرها فردّها مع صدقات علي (وفاء ٢/٢٦٢ — ٣) .

وقال المبرد : روي ان علياً لما أوصى الى الحسن وقف عين أبي نيزر البغيبغة ، وهي قرية بالمدينة وقيل عين كثيرة النخل ، غزيرة الماء ، فلم تزل هذه الضيعة في يد بني عبد الله من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى استخلف المأمون فذكر له فقال : "كلاّ" ، هذه وقف علي ، فانتزعها وعوضهم عنها وردّها الى ما كانت عليه (وفاء ٢/٢٦٣) .

ويقول السمهودي عن البغيبغة : « وهي معروفة اليوم بينبع » (وفاء ٢/٢٦٢) .

ويقول وكيع : « ان البغيبغة صدقة علي بن أبي طالب وان معاوية كان خطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر وهي بنت زينب بنت علي لفاطمة بنت محمد ، على ابنه يزيد ، فأراد أن ينكحه فبعث الى حسين في ذلك فذكر حديثاً طويلا فيه ان البغيبغة لم تزل في يد حسن حتى هلك ، ثم وثب عليها يزيد بن معاوية فكانت في يده ، ثم كانت في يد ابن الزبير فكانت إذا كانت المدينة في يد ابن الزبير وثب عليها آل علي ، وإذا كانت في يد يزيد بن معاوية قال : البغيبغة في يده ، ثم دفعها عبد الملك الى آل معاوية ، حتى قام عمر بن عبد العزيز فردّها الى آل علي ، فلما ملك يزيد بن عبد الملك ردّها الى آل معاوية » (أخبار القضاة ٢/١٥٣) .

أما عين ابي نيزر فقد ذكر السمهودي : « عين أبي نيزر بينبع من صدقة علي بن أبي طالب » (وفاء ٢/٣٤٨) .

يروي أبو محلم محمد بن هشام بإسناده : كان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم ، قال : وصح عندي بعـد انه من ولد النجاشي فرغب في ا لاسلام صغيراً، فأتى رسول(ص)الله وكان معه في بيوته،فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها .

قال ابو نيزر : جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي نيزر والبغيبغة فقال : هل عندك من طعـــام ؟ فقلت : طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين : َقرعٌ من َقرعِ الضيعة ضالته ِبإهالةٍ َسنِخَةٍ (البكري حنقته بإهالة سنحة) فقال : َعلَـيَّ به ! فقام الى الربيـع وهو َجدْوَل ، فغسل يده ، ثم أصاب من ذلك شيئاً ثم رجع الى الربيـع .

ثم جعلها صدقة فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا ما تصدق بـه عبد الله علي أمير المؤمنين ، تصدّق بالضيعتين : بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل يقي بها وجهه من َحرّ النار يوم القيامة ، لا تباعا ولا توهبا حتى يرثها الله وهو خير الوارثين إلا أن يحتاج اليهما الحسن والحسين فهما طلق لهما وليس لأحد غيرهما .

قال ابو محلم محمد بن هشام : فركب الحسين َديْنٌ فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيع وقال : إنما تصدّق بهـــا أبي يَقي وجهه َحرّ النار ولست بايعها بشيء (ياقوت ١/٧٥٧والبكري عن محمد بن يزيد عن محمـد بن هشام ٦٥٧–٨) .

وينقل السمهودي عن كتاب صدقـة علي من ابن َشبّة : (ان ما كان لي بينبـع من ماء يعرف لي فيها وما حوله صدقة وقفتها غير ان رباحاً وأبا نيزر وجبيرا اعتنقاهم وهم يعملون في الماء خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم . انتهى (وفاء ٢/٣٤٨) .

ونحن نرجحاصالة هذه الجملة لسعة اطلاعابن شبة واهتمامه بالصدقاتودقته، ونرى ان نص أبي محلم المذكور آنفـاً مبتور ، غير أنه غير مغلوط لأن السمهودي يقول « فكتب وذكـر الصـدقة بالضيعتين البغيبغة وعين أبي نيزر

علي فقراء أهل المدينة وابن السبيل ، لا يباعان ولا يوهبان إلا أن يحتاج لهما الحسن او الحسين فهما طلق لهما وليس ذلك لغيرهما ، قال ابن هشام : فركب الحسين دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي الف دينار فأبى ان يبيع. (وفاء ٣٤٨/٢) ويبدو ان السمهودي قد نقل عن محمد بن هشام هذا النص الذي يشبه ما رواه ياقوت والبكري.

ويروي ياقوت ان وقف هذين الموضعين كان لسنتين من خلافة علي (ياقوت ٦٩٧/١) وهذا نص غير دقيق لأن علياً لم يذهب الى المدينة بعد أن سار الى العراق في اوائل خلافته .

ويروى ياقوت : (وتحدث النيزريون ان معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة : أما بعد فإن امير المؤمنين قد أحب أن يرد الالفة ويسل السخيمة ويصل الرحم ، فاذا وصل اليك كتابي فاخطب إلي عبدالله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمـــير المؤمنين وأرْغِبْ له في الصداق. فوجه مروان الى عبدالله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وعرفه ما في الإلفة من اصلاح ذات البين ، قال عبدالله: ان خالها الحسين بينبع ، وليس ممن يُفْتات عليه ، فأنظرني الى ان يقدم ، وكانت أمهـا زينب بنت علي (رض) فلما قدم الحسين ذكر له ذلك عبدالله بن جعفر فقام من عنده ودخل على الجـارية، وقال : يا بنية إن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ، ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البُغيبغات .

فلم تزل هذه الضيعة في يدي [آل] عبدالله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى استخلف المأمون فذكر [له] ذلك فقال : كلا هذا وقف علي ابن ابي طالب على ولد فاطمة ، فانتزعها من ايديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه» (ياقوت ٦٩٧/١) البكري ٩٥٦ عن محمد بن هشام بتاخيص).

املاك اخرى :

يروي جعفر الصادق(رض) ان النبي(ص)اقطع علياً (رض)ارضين الفقيرين — وبئر قيس والشجرة (ياقوت٩٠٦/٣و فاء ٣٥٦/٢) ويذكر يحيى بن آدم أن النبي(ص)اقطع علياًبئرقيس والشجرةدون أنيذكر الفقيرين(الخراج:٢٥٥).ونقل

ابن شبّةفيصدقة علي ان فيها الفقيرين بالعالية وانه ذكر ان حسناً أو حسيناً، باعا ذلك فتلك الأموال متفرقة في ايدي الناس ثم حكى كتاب الصدقة نصاً ولفظه: والفقيرين كما قد علمتم صدقة في سبيل الله . ثم ذكر تسويغ البيع لكن من الحسن والحسين دون غيرهما (وفاء ٢/٣٥٦) .

ويقول السمهودي: « الفقير موضعين قرب المدينة يقال لهما الفقيران... قال : المَجد : وبعالية المدينة حديقة تعرف بالفقير ... وسبق في الصدقات مكاتبة سلمان سيده القرظي على ان يحيي له ذلك النخل بالفقير فالظاهر انه المعروف اليوم بالفقير قرب بني قريظة» (وفاء ٢/٣٥٦) .

وذكر ابن شبّة في صدقات علي (رض) وادٍ يقال له تُرعة بناحية فَدَك بين لابتي حرة (وفاء ٢ / ٢٧٠) .

ويقول « ابن شبّة في صدقات علي : وله بحرَة الرَّجْلا من ناحية شعب زيد : وادٍ يدعى الأحمر ، شطره في الصدقة ، وشطره بأيدي آل مناع ، وبني عدي منحة من علي ، وله أيضاً بحرة الرجلا واد يقال له البيضاء فيه مزارع وعضاه ، وهو في الصدقة ثم قال : وله بناحيــة فدك بأعلى حرة الرجلا مال يقال له القصيبة ... ان وادي القصيبة قبلي خيبر وشرقي وادي عصر » (وفاء ٢ / ٢٨٨) .

« ونقل ابن شبة أن علي بن أبي طالب كان من صدقاته بالمدينة بئر الملك بقناة (وفاء ٢ / ٢٥٨) .

يروي يحيى بن آدم عن قيس عن عبد الله بن عطاء عن أبي جعفر « ما قتل ابن عفان حتى بلغت غلة علي مائة الف » (الخراج ٢٦٣) .

يذكر الشافعي « ولم يزل علي بن أبي طالب (رض) يلي صدقته بينبع حتى لقى الله عزّ وجل ، ولم تزل فاطمة عليها السلام تلي صدقتها حتى لقيت الله تبارك وتعالى (الام ٣/٢٧٦). ويقول أيضاً : وقد وصفت لك ان أهل هذه الصدقات من آل علي وغيرهم قد ذكروا ما وصفت منان علياً ومن

تصدّق لم يزل يلي صدقتـه ، وصدقاتهم فيها جارية ثم ثبتت قائمـة مشهورة القسم والموضع الى اليوم (الأم٣/٢٧٨) .

وهو يروي عن محمد بن علي بن نافع عن عبد الله بن حسن بن حسين عن غير واحد من أهل بيته قال : وأحسبه قال زيد بن علي ، ان فاطمة بنت رسول الله(ص)تصدقت بمالها على بني هاشم وبني المطلب وان علياً(رض) تصدق عليهم وأدخل معهم غيرهم قال الشافعي : واخرج إليّ والي المدينة صدقة علي ابن ابي طالب واخبرني أنه اخذها من آل ابي رافع ، وانها كانت عندهم فأمر بها وقرئت عليّ فاذا فيها : تصدق بهـــا علي (رض) على بني هاشم وبني المطلب ، وسمى معهم غيرهم قال وبنو هاشم تحرم عليهم الصدقة المفروضة لم يسم علي ولا فاطمة منهم غنياً ، ولا فقيراً .... » (الام ٣ / ٢٧٩) .

فأما صدقة فاطمة فمنها — فيما يروي عرام — أم العيال (جبال تهامة ٤٠٤ ياقوت ١ / ٣٣٦ وفاء ٢ / ٢٤٨) .

املاك آل علي :

وبجانب املاك علي وفاطمة وصدقاتهما التي ورثها اولادهما فقـــد ذكرت اراضي كان يمتلكها الحسن والحسين واولادهما في مواقـــع متعددة دون ان تشير المصادر الى زمن امتلاكها او طريقته .

فيذكر عرام: (وفي سايَة نخل ومزارع وموز ورمان وعنب ... واصلها لولد علي بن ابي طالب وفيها من افناء الناس (عرام ص ٤١٤ ياقوت ٢ / ٢٠٦ البكري ٧٨٦ وفاء ٢ / ٣٢١). ويقول ابن جِنّي : شَمَنْصِيْر : جبـــل سايَةَ ، واد عظيم به اكثر من سبعين عيناً وهو وادي أمَج » (وفاء٢/٣٢١) ويقول السمهودي : « عين يحنس كانت بالمدينة للحسين بن علي استنبطها غلام له يقال له يحنس : وباعها علي بن الحسين من الوليد بن عتبة بن ابي سفيان بسبعين الف دينار قضى بها دين ابيه الحسين اذ قتل وعليه هـــذا القدر » (وفاء ٢ / ٣٤٩) ويقول ايضاً : (قراقر موضع من اعراض المدينة لآل

حسين بن علي بن ابي طالب » (وفاء ٢ / ٣٦٠) و « العَمْقُ : واد يصب في الفُرُع ويسمى عَمْقَيْن لبعض ولد الحسين بن علي ، وقيل هو عين بوادي الفرع وسبق في أودية العقيق ان ما دَبرَ من ثنية عَمْقٍ يصب في الفُرُع » (وفاء ٢ / ٣٤٣) .

ويذكر الطبري:(ان علي بن الحسين وهو بمال له الى جنب المدينة (طبري ٢ / ٤١٠) . ويذكر السمهودي:(عَبَاثِرُ : واد من الأشعر بين نخلي وبُوَاط فيه نقب يؤدي الى ينبع وهو لبطن من جهينة ابتـــاع موسى بن عبد الله الحسيني منهم اسفله وعالج بها عينا (وفاء ٢ / ٣٤٢) .

أما عن الحسن فيقول السمهودي ان « الحفياء صدقـــة الحسن بن علي » (وفاء ٢ / ٢٩٢) . و « مرتج : واد قرب المدينة لحسن بن علي وقيل : موضع قرب الأبواء (وفاء ٢ / ٣٧١) . ويقول ياقوت : مرتج وهو موضع قرب وَدّان وقيـــل هو في صَدْر نَخْلى واد لحسن بن علي بن ابي طالب (ياقوت ٤ / ٤٨٦) .

أما اولاده فيقول السمهودي « نَخْلى من أودْية الأشعَر الفَوْرية تصب في يَنْبُع وبأسفله عيون لحسن بن علي بن حسن منها ذات الأسِيل وبأسفله البَلدَة والبُليدة » (وفاء ج ٢ ص ٣٨٢) و«السَّيالة وهي لولد الحسن بن علي ولقوم من قريش» اليعقوبي البلدان ٣١٤ .

ويضيف السمهودي على ذلك « وعلى ميل منها عين تعرف بسُوَيقَة لولد عبد الله بن حسن كثيرة المياه عذبة .. (وفاء ٢ / ١٦٦ بكري ٧٧٠) .

ويقول البكري « الحزرة تلقاء سُوَيقة لآل الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب » (بكري ص ٤٤١) . أما السمهودي فيقول « الحَزْرَة : من أودية الأشعر يفرغ في الفقارة ، سكانه بنو عبد الله بن الحصين الأسليون وبه المُلَيْحَة وبأسفلها العين الـــتي تدعى سُوَيقة (وفاء ٢ / ٢٩١) . ويقول البكري : « البثنة أرض تلقاء سويقة ، بالمدينة اعتملهـا عبد الله بن حسن بن حسن ... وبأسفل الحورة عين عبد الله بن الحسين التي تدعى سويقة ، ثم تنفذ بين السفح والمُشاش، وبها ذات الشعب وبها المليحة» (بكري١٥٦).

أما الحسن بن زيد فقد كانت له أملاك كثيرة منهـــا : « الحفيا صدقة الحسن بن ريد بن علي وهي بأدنى الغابة » (وفاء ٢ / ٢٩٢) . و « عابد بطرفه عين للحسن بن زيد علي الطريق منقطعاً فيها » (وفاء ٢ / ٢٤١) . و « السُّقيا ... وهي كثيرة الآبار والعيون والبرك كثير منها صدقات للحسن بن زيد » (البكري ٧٤٣) .

و « عيون الحسين بن زيد بن علي بن الحسين وهي ثلاث باعمـــال المدينة احداها بالمضيق والأخرى بذي المروة والثالثة بالسقيا » (وفاء ٢ / ٣٤٩).

ويروي السمهودي عن الحسن بن زيد انه أخذ من معن بن زائدة عشرين الف دينار .. وقدمت المدينة واستخرجت عيناً بالمضيق وعينـــاً بالسُّقيا وبنيت منازل بالبقيع » (وفاء ٢ / ٣٤٩) .

ويذكر السمهودي : سويقة عين عذبة كثيرة الماء بأسفل حزرة (حورة؟) على ميل من السيالة ناحية عن الطريق يمـــين المتوجه إلى مكة لولد عبد الله بن حسن (وفاء ٢ / ٣٢٦ / ١٦٦) .

و « قال المجد : هي موضع قرب المدينة يسكنه آل علي بن ابي طالب (وفاء ٢ / ٣٢٦) .

وكان محمد بنصالح بن عبد الله بن موسىالحسني خرج على المتوكل فانفذ اليه ابا الساج في جيش ضخم فظفر به وبجماعة من أهله فأخـــذهم وقيدهم وقتل بعضهم واخرب سُوَيْقَةَ وعقر بها نخلاً كثيراً وعقر منازلهم وما أفلحت سويقة بعد « الأغاني ٤ / ٨٥ – وفاء ٢ / ٣٢٦) . ويروي ياقوت « ملل : واد ينحدر من ورقان جبل مزينة ، حتى يصب في الفَرْش ، فَرْش سُويقة وهو مُتَبَدًّى بني حسن بن علي بن ابي طالب وبـني جعفر بن ابي طالب ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في إضم ثم يفرغ في البحر » (ياقوت ج ٣ ص ٨٧٤ – ٥) .

ويقول الأسدي : (السيالة وهي لولد الحسين بن علي بن ابي طالب ولقوم

من قريش وعلى ميل منها عين تعرف بسويقة لولد عبد الله بن حسن كثيرة الماء عذبة....وذكر آباراً كثيرة بالسيالة وكان قد تجدد منها بعد النبي (ص) عيون وسكان (وفاء ج ٢ ص ١٦٦) .

ويقول اليعقوبي : (السيالة وهي لقوم من ولد الحسين بن علي بن ابي‌طالب وكان بها قوم من قريش وغيرهم (البلدان ٣١٤) .

ويقول البكري : (السيالة لولد حسن بن علي ... وبالسيالة آبار عظيمة بئر الرشيد منها تسع اذرع (٧٧٠) .

وقال الأسدي : (وبالسقيا مسجد لرسول الله الى الجبل ، وعنده عين عذبة ثم ذكر ان بالسقيا أزيد من عشر آبار ، وان عند بعضها بركة . ثم قال وفيها عين غزيرة الماء ومصبها في بركة في المنزل ، وهي تجري الى صدقات الحسن بن زيد ، عليها نخل وشجر كثير ، وكانت قد انقطعت ثم عادت في سنة ٢٤٣ ثم انقطعت في سنة ٢٥٣ ، قال وعلى ميل من المنزل موضع فيه نخل وزرع وصدقات للحسن بن زيد فيها من الآبار التي يزرع عليها ثلاثون بئراً ، وفيها ما أحـــدث من أيام المتوكل خمسون بئراً ، وماؤهن عذب ، وطول رشائهن قامة وبسط وأكثر وأقل » (وفاء ج ٢ ص) .

يروي الزبير بن بكار كان الحسن بن زيد قـد عود داود بن سلم مولى تيم اذا جاءته غلة من الخانقين أن يصله « الأغاني » ٦ / ١٥) .

ويذكر السمهودي : « صَفَرُ جبـــل أحمر بفرش ملل يقابل عَبُّوداً ، الطريق بينهما ، وبه بناء كان للحسن بن زيد وبقضاه ردْهة يقال لهـا ردهة العجوزين والعجوزين هضبات هناك كان يسكنهـا أبو عبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب الزمعي جد ولد عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب لأمهم (وفاء ٢ / ٣٣٧ ، ص ٣٣٥ بكري ١٢٥٧) .

ويقول السمهودي عن عبود : (وفاء : ٢ / ٣٤١) (بطرفه عين الحسن بن زيد على الطريق منقطعة فيها يقول معقل الليثي :

قد ظهرت عين الأمير مظهراً   بسفح عبود ، اتته من مرا

« قال الزمخشري يَيْنُ : عين بواد يقال له حَوْرَتان ، وهي اليوم لبني زيد الموسوي من بني الحسن » (وفاء ٢ / ٣٩٣) .

ويقول السمهودي عن يَين : « وسيلها يصب في حَوْرَتين واثر العين والقرية اليوم موجودة هناك ، وكان بها فواكه كثيرة حتى نقل الهجري ان يين بلد فاكهة المدينة ، وكانت تعرف من قريب بقرية بني زيد ، فوقع بينهم وبين بني يزيد حروب فجلا بنو زيد الى الصفراء وبنو يزيد إلى الفرع ، فخربت ، وكانت منازل أسلم قديماً (وفاء ج ٢ ص ٣٩٣) .

يروي ابن شبّة عن عيسى انه لما قتل عيسى من موسى محمداً (النفس الزكية) قبض أموال بني الحسن كلها فأجاز ذلك أبو جعفر (طبري ٣/٢٥٨) ويروي أيضاً أنه « كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى : من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلي باسمه ، ومن لم يلقك فاقبض ماله ، قال فقبض عين أبي زياد ، وكان جعفر بن محمد تغيب عنه فلما قدم أبو جعفر كلمه قال : مالي قد قبضه مهديكم » (طبري ٣ / ٢٥٨) .

ويروي أيوب بن عمر « لقي جعفر بن محمد أبا جعفر فقال يا أمير المؤمنين ردّ علي قطيعتي عين أبي زياد ، آكل من سعفها فقال : إياي تكلم بهذا الكلام ، والله لازهقن نفسك ، قال فلا تعجل عليّ ، قد بلغت ثلاثاً وستين، وفيها مات أبي وجدّي وعلي بن أبي طالب ، وعلي كذا وكذا إن رِبْتُكَ بشيءٍ أبداً ، وان بقيت بعدك إن رِبْتُ الذي يقوم بعدك ، قال : فرقّ له وأعفاه (طبري ٣ / ٢٥٨) .

غير ان هشام بن ابراهيم بن هشام يروي « لم يرد ابو جعفر عين ابي زياد حتى مات فردها المهدي على ولده » (طبري ٣/٢٥٨) .

ويروي ياقوت والسمهودي عن الهجري « وفي شق حمراء الأسد الأيمن خاخ بلد — فيه منازل لمحمد بن جعفر بن محمد وعلي بن موسى الرضا وغيرهم ،

وبشر محمد بن جعفر وعلي بن موسى ومزارعهـــا تعرف بالحضر » (ياقوت ١٨٤/٢ وفاء ٢٩٦/٢-٧) .

اما الحسين بن علي صاحب َفخّ فيروي الأصبهـــاني بسند عن الحسن بن هذيل ان الحسين قدم بغداد « فباع ضيعة له بتسعة آلاف دينـــار (مقاتل الطالبين ٤٤١)والراجح ان هذه الضيعة كانت بالحجاز حيث يقيم الحسين بن علي.

ويذكر السمهودي ان زين العابدين كان يسكن العُنابة ، وهي قارة سوداء– اسفل من الرويثة الى المدينة .. (وفاء ٣٤٧/٢) .

كما يذكر ان «عين القشيري بطريق مكة بين السُقيا والأبواء كثيرة الماء لها مشارع يشرب منها الحاج ، وعليها نخل كثير كانت لعبـــدالله بن الحسن العلوي (وفاء ٣٥١/٢).

وقد ذكرت لآل جعفر بن أبي طالب أملاك منها مَلَلُ التي يذكر اليعقوبي انها في هذا الوقت منازل قوم من ولد جعفر بن ابي طـــالب» البلدان ٣١٣) ويقول ياقوت: (ملل : واد ينحدر من ورقان جبل مزينة حتى يصب في الفرش فرش ُسويقة وهو متبدّى بني الحسن بن علي بن ابي طالب وبني جعفر بن أبي طالب ثم ينحدر من الفرش حتى يصب في إضم (ياقوت ٦٣٧/٤) ٨٧٤/٣–٥).

وكانت الأثيل موضع بين بَدر والصفراء به عين لآ لِ جعفر بن ابي طالب (وفاء ٢-٢٤٢) وكُتانة : عين بين الصفراء والأثيل لبني جعفر بن أبي طالب (وفاء ٢–٣٦٤) ويقول البكري إن « كُتـــانة موضع بنجد[1] فيه نخل كثير كان لجعفر بن ابراهيم بن عبدالله بن جعفر قال محمد بن حبيب : وهي اليوم لبني مريم» (البكري ١١١٣) .

ولبني جعفر بن ابي طالب عين بالشّبا : وادٍ من اودية المدينـــة ... وقال ابن حبيب : الشبا قريب من الأبواء لجهينة (بكري ٧٧٧ ياقوت ٢٤٧/٢) وينقل ياقوت عن أبي الحسن المهلبي : أن شبا واد بالأثيل من أعراض المدينة

---

(١) ليست في نجد بل بتهامة في الصفراء الوادي الذي لا يزال معروفاً .

فيه عين يقال لها خيف الشبالبني جعفر بن ابراهيم من بني جعفر بن أبي طالب (ياقوت ٢٤٧/٢) ٥٧٣/٣ ، وفاء ٣٢٧/٢) .

وينقل ياقوت عند كلامه عن ودّان عن أبي زيد قوله : وبهـا كان أيام مقامي بالحجاز رئيس للجعفريين –أعني جعفر بن أبي طـالب– (ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة ، وبينهم وبين الحسنيين حروب ودمـاء حتى استولى طائفة من اليمن يعرفون ببني حَرْبٍ على ضياعهم فصاروا حرباً لهم فضعفوا (ياقوت ٩١٠/٤ وفاء ٣٩٠/٢) .

املاك آل الزبير

لقد بدأ امتلاك الزبير للأراضي منذ وقت مبكر .

فيروي هشام بن عروة عن ابيه أن النبي (ص) أقطع الزبير أرضاً فيها نخل كانت من أموال بني النضير (ابن سعد ٣–٧٢/١ فتوح البلدان ٢٠).

ويذكر السمهودي عن ابن شبّة: صدقة الزبير في بني مُحمّم ، وهي قرب صدقات النبي (ص) وكانت معروفة في زمن الشافعي ، ويذكر ابن شبّة عن أبي غسان ان النبي (ص) اقطع الزبير ماله الذي يقال له بنو مُحَمّم من أموال بني النضير ، فابتاع اليه الزبـير شيئاً من أموال بني محم فتصدق بها على ولده (وفاء ٦٨/٢ انظر ايضاً ٣٧/٢) .

يروي هشام بن عروة عن ابيه ان أبا بكر اقطع الزبير الجُرف (ابن سعد ٣–٧٢/١ وفاء ٢٨٠/٢) .

ويروي يحيى بن آدم عن عروة ان ابا بكر اقطع الزبير ما بين الجُرُفِ الى قناة (الخراج ٢٤٢/٢٤٣ فتوح ٢٠ ياقوت ١٨٢/٤) .

كما يروي هشام بن عروة عن أبيه أن عمر أقطع الزبير العَقيق كلّه (ابن سعد ٣ – ٧٢/١) إلا أن أوسع أمـلاك الزبير هي الغابة . يقول هشام بن عروة : « وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة الف فباعها عبـد الله بن الزبير بألف ألف وستمائة الف ، ثم قام فقال : مَن كان له على الزبـير شيء

فليوافينا بالغابة ، قال فأتاه عبد الله بن جعفر وكان له على الزبير أربعمائة الف ، فقال لعبد الله : إن شئتم تركتها لكم ، وإن شئتم فأخروها فيما تؤخرون إن أخرتم شيئاً ، فقال عبد الله بن الزبير : لا ، قال : فاقطعوا لي قطعة ، فقال عبد الله : لك من هاهنا الى هاهنا ، قال : فباعه منها بقضاء دينه فأوفاه ، وبقي منها أربعة أسهم ونصف ، قال : فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة ، قال : فقال له معاوية : كم قومت الغابة ؟ قال : كل سهم مائة الف ، قال : كم بقي ؟ قال : أربعة أسهم ونصف ، قال : فقال المنذر بن الزبير : قد أخذت سهما بمائة الف ، فقال عثمان : فكم بقي ؟ قال : سهم ونصف ، قال : أخذته بخمسين ومائة ألف ، قال : وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة الف ، ثم قسم الميراث وله أربعة نساء فأصاب كل امرأة الف الف ومائة الف ،قال فجميع ماله خمسة وثلاثون الف الف ومائتا الف » (سعد ٣ — ١ /٧٦) انظر أيضاً وفاء ٢/٣٥١ — ٢ ياقوت ٦٧٣ . ويقول هشام بن عروة : « قتل الزبير ولم يدع ديناراً ، ولا درهماً إلا أرضين منها الغابة (ابن سعد ٣ — ١ / ٧٦) .

ويذكر البكري أن بالغابة « ثرمد مال كان للزبير باعه عبد الله ابنه في دين أبيه ثم صار للوليد بن يزيد » (بكري ١٣٣٣) فأما عروة بن الزبير فيروي البكري انه اشترى أرض المغيرة بن الاخنس التي في وادي العقيق والتي كان قد اقطعها مروان بن الحكم عبد الله بن عباس بن علقمة من بني عامر « فذلك مال عروة بن الزبير ، وهناك قصره المعروف بقصر العقيق ، وبئره المنسوبة اليه وهي سقاية » (بكري ١٢٣٠) .

كما كانت له صلاصل وهي أرض بحرة بطحان ثم صارت لابنه يحيى فوقفها في بنيه وكان يقال لها المفتربة (وفاء ٢/١٩٦) .

كما كانت له أموال بمجاح [1] في ناحية الفرع حيث مات ودفن هناك

(١) مجاح — بالميم بعدها جيم مفتوحة ، فألف ، ثم حاء مهملة : وادٍ ينحدر من الفرع حتى يصب في وادي الابواء عند مكان عين القشيري المعروف الآن باسم بئر ابن مبيريك ، درست العين ، وحفرت بقربها هذه البئر .

(ابن سعد ١٣٥/٥) .

ولما ولي ابراهيم بن هشام لهشام بن عبد الملك أراد ان يدخل في حقوق بني عروة بالفرع فحال بينه وبين ذلك فهدم قصر عروة ، وشعثه ، وطرح في بئر عروة جملاً مطلياً بقطران فكتب عبد الله الى هشام بن عبد الملك بذلك ، فكتب الى ابن ابي عطاء عامله على ديوان المدينة أن يرد ذلك على ما كان حتى يضع الوتد في مَحَلِهِ ، فكان غُرْمُ ذلك الف دينار وثلاثين ألف درهم (وفاء ٢ / ١٩٣) .

ويروي الزبير عن مصعب بن عثمان انه كان لعروه المقتربة وهي ضيعة بحرّة بطحان « ... فلما مات عروة قال يحى بن عروة لهشام : إن شئت خذ ميراثي من أبي واعطني حقك منالمقتربة و وإن شئت فاعطني ميراثك من أبيك وخذ حقي من المقتربة (نسب الزبير ٢٩٩ / [٥٢٠] .

أما مصعب فيروي ابن رستة أن « بطن نخل [١] وهو منزل كثير الأهل والخيرُ كثير النخل والزرع والماء من السنى ، والبئر بها قريبة القعر على خمس أذرع يظهر الماء وهي أرض رضراض عمرها بعد الاسلام مصعب بن الزبير في ايام اخيه (الاعلامه ص ١٧٧) .

أما عبد الله بن الزبير فقد كانت له اموال في ثرير عند انصاب الحرم بمكة (ياقوت — ج ٣ ص ١٣) .

ويذكر السمهودي عند كلامه عن أئمة [٢] عبد الله بن الزبير ان بها بئرا تعرف بابن الزبير كان الأشعث المزني يلزمها ويتخذ بها المال فاقتنى ماشية كثيرة (وفاء ٢ / ٢٤١) .

ومن أهم املاك الزبير الفرع ويبدو انها كانت منطقة زراعية قديمة فيروي — الزبير عن علي بن صالح عن عامر بن صالح عن هشام ن عروة عن عروه : ان الفرع أول قرية مارت اسماعيل النبي (ص) التمر بمكة ، وكانت

(١) يعرف الآن باسم الحناكية واد واسع فيه قرى صغيرة ذات مياه كثيرة ،
(٢) في النقيع ، في اعلى العقيق .

من عمل عاد شقت لها بين جبلين ثم سلكت بالسيل فيه (نسب الزبير ج ١ » ص ٥٣ — ٤ [٨٨] البكري ص ١٠٢٠) .

ويروي الزبير بنفس السند عن عروة ان أسماء بنت ابي بكر قالت لعبد الله : أي بني أعمِرَ الفُرْعُ ؟ قال : نعم يا أمتاه لقد عمرُ واتخـذتُ به أموالاً ، قالت : والله لكأني أنظر اليه حين مررنا مهاجرين من مكة وكأني أري فيه نخلات واسمع نباح كلب (نسب الزبير ٥٤ [٨٩] . البكري ص ١٠٢٠) .

ويروى عن عمه مصعب بن عبد الله « اعتمل عبد الله بن الزبير بالفرع عين الفارعة والسنام واعتمل عروة بن الزبير عين المهـد وعسكر ، واعتمل حمزة بن عبد الله عين الربض والنجفة (نسب الزبير ص ٥٤ [٩٠] .

فأما عين المُهْد فقد صارت لمنذر بن مصعب ، وقد ذكرهـا خالد بن مصعب في شعر وجّهه لاخيه منذر بن مصعب وعارض بعض أصحابه بمال له على عين المهد من الفرع الى مال لأخيه بالجوانية ، فقال خالد :

خليلي أبا عثمان ما كنت تاجراً ، أتأخذ انضاحاً بنهر مفجـر ؟
أتجعل انضاحـاً قليلا فضولها الى المهد يوماً أو الى عين عسكر ؟
وتأتي بعَصْفٍ ، حينَ يَحْمِلُ نخلها فَفيّ ليس يُرجى للعلوفـة ، أغبر
(نسب الزبير ٣٤١ [٥٩٧]

وقد أعطى حمزة بن عبد الله ابنه عباداً الربض والنجفة ، عينـين بواد يقال له الفرع بين المدينة ومكة ، تسقيان أكثر من عشرين الف نخلة ولهما قدر كبير (نسب الزبير ٥٢ [٨٥] ، فحازهما عباد في حياة أبيـه حتى مات وهما في يده ، فقام عليه اخوته بنو حمزة فخاصموه الى عمر بن عبدالعزيز وهو والي المدينة زمان عبد الملك بن مروان ، فقضى بها لعباد . وكان عامر بن حمزة ، وأمه أم ولد ، من سروات آل الزبير وجلدائهم ، فيمن خاصمه ، فلما قضى عليهم عمر لعباد ، وجعل عامر بعد ذلك بيسير يغدو الى عمر بن عبد العزيز ويروح في أجراد من ثيابه فيتغدّى معه ويتعشى ، فوقع في نفس

عمر بن عبد العزيز مع الذي رأى من ظاهر كسوته ان به الى ذلك حاجة ، وان اباه أجحف به فيما صنع بعباد ، فأرسل الى عباد فقال له : اني كنت قضيت لك بالربض والنجفة ، وقد رأيت غير ذلـك ، ولا أراني الا ساكر النظر في أمرك وأمر إخوتك ، فقال له عباد : إن الذى رأيت من أخي إنما هو مَكْسَرٌ منه ، والله ما به اليه حاجة ، وما أخذت هاتين العينين لأستأثر بهما ، وأنا أشهدك اني قد أسلمتها اليوم ورددتها ميراثاً ؛ فجزاه عمر خيراً ، وصارتا ميراثاً واقتسمتا (نسب الزبير ٥٥ - ٥٦ [٩٢ - ٩٣] .

وتصدق عامر بن حمزة بالربض على بنتيه فاختة وأسماء وعلى أعقابهما ... وصارت تلك الصدقة لولد عبد الله بن نافع الاكبر (نسب الزبير ٥٦[٩٥]).

يقول الزبير بن بكار : عين الجثجاثة وهي تبعـــد ستة عشر ميلا عن المدينة عند حمراء الأسد):(بها منازل آل حمزة وعباد وثابت بني عبد الله بن الزبير » بكري ص ٣٦٧) ويري الهجري أن الجثجاثةصدقة عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير وبها قصور وبنيان» (بكري ص ٣٦٧ ،١٣٢٩) .

ويروي البكري (الأثبة وفيه مـــال لعباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير كثيرة النخل وهي وقف(بكري ١٣٢٨) .

« وقـال الهجري في حمى النقيع وفي شرقي الحرة قَلتـَتان نقي ماؤهما وهما أثب وأثيب ، وقال في ترتيب مجراه وغدرانه ما لفظه : ثم الأثبة وبها غدير يسمى الأثبة وبه سميت ، وبـه مال لعبدالله بن حمزة الزبيري ، ونخل ليحي الزبيري» (وفاء ج ٢ ص ٢٤١) .

ويذكر الزبير « خرج محمد بن عباد بن عبدالله بن الزبير يريد الصدقـــة بتَمْرِهِ فعرضت الى ما له بالفرع ثلاث طرق ... (البكري ٣٢٢) .

اما ابو بكر بن عبدالله بن محمد بن المنـــذر بن عبدالله بن الزبير فقد روى الزبير بن بكار عنعمه عنه «فاصمت(؟) الى الاوقصضيعتي بالسر[١] سرّاء فهم

(١) كذا في « اخبار القضاة» المطبوع . والطبعة كثيرة الأخطـــاء ، والصواب : السَّراة ، صراة فهم ، ولا تزال معروفة بقرب الطائف ، وسكانها هم فهْم الآن .

فنازعني شيخ من الفهميين : فقال ارضنا ومسلمنا ، فقلت : ان الاموال قد تنقل (وكيـع : أخبار القضاة ١ ص ٢٦٦

« وكان الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير نازلاً في ضيعتـه بالمريسيـع سنين » (نسب الزبير ٩٩ [٢٠٧] تاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٦٦ . وله أيضاً ضيعـة بوادي القُرى توفي بها (نسب الزبير ١٠٩ [٢١٣] .

أما المغيرة بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، فيروي الزبير بن بكار أن المهدي أقطعه «عيونا رغابا بإضَم منها عين يقال لها النبق وألات الحب» (بكري ص١٦٦) نسب الزبير ١١٣ [٢٢١] .

أما الزبير بن بكار فيروي البكري ان له « ثنية الشريد وبهـا مزارع وآبار وهي ذات غضاءٍ وآجام تنبت ضروبـاً من الكلأ » (البكري ص ١٣٣١) .

ولعكاشة بن مصعب ضيعة ببني أمية بن زيد تعرف بـأم عظام (نسب الزبير ٣١٥ [٥٦٠] ٥٢٣ [٥٦٠] .

وقد ذكرتْ لآل الزبير أراضي دون تعيين مالكيهـا بالتحديد . ومن هذه الأراضي « الجوانية أرض من المدينة لآل الزبير بن العوام » (بكري ص ٤٠٨) . و « خليقة عبد الله بن أبي أحمد بن جحش، وفيها مزارع ونخل وقصور لقوم من آل الزبير وآل أبي أحمد » (بكري ص ١٣٢٨) .

وكانت لمصعب بن عمر الزبيري ضياع ببطن نخـل (نسب الزبير ٣٢٩ [٥٧٣] . وكان عبد الملك بن يحي : (رجلا ، موسراً ، وباع من أبي عبيد الله عينا له يقال لها ملح بساية ، بعشرة آلاف دينار (نسب الزبير ٧٧ [١٥٢] .

« .. وقال في عينه التي يدعى خيفها منكوب واسم عينهـا عين الرضا وكان يقال لخيفها محبوب :

وجدنا بحمد الله ماءً ومزرعاً وعيناً رواءا بالمساحي تفجَّرُ

فعين الرضا عما قليل غزيرة   وساكن محبوب يحيّا وينشر
(نسب الزبير ٧٧ / ١٥٥) .

أملاك طلحة :

يروي الواقدي عن اسحق بن يحي عن موسى بن طلحة أن طلحة كان يغل كل سنة من العراق مائة الف سوى غلاته من السَّراة وغيرها ، ولقد كان يدخل قوت أهله بالمدينة سنتهم من مزرعة بقناة كان يزرع على عشرين ناضحاً وأول من زرع القمح بقناة هو (سعد ٣ – ١ ١٥٨) . ومن أشهر أملاكه في العراق النشاستج .

ولم يصادر الامام عليٌ النشاستج بل ردها إلى أولاد طلحة بعد مـا قتل يوم الجمل (سعد ٣ – ١ / ١٥٨) .

ويروي موسى بن طلحة ان عثمان « أعطى طلحة موضماً ، وأخذ منـه مالا بحضرموت (الخميس ج ٢ ص ٣٠٠) .

ويروى ابن حبيب انه كان لطلحة حائط أعطى به ستمائة الف فلم يبعه ولكنه أهداه مجاناً لأحد أقاربه (المحبر ص ١٥١) غير اننا لا نعلم موقع هذا الحائط .

ويروى الزبير بن بكار عن ابراهيم بن حمزة عن ابراهيم بن نسطاس عن محمد ابن ابراهيم بن الحارث انه « مر رسول الله (ص) في غزوة ذي قرد على ماء يقال له بيسان مالح ، فقال هو نعمان وهو طيب ، فغير اسمه ، فاشتراه طلحة ثم تصدق به (الاصابة ٢ / ٥٨٥ ياقرت ٤ / ٥٥ وفاء ٢ / ٣٦٠ عن ابان بن عثمان) .

ويروي الأصبهاني عن عمه عن الكراني عن اللهبي ان عائشة بنت طلحة كانت لها مال بالطائف وقصر كانت تخرج اليه للنزهة بعـــد ماتأيمت (الاغاني ١١ / ١٩٠) .

أما اولاده فإن جعفر بن طلحة « لزم علاج أمّ العيال وهي عين عملهـا

بالفرع قدرها عظيم كثيرة الغلة فيها النخل» (نسب .قريش ص ٢٩٠ بكري ١٩٦) ويقول ابن حزم : انه انفق عليها ثمانين ألف دينار فكان يغلّ من ثمرتها خاصة أربعة الآف دينار وكانت تسقي ازيد من عشرين الف نخلة » (ابن حزم جمهرة الانساب ص ١٣١ وفاء ٢ / ٢٤٨ ويقول ابن حزم : انه انفق عليها مائتي الف دينار .

ويروي البكري .. أم العيال وهي ارض بالفرع لجعفر بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو بن كعب وكان طلحة جيلاً ، وسيما فلزم علاج عين أم العيال ... » بكري ١٩٦) .

اراضي الخلفاء الراشدين وآلهم :

أما الخلفاء فقد كانت لكل منهم اراض :

فأما ابو بكر فقد كانت له ارض بالعالية « جداد يعني صرام [١] عشرين وسقاً (ابن سعد ٣ — ١ / ١٣٨) وعمر كانت له ارض بخيبر «لم احسب مالاً ، قط انفس عندي منه فيا تأمر به قال : ان شئت حبست اصلها وتصدقت بها قال فتصدق بها عمر » (سعد ج ٢ — ١ — ٢٦٠) . وكان عمر يمتلك ايضاً (ابن سعد ٢٦٠٣ ياقوت ٣ — ٢٤ ، بكري ٣٤٦ وفاء ج ٢ ص ٢٧٣) ، كما كان له مال بالجرف (وفاء ٢ — ٢٨٠) .

وكانت لآل عمر بعض الاملاك فيروي هشام بن عروة عن ابيه انه كانت لعبد الله بن عمر ارض بالعالية (ابن سعد ج ٣ — ٢ — ١٤٢) غير اننا لا نعلم موقعها بالضبط .

وكان لعاصم بن عمر بن الخطاب مال بالأكحل والأكحل يعترض حمى النقيع يساراً للخارج من المدينة[٢] وفاء ٢٤٨/٢ .

(١) الجداد هو غلة النخل يقال : جَدّاد نخلي هذا العام عشرون حملاً — ولا تزال الكلمة مستعملة وكذا الصرام.

(١) الأكحل لا يزال معروفاً وانظر عن تحديده كتاب الحربي « المناسك» .

أما عثمان فيروي الشافعي انه كان له مال بالعالية (ام ٢٧١/٢ مسند الشافعي ١٩٦/٢ وفاء ٢٢٥/٢) .

ويذكر السرخسي انه باع ارضاً كانت له بالبصرة من طلحة (المبسوط ج ١٣ ص ٧٠) . وقد استخرج بالعرصة ارضاً واعتملها وساقاليها خليجاً سمى خليج بنات نائلة (ياقوت ٤٦٧/٢) وكانت له بالروحاء بئر (وفاء ٣١٤/٢). هذا فضلاً عن الآبار التي اشتراها وتصدق بها .

يروي الطبري ان «عثمان قسم ماله وارضه في بني أمية» طبري ٢٩٥٤/١) ولكن ابن سعد يروي عن الواقدي عن ابن ابي سبرة عن سعيد بن أبي زيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة ان مما ترك عند وفاته « وترك صدقات كان تصدق بها ببئر أريس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار (ابن سعد ٣-١/٥٣ الذهبي تاريخ الاسلام ١٧٠/١) .

وكانت لزيد بن عمرو بن عثمان ضيعة يقال لها العَرج (اغاني ١٦٠/١٤).

ويقول اليعقوبي عند كلامه عن الرويثة ان بها قوم من ولد عثمان بن عفان وغيرهم من العرب» (البلدان ٣١٤) .

أملاك الخلفاء الأمويين :

يقول السمهودي : (ويذكر انه كان بالمدينة وما حولها عيون كثيرة تجددت بعد النبي (ص) وكان لمعاوية اهتمام بهذا الباب ولهذا كثرت في ايامه الغلال بأراضي المدينة وقد نقل الواقدى في «كتاب الحرّة» انه كان بالمدينة في زمن معاوية صوافي كثيرة وان معاوية كان يَجُدُّ بالمدينة واعراضها مائة وخمسين الف وسق ، ويحصد مائة الف وسق حنطة «وفاء ٢-١٥٢) انظر ايضاً ١-٨٩ الجواهر الثمينة ٦١) .

ويذكر الواقدي في «كتاب الحرة» ما ملخصه ان اول ما هاج امر الحرة أن ابن مينا كان عاملاً على صوافي المدينة (ثم النص اعلاه) واستعمل يزيد

على المدينة عثمان بن محمد بن ابي سفيان ، وان ابن مينا أقبل بشرج[1] له من الحرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية فلم يسوقه ولا يصده عنه احد حتى انتهى الى بلحارث بن الخزرج فنقب النقيب فيهم فقالوا : ليس ذلك لك هذا حدث وضرر علينا ، فأعلم الامير عثمان بن محمد بذلك ، فأرسل الى ثلاثة من بلحارث فأجابوه الى أن يمر به ، فأعلم ابن مينا فغدا بأصحابه فذبوهم ، فرجع الى الامير فقال : اجمع لهم من قدرت . وبعث معه بعض جند ، وقال : مُرَّ به ولو على بطونهم ، فغدا ابن مينا متطاولاً عليهم ، وأعد من يذبهم من الانصار ، ورفدتهم قريش ، فذبوهم حتى تفاقم الامر ، فرجع ولم يعمل شيئاً ، وكتب عثمان بن محمد الى يزيد يخبره بذلك ، ويحرّضه على اهل المدينة جميعاً ، فاستشاط غضباً ، وقال : والله لأبعثن اليهم الجنود ولأوطئنها الخيل (وفاء ١ - ٨٩) .

ويقول اليعقوبي: « وولى يزيد عثمان بن محمد بن ابي سفيان المدينة فأتاه ابن مينا عامل صوافي معاوية ، فأعلمه انه اراد حمل ما كان يحمله في كل سنة من تلك الصوافي من الحنطة والتمر ، وأن أهل المدينة منعوه من ذلك ، فأرسل عثمان الى جماعة منهم فكلمهم بكلام غليظ ، فوثبوا به وبمن كان معه من بني أمية وأخرجوهم من المدينة » (التاريخ ٢-٢٩٧) .

وقد اشترى معاوية ثنية الشريد من رجل من بني سليم وكانت أعناباً ونخلاً لم ير مثلها (وفاء ج ٢ ص ٢٠٩) كما عمل معاوية سدّاً في حزم بني عوال يحبس فيه الماء شبيهاً بالبركة (وفاء ج ٢ ص ٣٢١) .

وكانت لمروان أرض بذي خُشُب (انساب ٥-١٣٠) وقد أقطعها السفاح الحسن بن الحسن (وفاء ٢-٣٧٥) .

وكانت بإضم « أموال رغاب من أموال السلطان وغيره من أهل المدينة منها عين مروان واليسر والغرار والشبكة وتعرف بالشبيكة (بكري ١٣٣٣) .

---

(١) الشرج الساقي يحفر ليجري معه السيل كالقناة .

اما الوليد بن عبد الملك فقد اشترى الحرّار من بني عبد الله بن عـــامر (بكري ٤٩٢) . أما الوليد بن يزيد فقد صار اليه ثرمد وهو مال كان للزبير باعه عبد الله ابنه في دَين ابيه (بكري ١٣٣٣) .

أملاك المهاجرين :

لقد كان عمرو بن العاص يمتلك الوَهَط بالطائف وهو كرم كان يعرش على الف الف خشبة ، شرى كل خشبة درهم (البكري ص ١٣٨٤ عن سفيان بن عمرو بن دينار عن مولى لعمرو بن العاص (ياقوت ٤/٩٤٣ عن ابن الاعرابي ، ابن الفقيه ص ٢٢ القزويني ج ٢ ص ٦٥ المستبصر ص٢١ عن شعيب عن عمرو بن دينار) .

« قال ابن الاعرابي حج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقـال : أحب ان أنظر اليه فلما رآه قال : هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا أن هذه الحرة في وسطه ، فقيل له: ليست بحرة ولكنها مسطاح الزبيب ، وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء .

وقال ابن موسى : الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وَجّ ، كانت لعمرو بن العاص (ياقوت ج ٤ ص ٩٤٤) .

ويروي ابن المجاور : « الوهط قرية من أعمال الطائف بينها ثلاثة أميال فكان كل فاكهة الطائف ومكة من ذلك الوهط (المستبصرص ٢٢) .

ويروي الطبري أن معاوية كان قد ساوم عبد الله بن عمرو وأعطاه بـه مالاً كثيراً ، فأبى أن يبيعه (طبري ٢ / ٢٧٩) . أنظر أيضاً البكري ١٣٨٤)

ويروي ابن المجاور عن مصعب بن عبد الرحمن المخزومي عن شعيب عن عمرو بن دينار كتب عمرو بن العاص في وصيته وذلك في الوهط وجعلهـــا صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث وهي للأكبر من أولادي ، والمتبع فيها عهدي وأمري فإن لم يقم بعهدي ولا أمري فليس له ولاء يعني بذلك الوهط ،

حق يرثه الله تعالى قائماً على أصوله (المستبصر ص ٢١) .

ويروي أيضاً عن محمد بن فارس القرشي « ما بقي من الوهط من الشجر سوى شجرة توت وهي إلى الآن وقف عليهم (المستبصر ص ٢٢) .

ويروي ابن حجر : وفي صحيح مسلم على طريق ثابت مولى عمر بن عبد العزيز قال لما كان بين عنبسة بن أبي سفيان وعبد الله بن عمرو بن العاص ما كان وتيسروا للقتال يعني في خلافة معاوية حيث أراد عنبسة أخذ شيء من مال عبد الله بن عمرو بالطائف (الاصابة ج ١ ص ٤٠٧ [٢١٧٢] ومع عدم ذكر المصادر شيئاً عن هذا الخلاف إلا أننا نرجحانها تتصل بالوهط.

وكانت لعمرو بن العاص قرية السبع في فلسطين وبها بعض أهله (البكري ٧١٧) عن أبي زكريا ويحي بن عثمان السهمي .

سعيد بن العاص :

اما سعيد بن العاص فقد احتفر بئراً وغرس النخل والبساتين وكان نخل بستانه أبكر نخل بالمدينة وكانت تسمى عرصة الماء (ياقوت ج ٣ ص ٦٤١ وفاء ج ٢ ص ٢٠٠) وقد بيع قصره بثلاثمائة الف (نسب قريش ١٧٦ ، ويروى السمهودي ان القصر بيع بألف الف والنخل بألف الف ، والمزارع بألف الف (وفاء ٢- ٢٠٢)وقد اشتراه معاوية (اغاني ٢–١١)وكانت بنوامية يمنعون البناء بالعرصة (وفاء ٢–١٩٩ ياقوت ٣–٦٤١) .

اما عبد الرحمن بن عوف فقد اعطاه الرسول من اراضي بني النضير سؤاله (ابن سعد ١–٢|٤١) .

وكيدمة التي باعها لعثمان بنعفان بأربعينألف دينار (ابنسعد ٣–١–٩٤– وفاء ٢–١٢١) .

ويروي الواقدي عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي سبرة عن محمد بن حرملة عن عثمان بن الشريد ان عبدالرحمن بن عوف « كان يزرع بالجرف على عشرين

ناضحاً وكان يدخل قوت اهله من ذلك سنة» (ابن سعد٣-١/٩٦) .

غير ان الواقدي لا يشير الى كيفية حصول عبد الرحمن بن عوف على هذه الأرض ولعلها هي الاقطاع الذي اعطاه اياه عمر والذي في نص آخر ان عبد الرحمن بن عوف قال: اشهد ان رسول الله اقطعني وعمر بن الخطاب ارض كذا (ابن سعد ٣-١/١٩/) (٨٩) .

عبدالله بن عامر :

اما عبدالله بن عامر فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له فيها الماء ، وله النّباجُ الذى يقال له نباج[١] ابن عامر ، وله الجحفة ، وله بستان ابن عامر بنخلة ، على ليلة من مكة وله آثار في الأرض كثيرة (نسب قريش ص١٤٨).

ويروي البكري كان الخرار لبني عبدالله بن عامر فاشتراه منهم الوليد بن عبد الملك (بكري ص٤٩٢) والخرار هو ُخمّ عند الجحفة .

رجال آخرون :

يروي ابن شبة : (وتصدق عبد الله بن عباس بماله بالصّهوة وهو موضع بين يَنْين وبَين حورة على ليلة من المدينة وتلك الصدقة بيد الخليفة ، يوكل بها (وفاء ج ٢ ص ٣٣٧ – ١) .

أما العَرْجِيّ فكان لهمال بالطائف يسمى العرج[٢] (الاغاني ١٠-٣٨٦).

ويروي الاصبهاني عن اسحق عن عتبة بن ابراهيم اللهبي ان العرجي فيما بلغه باع اموالاً ـ عظاماً كانت له واطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفد كله (اغاني ١ – ٣٨٦) .

وكان لمحمد بن هشام السهمي مال بتَبَالة فيها نخل (الأزرقي ٢ – ١٢).

---

(١) نباج ابن عامر في نجد بطريق حجاج البصرة في أسفل القصيم ويعرف الآن باسم (الاسياح).
(٢) العَرْج – هذا هو اسفل وادي واجَ ، وهو قرية ذات بساتين فلعل للعرجي فيها بعض الأملاك وقد نسب إليها لكونه من سكانها .

وللمغيرة بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بالصفراء وخيـــبر (المدونة ١٠ ـ ٤٨). وكان لابن لرفاعة بن العجلان مال بملل (وكيـع اخبار القضاة ١ ـ ١٦٧) .

وكان لعبد الله بن القاسم مال بنعف النقيـــع (وفاء ٢/٢٢٣) عن الزبير ولعبد الله العامري ارض أقطعه إياها مروان وما بين الميل الرابع من المدينة الى ضفيرة ارض المغيرة بن الأخنس التي بالعقيق وفاء (٢/٣٣٩) .

ولبعض ولد ابي لهب آبار مسدوس قرب كُراع الغميم وعسفان (بكري ٩٥٦) ولابراهيم بن هشام عين بملل (نسب الزبير) ٤٨٦ [٨٢٨] .

ولسعد بن ابي وقاص ارض عند حرة السقيا (وفاء ٨٣٧) وقد اشترى بئر السقيا ببعيرين (التحفة اللطيفة ٢ـ٤٩ [١٢٠٢] .

اما ابو هريرة فكان ينزل الشجرة على العقيق قرب ذي الحُليفة قبل ان تكون مزوعات فمر به فأقطعه إياها مروان وظفرها له فتصدق بها ابو هريرة على ولده (وفاء ٢ـ١٩٩ـ٢٠٩) .

وكان لعبيد الله بن موسى بئر سميحة بالمدينة وعليها نخل (وفاء ٢ـ٣٢٤) وللزهري شَغبٌ وبَدَا التي اقطعها اياه بنو مروان (بكري٨٠٢ ياقوت ٣ـ٣٠٢ ، ٤ـ٤٦٨ ابن حوقـــل١ـ٤٠). كما كانت للزهري الادامى[١] وهي من أعراض المدينة غرسها نخلا (ياقوت ج ١ ص ١٥٥) .

ولسعيد بن سليمان المساحقي مال بناحية ضرية يقـــال له الجفر (نسب قريش ٤٢٧ وكيـع : أخبار القضاة ١ / ٢٤٠ تاريخ بغداد) ولابن مطيع بئر ومزارع مسماة باسمه بين السُقيا والأبواء (ابن سعد ج ٥ / ١٠٦) .

وكان الوليد بن عثمان ذا غلة في الحجاز يخرج اليها في زمان التمر بنفر من قومه يجنون له ويعاونونه فكان إذا حضر خروجهم دفـــع اليهم نفقات إلى أهليهم إلى رجعتهم (أغاني ٢ ـ ٢٤٥) .

(١) الأدامى تسمى الآن دامة ، واد عظيم يقع بين ظُبا والوجه يصب في البحر .

وكانت لعيسى بن موسى عندما ثار محمد النفس الزكية ، أموال بالمدينة يليها سعيد بن دينار (طبري ٣ - ٢٠٦) ولرياح والي المدينة مـــال ببدر (طبري ٣ – ١٧٥) .

ويقول ابن المولى : ان المنصور أعطاني رزمة ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعاً تغل الف دينار أقوم في أدناها فأصيح بقيّمي ولا يسمعني وهو في أقصاها (آغاني ٧ – ٢٩١) .

يروي عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت وحميد عن انس بن مالك ان عبد الرحمن بن عوف قدم المدينة فآخى رسول الله بينه وبـــين سعد بن الربيع الانصاري فقال له سعد: يا أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب اليك حتى أطلقها لك (سعد ٣ – ١ / ٨٩ اصابة ٢ – ٢٥ (٣١٥٣) عن البخاري) .

ويروي مالك عن اسحق بن عبيد الله بن أبي طلحة أنه سمـــع انس بن مالك يقول : كان أبو طلحة أكثر انصاريٍّ مالاً من نخـــل وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب وقد تصدق أبو طلحه ببئر ماء (بكري ٤١٣) .

ويذكر السمهودي أن « معجف أحد أودية المدينة .. ومعجف اسم حائط كان لعبد الله بن رواحة جعله لله ورسوله في غزوة مؤتة » (وفاء ٢ / ٣٧٥) .

ويروي « روح بن عبادة عن ابن جريح عن يعلى عن عكرمة عـن ابن عباس أن سعد بن عبادة ماتت أمه وهو غائب عنها فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ان امي توفيت وأنا غائب عنهـــا أفينفعها ان تصدقت عنها ؟ قـــال نعم ، قال : فإني اشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها » (ابن سعد ج ٣ – ١ / ١٤٣ – ٤) .

ويروي « ابن وهب عن الحرث عن ابن نبهان عن أيوب عن ابن سيرين : ان أُبيّ بن كعب استسلف من عمر بن الخطاب عشرة آلاف درهم فأهدى له

هدية فردها اليه عمر فقال : إني قد علم أهـــل المدينة أني من أطيبهم ثمرة أفرأيت انما أهديت لك من أجل مالك علي ؟ إقبلها فلا حاجة لنا فيا منعك من طعامنا.فقبل الهدية » (المدونة ٩ — ١٣٩) ..

ويروي « خالد بن مخلد البجلي عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر هلك أسيد بن الحضير وترك عليه أربعة آلاف درهم ديناً ، وكان ماله يغل كل عام الفاً فأرادوا بيعه ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فبعث إلى غرمائه ، فقال:هل لكم أن تقبضوا كل عام الفاً فتستوفونه في أربع سنين ؟ قالوا نعم يا أمير المؤمنين ، فاخروا ذلك ، فكانوا يقبضون كل عام الفاً » سعد ٣ — ٢ — ١٣٥) . (أنظر أيضاً ص ١٣٧ ملخصه) .

ويروي عباد بن العوام عن حجاج بن ارطاة عن حبيب بن أبي ثابت : أن علياً باع أرضاً لبني أبي رافع بعشرة آلاف وكانوا ايتاماً فكان يزكيها (ابن سلام ص ٤٥١).

ويروي يزيد عن يحي بن سعيد عن محمد بن يحي بن حبان ان أبا ميمون أخبره عن سهل بن أبي خيثمة أن مروان بعثه خارصاً للنخل ، فخرص مال سعد بن أبي سعد سبعمائة وسق ، وقال: لولا اني وجدت فيه أربعين عريشاً لخرصته تسعمائة وسق ولكني تركت لهم قدر ما يأكلون فـكانت تلك العرش مظال مساكن لهؤلاء الأكلة (ابن سلام ص ٤٨٨ أنظر أيضاً ص ٤٨٦) .

ويروي البخاري عن محمد بن مقاتل عن عبـدالله عن يحيى بن سعيد عن حنظلة بن قيس الانصاري عن رافع بن خديج قال كنا اكثر اهـــل المدينة مزدرعا (بخاري ٤١ الحرث والمزارعة) .

وكان الأشعث المزَني[1] ينزل الأتمة ويلزمها فاستمشى ماشية كثيرة وافاد مالاً جزلا — حتى اتخذ اصولاً واستغنى (بكري ١٣٢٧-٨) .

وقد ذكرت المصادر عدداً من الملاكين واملاكهم دون ان تحدد زمن تملكهم

---

(١) في البكري : المدني — تصحيف .

ومصدرها فضلاً عن المشاكل الأخرى الناجمة من الزراعة ومن الملاكين .

فقد روى مالك عن عبدالله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم أن جده باع حائطاً له يقال له الأفراق بأربعة آلاف درهم ، واستثنى منه بثماني مائة درهم تمراً — (الموطأ ٢–١٥٢ و٣–٥٢) البكري ص ١٧٦) .

ويروي الشافعي عن سفيان عن عمرو بن دينار عن اسماعيل الشيباني أو غيره انه قال : بعت ما في رؤس نخلي بمائة وسق ان زاد فلهم وان نقص فعليهم (الأم ٣–٤٦ مسند الشافعي ٢–١٥٠) .

وكان لابن جُرَيج أرض فيروي الشافعي عن سعيد بن سالم عنه انه قال: قلت لعطاء : أبيعك حائطي إلا خمسين فرقا أو كيلا ، فسمي ما كان. قال: لا ، قال: لا ، قال ابن جريج : فان قلت: هي من السواد سواد الرطبة ؟ قال: لا . يروى ايضاً انه قال لعطاء : أبيعك نخلي إلا عشر نخلات اختارهن قال : لا إلا ان تستثني أيتهن هي قبل البيع تقول : هذه وهذه » (ألأم ٣–٥٢) .

وكان القاسم بن محمد يبيع ثمر حائطه ويستثني منه « الموطا » ٢ ٥٢). كما كانت عمرة بنت عبد الرحمن ، وهي ام ابي الرجال محمد بن عبد الرحمن بن حارثة تبيع ثمارها وتستثني « الموطا » ج ٢ ص ٥٢) .

وكانت لسعيد بن محمد بن ابي زيد «أريضة سبخة تغل في السنة دينارين» (ابن سعد ٥ – ٣٠٨) .

وكانت لسعد بن ابراهيم أرض بالقَبَلِيَّةِ (وكيع : اخبار القضاة ١ – ١٦٥) . ويقول مالك... ان الضحاك بن خليفة ساق خليجاً له من العُرَيْض فأراد أن يمر به في أرض محمد بن مسلمة فأبى محمد « الموطا » ٢ – ١٢٢) .

ان المعلومات المتوفرة عن الأوضاع الاقتصادية في المدينة تدل على انها — كانت منطقة زراعية ، وكانت الملكية القانونية مثبتة ، وهي ملكيات فردية لا جماعية ، اذ لم نسمع بارض تمتلكها عشيرة ، والراجح ان كل فرد كان

يمتلك أرضاً صغيرة يزرعها بنفسه او بمعونـة عائلته ، غير ان هذا لا يعني عدم وجود ملكيات كبيرة يستخدم فيها العمال المأجورون . ومع ان هؤلاء الأنصار كانوا يعتمدون في حياتهم على منتجهم الزراعي الا انهم او بعضهم كانوا ينتجون اكثر مما يحتاجون ، ويبيعون الفائض ليحصلوا على مال يشترون به حاجاتهم الاخرى ، لهذا كانت في المدينة صلات وثيقة بين الرأسماليين والفلاحين .

ولا شك ان مجيء المهاجرين الى المدينـــة أدى الى حدوث تطورات وتبدلات : –

١ – فان استقرار عدد متزايـــد من الناس أدى الى زيادة الطلب على المنتجات وخاصة المواد الغذائية مما ادى الى نشاط السوق الداخلية بشكل أوسع مما كان في السابق ، ويجدر أن نتذكر ان عدداً من اليهـود أقصي من المدينة ولكن عددهم اقل ممن جاء اليها .

٢ – ظهور ملاكين جـــدد من المسلمين ، اما انهم حلوا محل اليهود الذين أقصوا أو انهم احيوا أراضي الموات ، وبذلك لم ينافسوا الانصار في اراضيهم غير انه أدى الى عدد غير قليل من النتائج : منها ازدياد الطلب على الأيدي العاملة لأن أكثر الملاكين الجدد لم تكن لهم خبرة في الزراعة ، وربما لم تكن لهم رغبة في العمل فيها أو ان أملاكهم كانت واسعة تتطلب استخدام أيدٍ عاملة ، وهذا سيؤدي الى ازدياد الطلب عليهـا ، وانقاذ المدينة من خطر البطالة الناجم عن كثرة المهاجرين .

وازدياد مساحة الأراضي الزراعية بعد وفاة الرسول (ص) رافقه مجيء عدد كبير من الأعاجم الأسرى ، فحدثت حلقة بينهما ولم يظهر اثرهمـا في الأزمات الاقتصادية .

٣ – ازدياد مساحات الأراضي المزروعة وادخال طرق فنية جديدة في الري والزراعة ، وكذلك ادخال زراعة محاصيل جديدة .

٤ – تناقص الأراضي الخالية بسبب تحولها الى أراضي بناء للدور والاسكان .

٥ ـ ظهور طبقة من الملاكين الجدد الذين لهم نشاطات في ميادين اقتصادية أخرى كامتلاك المواشي أو التجارة أو الصيرفة ، ولهم نشاط يمتد الى بلاد ومناطق واسعة .

٦ ـ ظهور حكومة مركزية قوية تتبعها أقاليم واسعة ، واتصال كثير من الملاكين الجدد بها مما يسهل أعمالهم وينفذ أغراضهم بينما بقي فريـــق آخر بعيدا عن الحكومة .

املاك الأنصار :

لقد مَرَّ ذكر بعض الملاكين الانصار ، وذكر مواضع بعض هذه الاملاك ومنتجيها ومقدار حاصلها . وذكر بجانب ذلك حوائط وآبار وبساتين دون ذكر اصحابها إن هذه القوائم بما فيها من معلومات ايجابية وبما فيها من نقائض تساعد على تكوين صورة عن الأحوال الزراعية في المدينة .

ويلاحظ ان اغلب الملاكين ذكرت املاكهم عند الهجرة أي انها أملاك قديمة وليست حديثة ، وبذلك كانت لهم حقوق أصلية قديمة ، وليست هناك اشارات الى أن الاسلام مسها أو تدخل فيها .

٤ ـ ليست لدينا معلومات مفصلة عن كل ملاك ونشاطاته ، لنعلم فيما إذا كانت المعلومات المقدمة في المصادر عن ثروته جـاءت من الزراعة وحدها ام من مصادر اخرى .

كما اننالانعلم هل الثروات النقدية لبعض الملاكين الكبار جاءت من الزراعة وحدها أم من مصادر أخرى .

٥ ـ لم يكن لهم دور خاص في الحرب او الادارة وفي نفس الوقت لم يقاوموا الاسلام أو ـ يتذمروا منه .

٦ ـ واغلبية أملاك الانصار في داخل المدينة وليست لهم املاك خارجها كما ان املاكهم ليست واسعة ولا نعلم كم منها تحول الى أراضي بناء .

٧ ـ لقد كان اكثر الخلفاء الأمويين اهتماماً بأراضي المدينة هو معاوية اما الذين تلوه فلم يهتموا كثيراً بها ولعل اهتمام معاويـــة هو استمرار لتملك الراشدين أو استمرار ـ لنمو استثمار الأرض أو له اسباب سياسية وان كل هذه العوامل قد تبدلت خاصة منذ زمن يزيد .

واذا كان الوليد امتلك أرضاً في خُم شراء ، وعبد الملك في أقصى جنوب الحجاز فإن الباقين لم تذكر المصادر التي اطلعنا عليها أنهم اقتنوا أية أرض .

٨ ـ ذكرت المصادر بعض هذه الأراضي التي تقدم ذكرها منها اقطاع ومنها شراء ولم يذكر بعضها ولعلها احياء موات .

تشير المصادر الى أسعار بعض هذه الأملاك ، ففي المدينة كان ثمـــن بئر رومـــة ـ فيما يروي ابن زبالة -- مائة بكرة أو أربعين الف درهم ، وفيما يروي ابن شبّة : ثلاثين الف درهم (وفاء ٢ : ١٣٧ ـ ٩) . ويروي ياقوت ان ثمنها خمسة وثلاثون ألف درهم (١/٤٣٢) أنظر أيضاً الاصابـة ١/٥٢١ [٢٧٧١] أما البكري فيذكر انها بعشرين الفاً (٦٨٥) .

وقد بيعت كيدمة بأربعين الف دينار (وفاء ٢/١٢١) وبئر جشم بثلاثين الف دينار (الموطأ ٢/١٢١ ، البكري ٣٨٣ وفاء ٢/٢٥١) .

وقد اشترى الزبير الغابة بمائة وسبعين الفاً ، وباعها ابنه بمليون وستمائة الف (ابن سعد ٣ ـ ١ ٧٦ ، ياقوت ٣ ٧٦٧ ، وفاء ٢/٣٥١) .

واشترى علي ابن ابي طالب ينبع بثلاثين الفاً (وفاء ٢/٣٩٢ ، البكري ٦٥٧) . وبيعت عين أبي نيزر بمائــتي الف دينار (البكري ٦٥٧ ، ياقوت ١ ٧٥٧ ، وفاء ٣٤٨) وكانت أملاك عثمان تقدر بمائتي الف دينار (ابن سعد ٣ـ١ ٥٣) .

وباع طلحة حائطاً له بستمائـة الف درهم (المحبر ١٥١) . وكان ثمن أم العيال ثمانين الف دينار (ابن حزم ١٣١ ، وفاء ٢/٢٤٨) . وبيـع الافراق بأربعة آلاف درهم (الموطأ ٢/٥٢ ، الأم ٣ ٥٢٣ ، البكري ١٧٦) .

وكانت قيمة أرض بني رافع عشرة آلاف درهم (الامـــوال ٤٥١) . واشترى عبد الملك بن يحيى عين ملح بعشرة آلاف دينار (تاريـــخ بغداد ١٠–٤٠٨) . واشترى الحسين بن علي صاحب فخ حائطاً من الحسين بن هذيل بأربعين ألف دينار (مقاتل ٤٣٨) .

غير ان هذه الارقام يجب أن تدرس ضمن نطاق الأحوال الاقتصادية العامة المتطورة كما يتجلى هذا في الغابة وأملاك سعيد بن العاص ؛ وحتى اذا افترضنا دقتها فانها لا تمثل أحياناً قيمة الأرض الحقيقية ، وهذا يتجلى من قصة سعيد ابن العريض مع معاوية عندما أراد بيعه أرضاً بتيماء بستين الف دينـــار فاستغلاها معاوية ، فقال سعيد : اما لو كانت لأحد أصحابك لدفعت ستمائة ألف .

أما مساحة هذه الأرض فليست لدينا عنها سوى عيني الربض والنجفة اللتين كانتا تسقيان عشرين الف نخلة ، ومزارع ابن عوف الـــتي تسقى على عشرين ناضحاً ، وأما الباقي فلا نعلم مساحتها ، كما انـنـــا لا نعرف بالضبط مقدار منتجها بالضبط ولا عدد العمال الذين كانوا يعملون فيها .

ثم أن مصادرنا تبين ملكيات هـذه الأراضي في القرن الأول فحسب ، وخاصة أوائل من أحياها وزرعها ، ولكنها لا تعطي تاريخاً متتابعاً كاملاً لأية قطعة وما حل فيها .

ويلاحظ أن كثيراً من ملاكيها كانوا مدينين مما اضطر عدداً منهم إلى أن تباع أملاكه . فالغابة بيعت لسد ديون صاحبها ، وعين يحنس كذلك ، ولا يمكن القول بان سبب البيع يرجع إلى الخسارة في الزراعة وحدها ، لأن كثيراً من هؤلاء الملاكين كانوا يمارسون أعمالاً أخرى كما أن ديونهم قد تكون لقيامهم بالمضاربة ، غير أن لدينا أخباراً متعددة عن أزمات اقتصادية حدثت في الحجاز أشدها تلك التي حدثت في عهد ولاية هشام ودامت حوالي سبع سنين وكان لها أثر عميق على السكان . ومن الملاحظ أن مصادرنا عن المدينة كتبت في القرن الثاني وهي تبحث عن أحوالها في أوائل القرن الأول وقلما

تشير إلى أحوال هذه الملكيات في زمنهم ولا نعلم فيما إذا كان هذا السكوت راجعاً إلى تعمد عدم الكتابة أم إلى أن هذه الملكيات كانت في زمنهم منحطة مهملة ، وان كان الأخير فهل هذا يرجع إلى عوامل فنية كتراكم الملح وقلة الماء ، أم بسبب تدهور الحياة الاقتصادية العامة في الحجاز بعد أن انتقل مركز الثقل إلى العراق ؟

إن كثيراً من هذه الملكيات لم تبق ثابتة بيد أصحابها بل كانت تباع بعد وفاة مالكها أو كانت تقسم على الورثة ، وفي هذه الحالة كانت الأرض تبقى بيد الأسرة ، ولعل أهم الأسر التي احتفظت بأملاكها هم آل الزبير وآل علي ، وإن كانت أملاكهم التي كانت مركزة بيد فرد في أوائل العهد الاسلامي ، تجزأت فيما بعد حتى لم نعد نسمع عن ملاك يمتلك أراضي واسعة جداً كما كان الحال في أواسط القرن الأول .

وكان المركز الرئيسي للملاكين في المدينة دون غيرها غير أن فريقاً منهم كان يقيم في أملاكه في الريف يعملها بنفسه أو يشرف عليها .

غير أن هؤلاء الملاكين عموماً ظلوا مرتبطين بالحجاز فلم يغادروه ، وان كان نشاط بعضهم امتد إلى خارج الحجاز .

لقد كان بعض من الملاكين الأول من الخلفاء والإداريين غير أن أكبر الأسر المالكة وهم آل علي وآل الزبير قاموا ببعض ثورات فاشلة ضد الدولة ، ومن عوامل فشلهم عدم تمكنهم توفير الغذاء لأهل الحجاز إبان قيامهم بالثورات ، غير أن أسرهم ظلت تقف موقف المعارضة السلمية من الدولة الأموية وحكامها ، ولكن يقابل هذا أن علاقتهم مع أهل البلاد كانت طيبة ، وقد رويت أخبار عن سخاء هؤلاء الملاكين وتوزيعهم الهبات والعطايا .

بغداد : الدكتور صالح العلي

١٠٠٥